الباب الخامس
المرأة والحركات التحررية

سينتظم الحديث فى هذا الباب مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، فالمقدمة فى بيان قوامة الرجل على المرأة، والفصل الأول فى بيان منزلة المرأة قبل الإسلام، والثانى فى بيان منزلتها فى الإسلام، والثالث فى مطالب المرأة الحديثة، والرابع فى نظرة عامة على النشاط النسوى فى العالم الإسلامى، والخاتمة فى صور من حرص الأولين على الحجاب.

المقدمة :

إن الرجل بحكم أسبقيته للمرأة فى الخلق وإرادة الله لإيجاد خليفة فى الأرض، على ما يفيده الترتيب بلفظ «ثم» فى قوله تعالى: ﴿ **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ [الزمر: ٦]، وبحكم أنها خلقت لأجله هو[١] «ليسكن إليها» – له التقدم والأولوية الأدبية على المرأة. وبحكم أنها منه تكون نسبتها إليه نسبة الجزء إلى الكل على بعض التفاسير فهو أقوى فى مركزه منها وأكمل. ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. كما يؤكد ويبين مبرراته قوله تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ [النساء: ٣٤].

وسبب نزول هذه الآية – كما ذكره أبو السعود[٢] فى تفسيره – أن سعد ابن الربيع أحد نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن خارجة بن أبى زهير، فلطمها، فانطلق بها أبوها إلى رسول الله ﷺ وشكاه، فقال عليه

---

(١) على ما تفيده اللام فى قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا** ﴾ [النحل: ٧٢]، وقوله: ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم مِّنْ أنفسكم أزواجا** ﴾ [الروم: ٢١] وعلى ما يفيده قوله تعالى: ﴿ **ليسكن إليها** ﴾.

(٢) كان شيخا للإسلام فى الخلافة العثمانية أيام السلطان سليمان القانونى.

الصلاة والسلام: «لتقتص منه». فنزلت الآية، فقال النبى ﷺ «أردنا أمراً وأراد الله أمراً، والذى أراد الله خير».

وجاء فى تفسير القرطبى «ج٥ ص١٦٨، ١٦٩» أنها انصرفت مع أبيها لتقتص من زوجها، فقال النبى ﷺ «ارجعوا، هذا جبريل أتانى» فأنزل الله هذه الآية. فقال النبى ﷺ: أردنا أمراً.....[1] وقيل: إنها نزلت فى جميلة بنت أبى، وفى زوجها ثابت بن قيس بن شماس وقيل: فى عميرة بنت محمد بن مسلمة وفى زوجها سعد بن الربيع، وكانت له زوجتان.

فالرجل قوام على المرأة، وله عليها درجة، وذلك لأمرين، أحدهما ذاتى أو وهبى، والآخر عرضى أو كسبى، فالأول بالتكوين الخلقى، من قوة الجسم والعقل، على ما سيأتى توضيحه، والثانى بما يلتزمه الرجل نحو المرأة من واجبات كالصداق والنفقة والرعاية الشاملة، التى تقاضيه على التقصير فيها حتى لو كانت فى درجة عالية من الثراء.

وهذه القوامة مجمع عليها بين العقلاء، وأقرتها الأديان، ولم يحدث فى التاريخ أن كانت القوامة للمرأة إلا فى حالات نادرة وشاذة، عند بعض القبائل البدائية، وعند ذوى الأفكار الجامحة. وفى بعض الحالات الخاصة المؤقتة. وذلك كله ليس تشريعاً يعطى صفة العموم، كما سبق ذكره عن سكان غينيا الجديدة، وعن جزر «سان بلاس» شمالى بنما، فإن السلطة هناك للمرأة، والنسب إليها لا إلى الرجل. وسيأتى كلام أكثر عن هذه الجزر.

وجاء فى سفر التكوين، إصحاح ٣: ١٦ ما نصه: وقال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك.

وعند المصريين القدماء وغيرهم من ذوى المدنيات الأولى نرى أن القوامة

---

(١) هذا الحديث رواه ابن مردويه عن على، ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم مرسلاً، قال السيوطى: وشواهده يقوى بعضها بعضاً «تفسير القاسمى».

للرجل، ويكفى فى بيان هذا حكاية قول الله فى سورة يوسف ﴿ **وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ** ﴾. وستأتى صور أخرى توضح هذ القوامة. كما سيأتى توضيح معنى « السيد » فى الجزء الثالث إن شاء الله.

وعلى الرغم من تأكد هذه الحقيقة فى الشرائع السماوية والوضعية حاول بعض المجددين أو الدخلاء على الدين الذين يتكلمون من مراكزهم لا من ذكائهم ولا من علمهم، أن يجعلوا قوامة الرجل على المرأة قد تقلص ظلها فى هذه الأيام، بعد أن كافحت المرأة وغشيت المجتمعات، وصار لها دخل تنفق منه على الأسرة، وبلغت حداً كبيراً من العلم، ولا معنى أبداً لأن يستمر الرجل قواماً عليها بعد كل ذلك.

وقالوا – فيما قالوا – إن تفضيل الرجل على المرأة مشروط بأمرين، الأول خلقى وهو قوة الرجل للدفاع عنها، فإن فقد القوة فقد القوامة، والثانى كسبى وهو الإنفاق، فإن فقد الإنفاق كانت لها هى القوامة، والمرأة الآن تدافع عنها الحكومة ككل أفراد الدولة، وأصبحت تكسب بنفسها وتنفق على الأسرة (أهرام ١١ / ٦ / ١٩٦٣م).

وقد حاول هذا المتكلم أيضاً فى اجتماع من الاجتماعات أن يواجه شعور الناس بعدم جرح كرامة الرجال فى قوامتهم على النساء، فقال: ليس معنى القوامة تفضيل الرجل عليها، بل معناها أنه مسئول عنها، وأن هذه المسئولية مستمرة حتى لو كانت المرأة تعمل وتكسب (أهرام ١٨ / ٣ / ١٩٦٣). وهذه كلها سفسطة يتزلف بها إلى المرأة، وتطوير يخرج على حدود الطبيعة البشرية والقوانين السماوية. وقد انتقم الله ممن وضعوا بذرة هذا التطوير.

ولشعور الرجل بقوته المادية والأدبية قد يفكر فى احتقار المرأة أو استغلال ضعفها أو الاستغناء عن التعاون على مهام الحياة، وقد تبادله هى أيضاً هذا الشعور، بعامل التعويض أو مركب النقص كما يقولون.

لهذا جعل الله الشهوة الجنسية فيهما قوية، وجعلها فى الرجل أقوى، كما

تقدم بيانه، وذلك ليدوم الاحتياج إليها، حتى يكون النسل الذى يحافظ به على حياته النوعية، وحتى يكون التعاون على تحقيق الخلافة فى الأرض.

كما جعل الله حاجة الإنسان عامة إلى ما يطعمه ويسقيه ويستره ويؤويه قوية أيضاً كى يحافظ على حياته الشخصية. وكانت هاتان الحاجتان غريزتين من أقوى الغرائز فى الإنسان، إن لم تكونا أقواها على الإطلاق، حتى أن بعض الباحثين حاول أن يرجع إليهما كل الغرائز، بل كاد أن يخص بها الغريزة الجنسية وحدها.

ولعل مما يشير إلى ذلك البدء بها فى قائمة الشهوات فى قوله تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ** ﴾ [آل عمران: ١٤]، فالشهوة همزة الوصل بين الرجال وبينهن، والبنون ثمرة الاتصال، وهم امتداد لحياة النوع، والقناطير المقنطرة وما بعدها تلبية نداء الغريزة الشخصية التى يوجد بها الشخص ويبقى حيًا. وقد تقدم فى ص (٨) القول القائل: إن الله قرن ثلاثة بثلاثة، قرن الشهوة بالزواج، فلولا الشهوة ما تزوج أحد، ولولا الرياسة ما طلب أحد العلم، ولولا الآمال ما عمرت الدنيا «مفيد العلوم للخوارزمى ص٢٠٦».

وكان لا بد لاستقامة الحياة وانتظامها على الأرض، وبخاصة بعد كثرة النسل وتعدد الأشخاص، من قواعد محددة لتنظيم العلاقة بين الجنسين، وهذا ما جاءت به الشرائع، ووضعت له القوانين.

* * *

الفصل الأول

منزلة المرأة قبل الإسلام

لا يوجد فى القوانين والشرائع والأديان مثل ما جاء به الإسلام فى تحديد القواعد وتنظيم العلاقات البشرية، ولا يتضح وضع المرأة بالنسبة إلى الرجل فى الإسلام إلا بعد الإشارة، ولو بإيجاز، إلى وضعها فى العالم قبل مجىء الإسلام، وفى البيئات التى لا تدين به.

ومن الملاحظ عند عقد مقارنة بين شيئين لإظهار فضل أحدهما على الآخر أن تتعقب العثرات ونقط الضعف. وتحصر النقائص والمثالب مع إغفال المزايا والمحامد، لتتضح الصورة المشرقة للطرف الآخر الذى يحاول إخفاء ما عنده من عيوب حتى لا يكون لها أثرها فى الموازنة.

وهذا الإجراء غير سليم فى منهج الدراسة الجادة التى تبحث عن الحق من أجل الحق، ومن هنا ينبغى إظهار ما لكل طرف من مزايا ومحامد، حتى يسهل الحكم بفضل أحدهما على الآخر، فيصيب أو يقارب الإصابة حسب الاجتهاد.

وهذه الملاحظة موجودة فى كثير مما يكتب خاصًا بالإسلام، لإظهار فضله على الأديان والشرائع الأخرى، وتتضح أكثر فى كل قضية يثار حولها الجدل، ويراد بيان موقف الإسلام منها، كقضية المرأة التى هى من أهم القضايا فى مناقشات العصر الحديث.

فإذا نقلنا صورة قاتمة عن المرأة فى غير الإسلام فليس معنى ذلك أنها كانت مهضومة الحقوق كلها، وأن شعبها جردها من كل مزية. وأنها لم تظهر بمزية من المزايا كغيرها من النساء، ولا ننسى أن هذا الإجراء الذى نراه مجحفًا قد يكون له ما يبرره بحسب الظروف والبيئة التى وضع فيها هذا التشريع، فقد يكون الشىء حسنا فى بيئة وظرف ما، ويكون غير ذلك فى بيئة وظرف آخر، والشرائع السماوية فيها تشريعات مختلفة فى فروع الأحكام تتناسب مع كل بيئة وزمن،

قال تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ [المائدة: ٤٨]، وذلك مع الاتفاق على أصول الدين من التوحيد والنبوات والمعاد.

فالواقع أن هناك بعض التشريعات التى أعطت المرأة مزايا تمتعت بها قديمًا، ولكن المأخوذ عليها هو عدم استكمال هذه المزايا والحقوق، وبخاصة ما كان منها أصلاً تمليه الفطرة الإنسانية، وتوجبه الكرامة الإنسانية. فإن الإجحاف بهذه الحقوق يعد طعنًا فى التفكير البشرى، ونكسة فى السلوك الإنسانى، ولبروزه بقوة يغطى عند الحكم على المزايا الجانبية الأخرى، كأنها لا شىء بجواره.

وكان موقف الإسلام من هذه الأوضاع الشاذة هو تصحيحها، والنعى بشدة على إسقاطها من الحساب عند التشريع، وإبراز هذه الصور المنسية إبرازًا تتضح به عدالة الإسلام فى ضمان الحقوق الكاملة للمرأة.

على أن المقارنة قد تعتمد، فى نظر بعض الباحثين، على كمية الحقوق التى نالتها المرأة فى العصور الأولى بالنسبة إلى ما نالته فى ظل الإسلام. مع أن الحكم على ظلم تشريع بالنسبة إلى المرأة، قد يعتمد على نقص كمية ما أعطيته بالنسبة إلى ما سلبته، وقد يعتمد على الكيفية التى صدر بها تشريع أو سلب، بصرف النظر عن كمية الحقوق، فيكون فيه من البشاعة مثلاً فى سلب حق لها حتى لو كان قليلاً، ما يتنافى مع الفطرة الإنسانية، وهنا يثقل الميزان عند المقارنة معتمداً على الكيف أكثر من الاعتماد على الكم.

فوأد البنات مثلاً فى الجاهلية عمل غير إنسانى، قد تترفع عنه الحيوانات العجماوات. وما ورد فى قوله تعالى: ﴿ **لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ** ﴾ وحرمانها من ميراث أبيها أو أقاربها فيه ظلم صارخ للمرأة وسلب لحريتها الشخصية وإهدار لكرامتها الإنسانية، وليس معنى هذا أن العرب بعامة كانوا كذلك فى نظرتهم إلى المرأة، فإن كثيراً من هذه المآخذ كان تطرفًا وتماديًا فى تحقيق مبدأ كريم كالغيرة على المرأة، وصون كرامتها، فهم يرون أن مواراتها عن الوجود أهون من أن تعيش منتهكة العرض قسراً تحت

سمع ذويها وبصرهم، كالأسيرات مثلاً، والإسلام عاب عليهم تطرفهم وجاء بشريعة الوسط والاعتدال، تحفظ لها حقها فى الحياة وتحوطها بالرعاية ليحفظ عرضها وشرفها، وبالتالى لا يهان شرف الأسرة ولا تهدر كرامتها.

وبالنظر إلى التشريعات العامة بالنسبة للمرأة فى البيئات المختلفة نجد أن المرأة عند عرب الجاهلية كانت تتمتع بحقوق ما كانت تتمتع بها غيرها من النساء. فلئن كان وضعها مهيناً فى الجاهلية بالنسبة إلى وضعها فى الإسلام، فقد كانت إذ ذاك أحسن بكثير من مثيلاتها فى الشرائع الأخرى.

على أن الحكم على وضع شاذ لا يلزم منه أن يكون طابعًا عامًا فى كل القوم، فقد يكون خاصًا بجماعة منهم، لكنه لبشاعته وعدم مقاومته من غيرهم نسب إليهم جميعًا، وقد يكون تكييف الحكم مراعى فيه اختلاف البداوة والحضارة، واختلاف الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وغيرها من أنواع الاختلاف.

هذا، ولما كان أقوال الكاتبين فى بيان منزلة المرأة فى الشرائع الأخرى مختلفة الأسلوب والزوايا التى سلطت عليها الأضواء، أحببت أن أوردها منسوبة إلى أصحابها، على الرغم مما قد يكون من تشابه فيما بينها، يشق اختزاله الذى يتخلله الكثير من الرد لقائليها وتضيع به لذة القراءة وتتبع الفكر.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا فى كتابه «نداء إلى الجنس اللطيف»: كانت المرأة تشترى وتباع كالبهيمة والمتاع، وكانت تكره على الزواج والبغاء، وكانت تورث ولا ترث، وتُمْلَك ولا تملك، وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل، وكانوا يرون للزوج الحق فى التصرف فى مالها ومن دون إذنها، وقد اختلف الرجال فى بعض البلاد فى كونها إنساناً ذا نفس وروح خالدة كالرجل أم لا، وفى كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا، وفى كونها تدخل الجنة أو الملكوت فى الآخرة أم لا. فقرر أحد المجامع فى رومية أنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود، ولكن تجب عليها العبادة والخدمة،

وأن يكم فمها كالبعير أو الكلب العقور، لمنعها من الكلام والضحك، لأنها أحبولة الشيطان، ولم يعترف بأنها إنسان إلا فى القرن السادس حين اعترفت فرسنا فى سنة ٥٦٨م بأنها إنسان خلق لخدمة الرجل، وكانت أعظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته، وكان بعض العرب يرون أن للأب الحق فى قتل ابنته، بل فى وأدها، أى دفنها حية أيضًا. وكان منهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل فى قتل المرأة ولا دية، انتهى بتصرف.

وإذا كانت المرأة تعامل هذه المعاملة فإن ذلك، كما قلت، لا يمنع أن تكون بعض البيئات قد أعطتها شيئًا من التكريم يختلف باختلاف العصور والظروف، ومع ذلك فإننا سنوضح هذا الكلام بشىء من البسط، مقسمين الحديث إلى أقسام، قسم يبين حالها فى الشرائع القديمة غير الدينية، وقسم يبين حالها فى الشرائع الدينية، وقسم يبين حالها فى الشرائع الحديثة التى جاءت بعد الإسلام.

القسم الأول :

١ - البدائيون :

لقد جعلت الجماعات الفطرية المرأة فى صفوف الألغاز، كالرعد والبرق، وذلك لما لها من تأثير على نفس الرجل وأحاسيسه، حتى أن بعضهم عبدها عبادة القوى الخفية، وسموها «المانا». وفى عهود القنص ظلت هى حبيسة البيت فى مركز منحط، لا تخرج مع الرجل لأنها شؤم عليه فى عمله، ولهذا كان يفكر إذا لم يوفق فى الصيد أن زوجته خانته فى المنزل.

وصائد الحوت فى مدغشقر يحبسها وراء الأقفال، ولا يقربها قبل السفر بمدة طويلة، ليضمن الغنيمة فى سفره. ومن هنا كان لها أن تتخذ عدة أزواج، ويكون لها المركز الأهم فى الحياة[١].

---

(١) المرأة فى مختلف العصور لأحمد خاكى.

٢ - مصر:

سما مركز المرأة فى مصر، فعبدها المصريون ومن آلهتهم «إيزيس» التى هى رمز الخصب والنماء. ولهذا كانت البيئات الزراعية، وهى الغالبة فى مصر، تشارك المرأة فيها الرجل فى العمل إلى حد كبير، وذلك لاعتقادهم فى العلاقة بينها وبين الخصب.

ومن مظاهر احترام المصريين لها رسمها بجانب الرجل، وتوليها الملك، مثل حتشبسوت، نيتوكريس. ومع ذلك فهى فى وضع أدنى من الرجل، لأنه سيدها، على ما مر ذكره ﴿ **وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ** ﴾.

يقول القليوبى المتوفى سنة ١٠٦٩ فى نوادره: لما أغرق الله فرعون وجنوده بقى النساء بلا رجال، فتزوجن الخدم، فكان الخادم يقول لزوجته «ستى» أى سيدتى، واستمر ذلك إلى زماننا هذا. ولا أدرى مدى صحة هذا الكلام، وإن كان ممكن القبول عقلاً بصرف النظر عن كون هذا اللفظ «ستى» كان فى اللغة المصرية القديمة منذ خمسة آلاف سنة كما فى أهرام ٨/٣/١٩٨١م وما زال موجوداً بمعناه إلى الآن.

ويقول الكاتبون: إن ألوان الصور المصرية القديمة تدل على أن الرجل كان يعمل خارج البيت، والمرأة مستقرة فيه، وذلك لسمرة الرجل وصفرة المرأة، ولهذا كان لقبها المصرى القديم «نبت بر» أى ربة البيت. وإن كانت تقوم ببعض الأعمال الخارجية مشاركة منها فى سعادة الحياة الزوجية. وقد مر فى الحديث عن الحجاب قول هيرودوت عن نساء مصر: إنهن يخرجن إلى الأسواق، ويمارسن التجارة.

ويقول «خاكى»: كثرت فى آداب المصريين القدماء وصاياهم بالمرأة فى حسن معاشرتها، يقول «بتاحْ حُتبْ» سنة ٣٣٥٠ ق.م[١]. إذا أصبحت رجلاً ذا

---

(١) بتاح حوتب أقدم كاتب فى العالم يرجع إلى ٣٢٠٠ ق. م كما فى «عادات الزواج للشنتناوى ص٩٩».

مركز فأقم لك بيتاً، أى تزوج، وأحب زوجتك فيه كما يجب أن يكون، أطعمها الطعام، وألبسها اللباس، وأعد لها الزيت، لأن فيه شفاء أعضائها، وأدخل على قلبها السرور ما عاشت، فإنها حقل يدر عليك الخير، ولا تجادلها، فإنها لن تسلك سبل العنف إذا أنت ترفقت بها، وقد جاء فى وصايا «أنى» حكيم الدولة الحديثة: أطع والدتك واحترمها فإن الإله هو الذى أعطاها لك، لقد حملتك فى بطنها حملاً ثقيلاً ناءت بعبئه وحدها دون أن أستطيع لها عوناً. وعندما ولدت قامت على خدمتك أم رقيقة لك ثم أخذت تتعهدك بالإرضاع ثلاث سنوات طوال، وعندما اشتد عودك لم يسمح لها قلبها أن تقول: لماذا أفعل هذا؟. وكانت ترافقك فى كل يوم إلى المدرسة لتدرس وتتعلم وتتهذب، ثم تغدق على معلمك خبزاً وشراباً من وفير خيرات بيتها، والآن وقد ترعرعت واتخذت لك زوجة وبيتاً فتذكر أمك التى ولدتك وأنشأتك تنشئة صالحة، لا تدعها تلمك وترفع أكفها إلى الله فيستمع شكواها «تاريخ الحضارة المصرية طبعة وزارة الثقافة والإرشاد ج١ ص١٣٣، ١٣٤». ومن مظاهر تكريم المرأة فى مصر الفرعونية أن الرجل إذا تزوجها ظلت فى بيت أهلها ويعيش هو معها، كأنه ضيف، وظل ذلك حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة. وكان أثاث البيت ملكًا لها ولبناتها، وكانت سيدة البيت الحقيقية ولا تعلو عليها كلمة الزوج فيه، وكانت تمثل فى آثار الدولة القديمة جالسة على المقعد الذى يجلس عليه الزوج، ويدها على كتفه رمزاً للحياة والملك، وكان ينقش فى قبر الزوج صورة زوجته أو زوجاته، ولم يكن يحوى قبر الزوجة نقشاً أو تمثالاً لزوجها. وكان عبء الإنفاق على الوالدين عند الشيخوخة يقع على عاتق البنات وليس على عاتق الذكور. «عادات الزواج للشنتناوى ٩٠-٩٣» وجاء فى ص٩٦ منه أن عقد الزواج كانت هى الطرف المتعاقد الوحيد وتملى شروطها فيه على الزوج، ومما جاء فيه: إذا تركتك بصفتك زوجاً لى بسبب كراهيتى لك أو لأنى أحببت رجلاً آخر غيرك فإنى سوف أعطيك مثقالين ونصفاً من الفضة، وأرد إليك المعيارين ونصفاً من الفضة التى

أعطيتنى إياها كهدية عرس. وكان فى استطاعتها أن تطلق زوجها متى شاءت دون إبداء سبب، فهى وحدها التى تملك حق الطلاق دون الرجل، وكان ينص فى العقد على ذلك، ففى أحد العقود: إنك وحدك لك الحرية فى فسخ الزواج. وجاء فى ص١٠٢ أن مركزها سماحتى أصبحت إحداهن حاكمة لإقليم الفيوم، وأخرى كبيرة قواد الإقليم الغربى. ولكن وجد اتجاه إلى الحد من سلطان المرأة وأصبحت فى العصور المتأخرة لا يحق لها الطلاق بل أصبح من حق الرجل. ومن الملكات فى مصر الفرعونية (مريت نيت) فى أواخر الأسرة الأولى. وقد حكمت بعد اضطرابات فأعادت الأمن إلى البلاد، خنتكاوس من الأسرة الرابعة ولقبت بملكة مصر العليا والسفلى، نبت أفرت حكمت ١٣ سنة ساد فيها الرخاء، حتسبسوت، أشهر ملكات مصر ومن أشهر نساء العالم. أنشأت أسطولاً تجاريًا وآخر حربيًا صان استقلال البلاد، ولقبت بابن الشمس وسيد الأرضين، وذلك أنها كانت تلبس ملابس الرجال، وتضع لحية مستعارة فى المناسبات الرسمية (من أهرام ٣١/١/١٩٧٩).

٣ - بابل:

فى بابل احترمت المرأة، كما جاء فى تشريع حمورابى[١] الذى نهى عن تعدد الزوجات إلا للمرض المزمن والفقر، وجعل الرجل مسئولاً عنها وعن ديونها ومأواها، وجعل ميراثًا لها ولأولادها، وأباح لها القضاء والشهادة والكتابة[٢] وسيأتى مزيد توضيح لذلك فى الجزء الثالث إن شاء الله.

٤ - الهند:

يقول أبو الأعلى المودودى: هناك اتجاهان فى الهند، أولهما جعل المرأة مملوكة لأبيها، ثم لزوجها، ثم لأولادها، تحرق بعده إذا ماتت، وتحرم الملكية

---

(١) انظر تاريخه فى أول هذا الجزء.

(٢) خاكى.

والإرث، وتزوج بغير رضاها، ويعتقد أنها مادة الإثم وسبب الانحطاط. والثانى يتجه إلى تكريمها والمبالغة فيه، حتى تكون عند الرجل أداة متعة وهوى.

وهذه التقاليد الهندوكية من تقديس فرج الذكر والأنثى «لنك، يونى» وعبادة التماثيل العارية، وتكريم خادمات المعبد العاهرات اللاتى يطلق عليهن اسم «العاهرات الدينيات».

واختلاط الجنسين فى ألعاب عيد «هولى» وفى الغسل المطهر فى المياه المقدسة. كلها بقايا حركة «البام ماركيه» التى انتشرت فى الهند عقب ازدهار حضارتها، كما انتشرت فى بابل وفارس والروم واليونان.

ويقول الدكتور على وافى فى كتابه «المساواة فى الإسلام ص٥٢»: تنص الشريعة البرهمية الهندية على أن المرأة تظل طول حياتها تحت سيطرة الرجل، ومنفذة لأوامره، وليس لها الحق فى أى تصرف قانونى، ولا أن تبرم أى أمر وفق مشيئتها. وإلى هذه الأحكام تشير المادتان ١٤٧، ١٤٨ من قوانين «مانو» إذ تقرران: أنه لا يحق للمرأة فى أية مرحلة من مراحل حياتها، أى سواء فى طفولتها وفى شبابها وفى شيخوختها، أن تجرى أى أمر وفق مشيئتها ورغبتها الخاصة، حتى لو كان ذلك من الأمور الداخلية لمنزلها «مادة ١٤٧». ففى مراحل طفولتها تتبع والدها، وفى مرحلة شبابها تكون تابعة لزوجها، فإذا مات زوجها تنتقل الولاية عليها إلى أبنائه، فإن لم يكن له أبناء تنتقل الولاية عليها إلى رجال عشيرته الأقربين. فإن لم يكن له أقرباء انتقلت الولاية عليها إلى عمومتها، فإن لم يكن لها رجال عمومة انتقلت الولاية عليها إلى الحاكم. فليس للمرأة فى أية مرحلة من مراحل حياتها حق الحرية والاستقلال، ولا التصرف وفق ما تشاء «مادة ١٤٨هـ». اهـ.

وجاء فى كتاب تاريخ العالم ص٣٩٤ ترجمة وزارة المعارف المصرية: أنه فى أساطير «مانو» أن مانو عندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش والمقاعد والزينة والشهوات الدنسة والغضب والتجرد من الشرف والسلوك السيء، فالنساء دنسات كالباطل نفسه، وهذه قاعدة ثابتة.

وجاء فى كتاب « حضارة الهند » تأليف : ول ديورانت . ترجمة د . زكى نجيب محمود « ص١٧٩ » : أنه فى تشريع « مانو » أن الزوجة الوفية ينبغى أن تخدم سيدها، أى زوجها، كما لو كان إلهاً، وألا تفعل شيئًا من شأنه أن يؤلمه، حتى لو خلا هو من الفضائل، وكانت المرأة، بناء على ذلك، تخاطب زوجها فى خشوع، قائلة : يا مولاى، وأحيانًا : يا إلهى، وتمشى خلفه بمسافة، وقلما يوجه إليها هو كلمة واحدة، وكانت لا تأكل معه، بل تأكل مما يتبقى منه .

٥ - الصين :

كانت المرأة فى الصين القديمة فى وضع غير . فهم يعدونها فى مؤخرة الجنس البشرى، وكان من أغانيهم : ألا ما أتعس المرأة فى حظها، ليس هناك شىء أقل من قيمتها، إن الذكور من الأولاد يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة نزلوا من السماء، أما البنات فإن أحداً لا يسر بولادتهن، وإذا كبرت البنت اختبأت فى حجرتها، تخشى أن تنظر فى وجه إنسان، ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها . . « من كتاب الإسلام والمرأة المعاصرة » للبهى الخولى، نقلاً عن كتاب حضارة الصين « تأليف : ول ديورانت ص٢٧٣ - ترجمة محمد بدران » .

٦ - اليونان :

المرأة فى اليونان وضعها مختلف فى « أثينا » عنه فى « أسبرطة » وهما المدينتان القديمتان الكبيرتان اللتان تمثلان حضارة اليونان، فيقول « خاكى » : فى أثينا احتقرت المرأة، لأنها لم تشارك الرجل فى الزراعة، وكانت الدولة وسياستها فى أثينا محور النشاط كله، على المستوى الفردى والحكومى، والفرد فيها لا قيمة له فردية، فعمله كله للحكومة، وعمل المواطنين كله للحرب وخدمة الحكومة، والأعمال اليدوية وكلت إلى الرقيق، والمرأة لم تختلط بالرجال، فقلت ثقافتها، وضعفت شخصيتها . ولهذا كان الرجل يغار عليها ويحجبها، فكانت فى كل وقتها ملازمة للبيت دون عمل، لأن الرقيق يقوم بخدمة المنزل، والرجل له الحياة العامة، ولهذا كانت صلته بالمرأة منقطعة أو ضعيفة . وكانوا لا يورثونها حتى لو لم يكن للميت ذكر، فإنهم كانوا يعطون الميراث لأرشد الذكور من الأقارب .

وعلى الرغم من تقدم الحضارة فى أثينا فإن المرأة فى أزهى العصور بقيت متأخرة، وإن كان بعض المصلحين والفلاسفة جعلوا لها شيئًا من الاحترام فى كتاباتهم، كالكاتب المسرحى «يوربيدس» الذى ندد بمعاملة الرجال للنساء بقسوة، وكأفلاطون الذى قال بفكرة المثل العليا، حيث خدم المرأة عن غير قصد، لأن الناس سموا بمنزلتها. واعتبروا أن أصلها مخلوق من الجمال والنور.

وفى «اسبرطة» كان للمرأة شأن فى الحياة، وكان الأثينيون يعيرون الأسبرطيين بأنهم جماعة رجال تحكمهم نساؤهم. وذلك لأن اسبرطة كانت مهتمة بتربية الأطفال وتقوية الأفراد من أجل الحرب، فكانت مهمة المرأة الإنتاج والتربية والقاسية للأولاد وتخريجهم شجعانًا للميدان، ومن هنا كبتت عندها عواطف الحنان. انتهى خاكى.

ويقول «ول ديورانت» فى حياة اليونان ترجمة محمد بدران ص١١٤–١١٧:

كانت المرأة معزولة عن المجتمع حتى فى العصر الذهبى. وقال بعض مفكريهم: يجب أن يحبس اسم المرأة فى البيت كما يحبس جسمها. وكان ينظر إلى الزوجة على أنها ولادة أطفال، مثلها فى هذا العمل كخادم البيت، عمله الخدمة، وأما الحب فكان شيئًا غير معتنى به نحو الزوجة. يقول «ديموستين» خطيبهم المشهور: إننا نتخذ العاهرات للذة، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية، ونتخذ الزوجات ليلدن لنا الأولاد الشرعيين.

ويقول المودودى عن اليونان: لقد اتخذت أساطيرهم امرأة خيالية تسمى «باندورا» ينبوع جميع آلام الإنسانية ومصائبها اهـ. ومن هنا أهملوا تعليمها، كما يقول الدكتور وافى فى كتابه «المساواة ص٥٤». ونقل عن أرسطو قوله فى كتابه «السياسة» إن الطبيعة لم تزود النساء بأى استعداد عقلى يعتد به، ولذلك يجب أن تقتصر تربيتهن على شئون تدبير المنزل والحضانة والأمومة. وقال: كان هذا الرأى معبرًا عن وجهة نظر الشعب كله.

وكذلك لما جاء أفلاطون، ونقضه فى كتابه «الجمهورية» كان موضع تهكم. وقد ألف «أريستوفان» عميد شعراء الكوميديا إذ ذاك تمثيليتين للسخرية بآرائه، هما: برلمان النساء، بلونوس.

٧ - الرومان:

يقول محمد فريد وجدى فى كتابه «تاريخ الحجاب»: كانت المرأة فى الرومان أمة، وولدها عبد، والرجل يتصرف فيها كما يتصرف فى الدابة، بل إن الأوامر الدينية كانت ضدها، يقول «جوستاف لوبون»: إن الفتاة لم تكن تستطيع أن تتصل برجل واحد، لا ينالها قبل أن تدخل فى حوزة القسيس، بأن تكون له زوجة أو أمة، ويقول أيضًا: إن التعاليم الدينية عند الأمم القديمة كانت تأمر المرأة أن تسلم نفسها لأجنبى قبل الزواج، على أن ذلك له ظل الآن، يقول «جوستاف» نقلاً عن دراسة نشرتها المجلة العلمية: إن السفاح بين الفتيان والفتيات قبل الزواج، وفى أعراسه وفى المراقصات العامة لا يزال عادة مرعية عند أقوام من أهل أوروبا يعيشون فى هذا العصر، فهم يرون أن مما تعاب به الفتاة أن تتخلف عن هذا السفاح، كما يرون أن العفاف شىء مستهجن، حتى ليصعب على الفتاة التى لا تحمل سفاحًا قبل الزواج أن تجد لها رجلاً يتزوجها. اهـ.

ويقول محمد قطب فى كتابه «شبهات حول الإسلام». إن المرأة عند اليونان والرومان إذا جاء عهد كرموها فيه فإن ذلك بصفتهن الشخصية، أو لنساء العاصمة بوصفهن زينة المجالس وأدوات الترف، لا لأجل احترامها كمخلوق إنسانى له كرامة، وظل الوضع كذلك فى عهود الرق والإقطاع فى أوروبا، والمرأة غارقة فى جهالتها، تدلل حينًا للترف، وتهمل حينًا كالحيوانات.

ويقول المودودى: عندما خرج الرومان من دور الهمجية كان الرجل رب الأسرة وصاحب السلطان، حتى كان له أن يقتل زوجته فى بعض الأحيان، ولما تقدموا فى الرقى استوت كفة المعاملة بين الرجل والمرأة.

ويقول «خاكى»: فى العصور الأولى لتاريخ الرومان جعلوا المرأة تابعة للرجل، تأتمر بما يريد، فعند زواجه بها تنتقل تبعيتها له، وتصير ابنة له، وحرمت كل عمل غير الزوجية، فليس لها أن تتوظف ولا أن تشهد، ولا تعقد، ولا ترث إلا من زوجها وأخيها، وأعفتها الحكومة من بعض القوانين مراعاة لضعفها.

ثم يقول: وبعد قرن أو قرنين احتفظت المزوجة بعلاقتها بأبيها، على الرغم من زواجها، فهى تعتبر كعارية عند الزوج، ترد لأبيها عند موته أو طلاقها منه، وكان النضال من أجل علاقة الزوج والأب بها سبباً من أسباب إيجاد كثير من الحرية للمرأة، فكبر مركزها، وظهرت نساء كثيرات فى المجتمع الرومانى، على عكس المجتمع اليونانى، وطغى سيلها حتى شكا بعض المشرعين منها، فنادى بعض أعضاء «التربيون» بفرض قانون يحرم عليها أن تمتلك أكثر من نصف أوقية ذهب، وأن تلبس ثياباً ملونة، وأن تركب عربات إلى مدى ميل من روما إلا فى الحفلات العامة، ولهذا كونت عصبة منهن للمطالبة بحقوقهن كما تقدم ذلك فى الباب الأول من هذا الكتاب.

٨ - العرب:

لو نظرنا إلى المرأة العربية فى الجاهلية، وقارنا حالها بحالها بعد الإسلام، لوجدنا أنها كانت محرومة من حقوق كثيرة، ولكن هذا لا يمنع أن يكون العرب قد نظروا إليها نظرة احترام فى جوانب أخرى، وكانت البدوية تنتقل مع زوجها فى الوديان، ويحافظ عليها كالمتاع، ويقول الشعر فيها، كما كانت الحضرية التى تعيش فى البيئة التجارية فى مكة والمدينة مثلاً ذات حقوق، كمزاولة مهنة التجارة، بدليل نشاط خديجة، فالمرأة الحضرية لها كيان تحس بوجودها أكثر مما تحس به البدوية التى كانت تابعة كل التبعية لزوجها صاحب المركز الأول.

ولعل مما يعطى صورة عن وضع المرأة واختلافه باختلاف البيئات ما رواه مسلم «ج ١٠ ص٨٥» فى موضع تخيير المرأة بين البقاء مع زوجها وطلاقها، من قول عمر رضى الله عنه: والله إن كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله

فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم. قال: فبينما أنا فى أمر ائتمره إذ قالت لى امرأتى: لو صنعت كذا وكذا!! فقلت لها: ومالك أنت ولما هنا، وما تكلفك فى أمر أريده؟ ... وقوله فى رواية أخرى «ص٩٠»: كنا معشر قريش قومًا نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم.

فكما أن العرب فى الجاهلية بوجه عام هضموا المرأة بعض حقوقها أعطوها حقوقًا أخرى، وإذا كانت فى بيئة مغلوبة على أمرها كانت فى بيئة أخرى لها كيانها واحترامها، ومهما يكن من شيء فإن من مظاهر تكريمهم لها فى الجاهلية ما يأتى:

(أ) المحافظة على عرضها وشرفها والدفاع عن كرامتها بالروح والدم، فحرب داحس والغبراء، والفجار الثانى فى عكاظ وموقعة ذى قار لحماية حُرَّقَة بنت النعمان من أكبر الأدلة على ذلك، وقد تقدم ذكرها فى مقاييس اختيار الزوجين. وكذلك حادث عمرة بنت الحباب التغلبية.

حيث يقول الشيخ عبد الله عفيفى فى كتابه «المرأة العربية».

كان لبيد بن عتبة الغسانى واليا على ربيعة من قبل ملك اليمن، ثم تزوج منهم عمرة بنت الحباب التغلبية، فجلس يومًا يحدثها فقال: ما بال كليب ينصر مضر ويتهدد الملوك؟ فقالت: لا أعلم فى ولد إسماعيل ذا لبدة هو أشد منه، فهاج غضبًا ولطمها، وقال لها: أترين أنك حرة؟ أنت أمتى، فاقبلى ما يأتيك منا معشر الملوك. فقالت: أنا أكرم منك. ثم خرجت مغضبة حتى انتهت إلى كليب وهى تقول:

ما كنت أحسب والحوادث جمة ... أنا عبيد الحى من غسان
حتى علتنى من لبيد ضربة ... سجرت لها من حرها العينان
إن ترض تغلب وائل بفعالهم ... تكن الأذلة عند كل رهان

فلما سمعها كليب خرج حتى هتك على لبيد قبته، وصدع بالسيف

هامته. ثم جمعت اليمن جحافلها، وجمعت مضر وربيعة كذلك جحافلها. وقاد الأولين عمرو بن بابل اللخمى، ورأس الآخرين كليب بن ربيعة التغلبى. واقتتل الفريقان من صبيحة اليوم إلى أصيله فى موقعة ضارية، بذلت فيها المهج، وبيعت الأرواح بيع السماح.

اللبدة بكسر اللام وضمها: الجماعة من الناس، يقيمون وسائرهم يظعنون كأنهم بتجمعهم تلبدوا.

ومما جاء فى ثورتهم لحفظ كرامة المرأة، خبر حرب الفجار الثانى عام ٥٨٠م وسببها ثورة امرأة من بنى عامر بن صعصعة، حيث كانت تسير فى السوق وقد أسدلت نقابها على وجهها، ورآها بعض الشبان فأخذوا يعاكسونها لتكشف القناع فأبت ونهرتهم، فتسلل أحدهم وشد ثوبها من الخلف إلى ظهرها بشوكة وهى لا تدرى، فلما تنبهت سخروا منها وقالوا: منعتنا من الوجه فشاهدنا أكثر منه، فصرخت.... يا للعار فاندلعت الحرب بسببها.

وكذلك قصة ليلى ا لعفيفة درة ربيعة التى سمع ملك الفرس بجمالها فأراد أن يضمها إلى نسائه، فخطفها جنوده ليلاً، وأبت أن تستسلم إلى الملك، وأخذت تبكى فراق أهلها بشعر تذكر فيه حبيبها:

ليت للبراق عينا فترى ما ألاقى من بلاء وعنا

فانضم العرب إلى قبيلتها ربيعة وحبيبها وابن عمها البراق حتى خلصوها من الغاصبين، هاتان الحادثتان فى أهرام ١٩٧٤/٩/٣٠ وكذلك حادث عمرو بن هند مع عمرو بن كلثوم، فقد أراد أن يستذل أمه «ليلى بنت مهلهل» فثار ابنها، وقتل الملك فى ثورته، وقال فى ذلك قصيدته المشهورة وخطب بها فى عكاظ، ومطلعها:

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا[1]

---

(١) المرأة فى الشعر الجاهلى للحوفى ومجلة الأزهر مجلد ٩ ص٧١٢.

ومن مظاهر تكريمها قول مرة بن محكان السعدى:

يا ربة البيت قومى غير صاغرة ضمى إليك رحال القوم والقربا

(ب) قولهم الشعر الرصين فى المرأة لأغراض متعددة، كالغزل من أجل استجلاب تقديرها لشجاعته مثلاً، كقول عنترة:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى
يخبرك من شهد الوقيعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم

أو العطف عليها كقول حطان بن المعلى فى بناته:

لولا بُنيَّات كَزُغْب القطا رُدِّدن من بعض إلى بعض(١)

(جـ) احترام رأى المرأة عند الزواج إن لم يكن هناك مطمع فى مالها كالحال الشاذة التى سنذكرها بعد، وقد سبق فى الجزء الأول خبر استشارة والد هند لها عندما خطبها سهيل وأبو سفيان، وكذلك استشارة بهيسة فى زواجها.

(د) أخذ رأيها فى المشاكل العامة واشتراكها فى الأحلاف، ذكروا أن بشر ابن أبى حازم – وكان عبداً – هجا أوس بن حارثة الطائى، وذكر أمه « سعدى » فأغار أوس عليه وأراد التنكيل به، فأشارت عليه أمه بالعفو عنه والإحسان إليه، ففعل. فقالت له: يا بنى، مات أبوك فرجوتك لقومك، فأصبحت أرجوك لنفسك، زعمت أنك ستنكل برجل هجاك، فمن يمحو ما قاله غيره؟ قال: فماذا أصنع؟ قالت: تكسوه حلتك، وتعطيه مائة ناقة، فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه، ففعل ما أمرته، فمدحه بشر بقصيدة محابها الهجاء السابق(٢).

ومن اشتراكها فى الأحلاف اشتراك عاتكة بنت مرة بن هلال زوجة عبد مناف فى حلف الأحابيش، واشتراك أم حكيم أو أختها عاتكة بنت عبد المطلب فى حلف المطيبين وهو حلف بين بنى عبد مناف ومن انضموا إليهم فى خلافهم

---

(١) بقية الأبيات فى الجزء الرابع من هذه الموسوعة.
(٢) الكامل للمبرد وتاريخ ابن الأثير والمرأة فى الشعر الجاهلى للحوفى.

مع بنى عبد الدار بعد وفاة قصى بن كلاب، فقد أخرجت نساء بنى عبد مناف جفنة مملوءة طيبًا فوضعها بنو عبد مناف لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة فغمس القوم أيديهم فيها ثم مسحوا بها الكعبة توكيدا على أنفسهم ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضًا، وقيل إن التى أخرجت لهم الجفنة هى أم حكيم أو عاتكة بنت عبد المطلب «أم النبى لبنت الشاطئ».

(هـ) احترام جوارها، فقد حمت ريطة بنت جدل الطعان، دريد بن الصمة، عندما أسره بنو فراس، وكذلك قصة فكيهة بنت قتادة، خالة طرفة بن العبد، فقد أجارت السليك بن السلكة. عندما أسره جماعة من بنى مالك، وأفلت منهم، فدخل عليها، واستجار بها، فجعلته تحت درعها، واخترطت السيف، فلما تكاثروا عليها كشفت خمارها عن شعرها، وصاحت مستغيثة بأخوتها، فدافعوا عنها، حتى نجا السليك وكان كليب سيد بنى تغلب مشهوراً بحماية الصيد، ويقول: صيد ناحية كذا وكذا فى جوارى، فلا يصاد، وضرب به المثل، فقيل: أعز من كليب وائل. وليس على الأرض بكرى أو تغلبى أجار رجلاً أو بعيراً إلا بإذنه. وكان إذا حمى حمى لا يقرب. وقصة الناقة «سراب» بينه وبين ابن عمه «جساس» مشهورة، وخلاصتها:

أن كليبًا كان يخرج ويدور فى حماه، فإذا هو بحُمَّرة على بيض لها. فلما نظرت إليه صرصرت وخفقت بجناحيها، فقال: أمن روعك، أنت وبيضك فى ذمتى. ثم قال: يا لك من حمرة فى معمرى خلالك الجو فبيضى واصفرى ونقرى ما شئت أن تنقرى.

ثم خرج بعد ذلك يطوف فإذا هو بأثر بعير لا يعرفه وطىء البيض، فشدخه، فرمى كليب فصيل ناقة سعد الحرمى، الذى نزل بجوار البسوس، وكانت خالة جساس، فشدخ ضرعها لقاء شدخ بيض الحمرة، فقتله، وكان ذلك سببًا فى الحرب بين أولاد العم.

وجاء فى أهرام ٣٠/٩/١٩٧٤:

أن الحرب دامت ٤٠ عامًا من ٤٩٤ – ٥٣٤م وسببها أن البسوس خالة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان كانت تسير فى الصحراء فعطشت ناقتها وشاهدت من بعيد إبل كليب بن وائل تلف حول بئر فى واحته فساقت ناقتها لتشرب فشاهدها كليب فثار وقتلها فاستغاثت البسوس بابن أختها، فهب لنجدتها وتعارك مع كليب فصرعه وشبت الحرب بي البكريين والتغلبيين. وذكر ذلك الدميرى فى حياة الحيوان «اليمام».

(و) مما يدل على أنها من أعز ما يملكون، أنهم كانوا يفدون شيئًا عزيزاً بأعز ما عندهم، فيقولون لرجل كبير مثلاً: فداك أبى وأمى، يعنى: يهون فى سبيل إكرامك أكرم شيء أعتز به وهو أبى وأمى. وذلك كثير فى أقوالهم.

(ز) فى بعض الأحيان كانت الزوجة تشترط أن تكون العصمة بيدها، مثل سلمى بنت عمرو إحدى نساء بنى عدى بن النجار، وكانت لا تتزوج الرجال إلا وحَبْلُها على غاربها، إن رأت بمن تتزوجه شيئًا تكرهه تركته وشأنه، ولا يقدح ذلك فى عفتها وكبريائها، واشتهرت التميميات من نساء قريش بالحظوة والتدلل على رجالهن.

(ح) كانت المرأة تشترك فى الحرب، بل تحمل الراية التى لا يحملها إلا الشخصيات الكبيرة، ومنهن عمرة بنت علقمة الحارثية رافعة اللواء يوم أحد. وقد اشتركت هند بنت عتبة بن ربيعة امرأة أبى سفيان فيها، كما سيأتى توضيحه بعد، فى حكم اشتراك المرأة فى الغزو.

(ط) كانت المرأة أحيانًا تحكم قومها حكم الملوك أو قريبًا منه. مثل أم قِرْفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، التى جرى بها المثل، فقالوا: أمنع من أم قِرفة، لأنه كان يعلق فى بيتها خمسون سيفًا لخمسين رجلاً، كلهم لها مَحْرم، وكان لها اثنا عشر ولدًا، وملكة رئيسة لبنى فزارة بوادى القرى، وهى التى هاجم رجالها تجارة زيد بن حارثة، فأرسله النبى ﷺ إليهم فى رمضان سنة ست من الهجرة، وكان زوجها هو مالك بن حذيفة بن بدر الفزارى[1].

---

(١) الزرقانى على المواهب ج٢ ص١٦٣، وحياة الحيوان الكبرى – اليمام.

(ى) كان لبعضهن رأى حسن يرجع إليه، كما تقدم فى فقرة (د) ومنهن: دختنوس بنت لقيط بن زرارة، التى كان أبوها يرجع إليها فى الرأى، ويصحبها فى غزواته، وقد تقدم ذكرها فى الجزء الأول فى بحث اختيار الزوجين عند تفسير كلمة « الحنانة » كما سيجىء ذكرها فى الجزء الرابع فى رعاية الأولاد، ومنهن عمرة بنت عامر بن الظَّرب، التى كان يرجع إليها أبوها فى الرأى أيضاً.

ومن صواحب الرأى الحسن فاطمة بنت الخُرْشُب الأنمارية، فقد كانت من أرباب الفصاحة والرأى السديد، ولدت من زياد بن عبدالله العبسى سبعة، فعد العرب من المنجبين منهم ثلاثة، وهم خيارهم، ظفر بها بعض المغيرين على قومها. وقادها بجملها، فقالت له: لئن أخذتنى فصارت هذه الأكمة بى وبك التى أمامنا ووراءنا لا يكون بينك وبين بنى زياد صلح أبداً، لأن الناس يقولون فى هذه الحال ما شاءوه. وحسبك من شر سماعه. فصارت مثلاً. فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير، فماتت خوفًا من أن يلحق بنيها عار منها[1].

(ك) كان بعض العرب يمنع زواج بناته خوف العار إن أهانهن الأزواج، وقد تقدم ذكر همام بن مرة وبناته فى الجزء الأول، ومنهم ذو الأصبع العدوانى، كان له أربع بنات منعهن الزواج وهن يردنه « المحاسن والمساوئ للبيهقى » وكثير غير هولاء فيهن دليل على أن المرأة فى الجاهلية كان لها وضع كريم أحيانًا، أو كانت لهاحقوق لم تتمتع بها غيرها. ومن شاعرات الجاهلية وفصحائها: الخنساء، وليلى وجليلة أخت جساس وأم جندب التى حكمت فى شعر امرئ القيس.

(ل) وتوصف فى الجاهلية بالعفة والفصاحة وحسن تربية الأولاد. ولذلك كانوا يدققون فى اختيار الأمهات عند الزواج. ومما يذكر أن كثير عزة لما مات كان أكثر المشيعين له من النساء، فقام محمد الباقر ينحى النساء عن الجنازة قائلاً: تنحَّين يا صواحبات يوسف. فقالت زينب بنت معيتب له: قد كنا خيراً

---

(١) أعلام النساء لكحالة.

منكم له، نحن دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه فى الجب، وبعتموه بثمن بخس، ثم حبستموه فى السجن، فأينا كان عليه أحنى وبه أرأف؟ « الأغانى للأصفهانى ج٩ ص٣٧ طبعة دار الكتب » نقله سعيد الأفغانى فى كتابه: الإسلام والمرأة ص٥٢.

ومن مظاهر احتقار العرب للمرأة أو هضمها بعض حقوقها:

جعل الانتساب إلى الآباء دون الأمهات، وإن كان هناك بعض النساء يفخر أولادهن بالانتساب إليهن، مثل « تَحَبُّب بنت ثَوْبان بن سليم بن دها بن مذحج، فهى أمٌّ نسب إليها خلق كثيرون، منهم معاوية بن حديج بن جفنة « أعلام النساء لعمر كحالة » وكان البعض ينتسب إلى أمه لشهرتها مثل: ماء السماء أم عمرو ابن هند، وهى ماوية بنت عوف بن جشم، وجاء فى الإسلام أيضًا من نسب إلى أمه. منهم معاذ ومعوذ ابنا عفراء بنت عبيد. وعبد الله بن أم مكتوم، وشُرَحْبيل ابن حَسَنة، وعبد الله بن اللُّتْبية « الباعث الحثيث ص٢٨٥ » وانظر الجزء الرابع من هذه الموسوعة عند ذكر من يكون له النسب. وكان الميراث للرجال دون النساء، وكانت هى تورث أحيانًا كالمتاع، وتُعْضَل عن الزواج بمن تشاء، وإن شاء وارثها أن يتزوجها تزوجها بدون صداق، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، وكانت البنت توأد حية فى بعض القبائل، أو تمسك على هون إن أبقى والدها على حياتها. وكان يشك فى عفافها ويقذفها بالزنى. ويحتكم إلى الكاهنة فى شأنها، كما مر فى الجزء الأول فى باب اختيار الزوجين، وكانت تُكره أحيانًا على البغاء، وعند السبى فى الحروب كانت تسبى كالمتاع، أى أن الفريق الغالب يستولى على نساء المغلوب كما يستولى على أمواله تمامًا.

وكان الرجل إذا أراد السفر عمد إلى غصنين فى شجرة وعقد بينهما، فإن عاد ورآهما قد حُلاَّ زعم أن زوجته قد خانته، ويسمى هذا الإجراء عندهم « الرقيمة ». جاء فى كتاب « بلوغ الأرب » ج٢ ص٣١٦، عند الحديث عن « الرتم » الذى كان من عادات الجاهلية: أنه إذا سافر الرجل عقد خيطًا فى غصن

شجرة أوساقها، فإن عاد والخيط مربوط كانت زوجته لم تخنه، وإلا ظن بها السوء، ويسمى هذا العقد «الرتم». وقيل: هو عقد طرف من غصن بطرف غصن آخر. وسيأتى فى بيان منزلة المرأة فى الإسلام توضيح لكثير من هذه الأمور. ومن مظاهر احتقارها أنه لم يعرف فى التاريخ أن رجلاً نازل امرأة أو قتلها، فهن لا يقابلن بالمثل إذا بدأن بالشتم أو الضرب. والمثل المعروف «لو ذات سوار لطمتنى» قاله حاتم الطائى عندما مر ببلاد «عنزة» فى بعض الأشهر الحرم، فناداه أسير لهم: يا أبا سفانة، أكلنى الأسار والقمل. فقال: ويحك!! أسأت إذ فوهت باسمى فى غير بلاد قومى. فساوم القوم به ثم قال: اطلقوه واجعلوا يدى فى القيد مكانه. ففعلوا فجاءته امرأة ببعير ليفصده. فقام فنحره، فلطمت وجهه: فقال ذلك المثل.

القسم الثانى:

الأديان السماوية بوجه عام حفظت للمرأة حقها فى حدود اختصاصها، وملاءمة ظروفها وبيئتها، وكرمتها كمخلوق يمثل نصف المجتمع البشرى، وإن كان أتباع الأديان خالفوا التعاليم السماوية، وحوروها لحاجة فى نفوسهم. فرأينا بعض المعاملات القاسية الشاذة تعبر عنها بعض النصوص المحرفة، وأكبر الأديان قبل الإسلام هما اليهودية والنصرانية.

١ - اليهودية:

جعل اليهود المرأة منبع الآلام، ووضعها بالتالى كان أدنى من وضع الرجل فى التشريعات والمعاملات، وإن كان الترقى غير حالها قليلاً، إلا أنها ما تزال فى وضع أدنى من الرجل.

لقد جردها اليهود من معظم حقوقها المدنية، وجعلوها تحت ولاية أبيها وأهلها قبل زواجها، وتحت ولاية زوجها بعد الزواج، وكانت شريعتهم تبيح

---

(١) المساواة للدكتور وافى ص٥٢.

للوالد المعسر أن يبيع بنته بيع الرقيق لقاء ثمن يفرج به أزمته[1] كما تدل عليه الفقرات ٧-١٢ من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج. وكانت البنت تتلقى عند ولادتها بغير ارتياح، كما جاء فى سفر التكوين اصحاح ٢٩ :٢٢.

وفى سفر الجامعة، اصحاح ٦ :٢٥، ٢٦ : دُرْت أنا وقلبى لأعلم وأبحث، ولأطلب حكمة وعقلاً، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون، فوجدت أمرَّ من الموت المرأة، التى هى شباك، وقلبها إشراك، ويداها قيود، الصالح قدام الله ينجو منها، أما الخاطئ فيؤخذ بها. وقال أرميا: المرأة باب الجحيم وطريق الشر وسم العقرب[1].

والمرأة عند اليهود نجسة لا تقرب، ولا تقرب هى شيئًا مدة الحيض والنفاس، كما جاء فى صحيح مسلم « ج٣ ص٢١١ ». يقول المقريزى فى خططه « ج٤ ص٣٧٣ » عن معاملة اليهود للمرأة: يعتزلون الحائض، وكل شىء تمسه ينجس، وإن مست لحم القربان أحرق بالنار، ومن مسها أو شيئًا من ثيابها وجب عليه الغسل، وما عجنته أو خبزته أو غسلته فكله نجس، حرام على الطاهرين، حل للحيض.

وقد ابتذل اليهود المرأة، فسخروها أخيراً لأحقر الأغرض وأخبثها، على ما مر ذكره عند الحديث عن الحجاب عند اليهود.

٢ - المسيحية:

عندما أطلت المسيحية على العالم، وانتشرت فى أوروبا كانت القوانين الرومانية والفلسفة اليونانية القديمة قد صبغت التعاليم الدينية بصبغتها. فتحور جزء كبير من أصولها، حتى كان دنيويًا محضًا، تابعًا لأهواء كبرائهم، وتأثر تبعًا لذلك مركز المرأة.

فقد كانت فى القرون الأولى للمسيحية محترمة تبعًا لاحترام العذراء مريم، ولكن بمقارنة فكرة احتياج آدم لحواء، وفكرة الرهبنة جعلت هناك اتجاهات

---

(١) مجلة الإسلام - المجلد ٢، العدد ٤٥.

منحرفة نحو المرأة، فاحتقرها بعض الناس لأنها هى التى أغرت آدم فى رأيهم على الأكل من الشجرة التى نهاهما الله عنها، فطردا من الجنة[١]، وكان ما كان من الشقاء بعد النعيم، وصلب المسيح - كما يزعمون - تكفيراً عن الإنسان للخطيئة التى ارتكبها آدم، وورثها أجياله. ودعا بعضهم إلى البعد عنها، والالتجاء إلى الرهبنة. جاء فى كتاب «محمد رسول الله» تأليف «اتيين دينيه» ص٣٢٥: كان القس «سان بونا فنتورا» يقول لتلاميذه: إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائنًا بشريًا، بل ولا كائنًا وحشيًا، وإنما الذى ترون هو الشيطان، والذى تسمعون هو صفير الثعبان»[٢].

ودعا بعض المسيحيين إلى الحب الروحى، وبعد ذلك اعتبروها مصدر رجس عند الحيض والنفاس، فإن ولدت لم يقربها الرجل حتى تكفر بدم الطير عن هذا الدنس، بل هى تدنس كل شىء تقترب منه، لقد عقد الفرنسيون فى سنة ٥٨٦م فى بعض ولاياتهم اجتماعًا ليبحثوا فيه: هل المرأة إنسان أو غير إنسان، ثم قرروا أنها إنسان خلق لخدمة الرجل.

يقول المودودى: عالجت النصرانية فى أوروبا، بتعاليم هذا الدين، الفساد، ولكن كان العلاج فى شدة وتطرف، ذلك لأن:

(أ) المرأة عندهم ينبوع المعاصى، وباب الدخول إلى جهنم، وجمالها هو سلاح إبليس، وعليها أن تقدم كفارات كثيرة، لأنها سبب الشقاء فى الأرض. لقد قال «ترتوليان»[٣] أحد أقطاب المسيحية الأولى فى المرأة: إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، وإنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة، ناقضة لقانون الله، ومشوهة لصورة الله، أى الرجل، كما قال «كراى سوستام»، من كبار الدينيين: هى شر لا بد منه، ووسوسة جميلة، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتاكة، ورداء مطلى مموه.

---

(١) موضوع إغراء حواء لآدم بالأكل من الشجرة جاءت فيه آثار ستذكر فى الجزء الثالث.

(٢) نسب مثل هذا القول إلى القديس أنطونيوس «مجلة الإسلام مجلد ٢ عدد ٤٥».

(٣) ولد سنة ١٥٠م وتوفى سنة ٢٣٠م.

(ب) العلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على النجاسة، فهى نجسة فى ذاتها، يجب أن تتجنب ولو كان ذلك عن طريق النكاح والعقد الرسمى المشروع، وهذا هو أصل الرهبنة، التى ابتدعتها الأفلوطينية الحديثة، أو الفلسفة الإشراقية. فزادتها المسيحية شدة، وصارت العزبة[1] مقياس الشرف والتقوى. ولهذا قررت مؤتمراتهم الدينية ألا يختلى رجال الكنيسة بزوجاتهم، وألا يتلاقى الرجل مع المرأة، إلا على مرأى من الناس، أو أمام رجلين على الأقل، وكرهوا للناس حياة الزوجية، حتى منعوا الزوجين اللذين يبيتان معًا ليلة العيد من حضور حفلات العيد، ولهذا انقطعت الأواصر بين أفراد الأسرة، وبهذا انحطت منزلة المرأة، وظهر أثر ذلك فى القوانين والمعاملات كما يلى:

١ – جعلت المرأة تحت سلطة الرجل الكاملة اقتصاديًا، وتحدد نصيبها فى الإرث، وقلت حقوقها الملكية، وكل كسب فهو لزوجها.

٢ – الطلاق لم يكن مباحًا، مهما بلغ البغض والشقاق، وأقصى ما كان يصل إليه هو التفريق الجسدى، الذى يمنع معه زواج كل منهما بالغير. وقد أدى ذلك إما إلى الرهبنة وإما إلى الفجور.

٣ – كان من العار أن يتزوج الرجل أو المرأة بعد وفاة الآخر، فهو من الكبائر، وكانوا يسمون هذا الزواج «الزنى المهذب». أما رجال الكنيسة فلم يكن النكاح الثانى مباحًا لهم، وإن كان بعض الطوائف يجيز هذا الزواج الثانى قانونًا، إلا أن العرف والرأى على مقته. اهـ. وقد مر فى الجزء الأول من هذه الموسوعة، موقف القسس من الزواج وثورتهم على حرمانهم منه، وفى كتاب «الإسلام والمرأة المعاصرة، للبهى الخولى»: زعم بعض المسيحيين أن أجسام النساء من عمل الشيطان، وكانوا يقولون – كما جاء فى تاريخ العالم، ترجمة وزارة المعارف – إن الشيطان مولع بالظهور فى شكل أنثى، وتفرع على نظرتهم للمرأة قولهم: هل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل، وهل تدخل الجنة وملكوت الآخرة، وهل هى إنسان له روح يسرى عليه الخلود، أو هى نسمة فانية لا خلود لها. اهـ.

---

(١) العزبة أو العزوبة.

وعندهم لا يجوز للمرأة أن تتولى تعليم الناس الدين ولا التبشير به، ويؤيد هذا برقية من شيكاغو فى ١٦/٨/١٩٧٤ جاء فيها: تواجه الكنيسة الأسقفية الأمريكية التى يتبعها ثلاثة ملايين أمريكى ثورة خطيرة، بسبب قرار اتخذه مجلس الأساقفة ببطلان إجراءات إحدى عشرة امرأة كقسيسات وقد أصدر المجلس قراره بأغلبية ١٢٨ صوتاً ضد ٩ أصوات وامتناع ١٠ عن التصويت، على أساس أن التكوين الجسمانى للمرأة لا يتفق مع المهمة التى تتطلبها واجبات القسيس. «الأهرام ١٧/٨/١٩٧٤».

القسم الثالث:

المرأة فى الشرائع الحديثة التى تدين بغير الإسلام يمثل نهضتها أو نشاطها نساء أوروبا وأمريكا، وقبل الحديث عن وضعها فى هاتين القارتين أذكر كلمة عن المرأة الشرقية فى العصور الحديثة، وأن وضعها الآن هو امتداد لوضعها القديم الذى أشرنا إليه فى القسم الأول، وسأكتفى ببعض صور من أقطار متنوعة.

١ - الهند:

ففى الهند يقول محمد ثابت فى رحلته سنة ١٩٣٢م: أن زواج البنت فى «مدراس» مبكر، فهى تتزوج فى سن الثامنة، فإن وصلت إلى سن الثانية عشرة، ولم تتزوج، كان ذلك عاراً، وقد يكون الزوج طفلاً، والنسل هناك ضعيف، والمهم عنده كثرة النسل، وبخاصة الذكور.

وحديث الأم أمام أطفالها دائماً يدور حول العلاقة الجنسية، ويقصد بالتبكير بالزواج عندهم الوقاية من الأمراض وإنتاج الذكور، ولهذا يضعف الرجل عند سن الثلاثين، فيلجأ إلى الحشيش والأفيون والمخدرات التى يعلن عنها فى الصحف بشكل واضح، وكثير من النساء عقيمات بسبب ضعف قوة الرجال وتشويه الرحم من الزواج المبكر، وكثيراً ما يرسل الرجال زوجاتهم إلى المعابد بالقرابين، ليمن الله عليهن بالحمل، فتظل المرأة أياماً، ينوب القسيس ليلاً عن الإله فتحمل المرأة.

ولتبكير الزواج كان متوسط الأعمار عندهم ٣٣ سنة، ويموت من الزوجات في كل «حمل» نحو ثلاثة ملايين ونصف، وهو يساوى ٩٠٪، وذلك بسبب التهاب الرحم، ومن العادات الغريبة أن الآباء قد يهبون المولود القادم للآلهة، فإن كانت أنثى سلمت لنساء المعبد، وإذا شبت علمت الرقص والغناء. وعند الثامنة تصبح خليلة أحد القسس، فإن ملها أصبحت راقصة المعبد. وفي مواسم الحج يستأجرها بعض الحجاج، فإن ذبلت محاسنها يمنحها المعبد جعلاً صغيراً، وتترك المعبد، ولا يرى أهلها في ذلك معرة، لأنها اكتسبت اسم عاهرة الإله. وهن من مستلزمات المعابد كلها.

ويوصي الدين البرهمي بأن الزوج إله الزوجة، تخضع له خضوعًا كليًا، ولابد من طاعة حماتها، ويا ويلها إن لم تنجب طفلاً، أو أعقبت أنثى، فإنها تستعبدها عندئذ. ولذا كان عدد المنتحرات بين سن الرابعة عشرة والتاسعة عشرة مروعًا، وإذا مات زوجها حكم الدين بإحراق جثتها معه وإلا كانت موضع اللعنات، ولم يبح لها شيء من السرور، ولا تتزوج ثانية، بل تحلق رأسها، وتقصد أحد المعابد، لتظل فيه أيامها الباقية. ويجب ألا تظهر أمام الناس كثيراً، حتى لا يؤثر فيهم نحس طالعها، وفي إحصاء ١٩٢٥م بلغ عدد أرامل الهند ٢٦,٤٨٣,٨٣٨.

ويقول أيضًا: إن كلمة المرأة نافذة في البيت إن لم تكن لها حماة، ولذلك جرى على لسانهم هذا المثل: الرجل سبع خارج البيت وابن آوى داخله، والمرأة تقوم مبكرة لعمل البيت ولا تتركه للخدم، خشية نجاستهم، لأنهم من الطبقة الدنيا.

وهي ترحب بالضرة، لأنها تؤنسها، فلا غيرة عندها منها، إذ لا بد من الوفاء للزوج مهما بدا منه، فهي لا تغضب لأنه جاء لها بضرة.

ثم يقول: بمجرد شعور الحامل بألم الوضع تنبذ في غرفة ضيقة مظلمة، ولا يقترب منها أحد قط، لأنها أصبحت نجسة. وفي الحال تأتي «الداية» وهي

من الطبقة النجسة: فترتدى أسمالاً قذرة، وتسد المنافذ، وتحرق الحطب، لأن الدخان والحرارة يساعدان على سرعة الوضع، وإن دخل الحجرة غريب أحرقت بخوراً منتن الرائحة، لمنع أثر العين الخبيثة، وتباشر عملية الولادة بأيديها القذرة، وتخرج المولود بالقوة، فتشبع البطن لكما بالأيدى والرأس، وقد تطرحها وتمشى على بطنها، وتضع فى فرجها كرات من مواد حريفة، وقطعًا من شعر المعز وأذناب العقارب وجلود الأفاعى. وإذا تم الوضع لا تقطع السرة، فذلك مهمة امرأة أخرى أقل درجة منها، ويمنع الطعام عن الأم أربعة أيام أو سبعة. وكثيراً ما تتعسر الولادة بسبب ضيق الرحم، نظراً للزواج المبكر، فتموت، وإن رجحت المولدة موتها، أى غلب على ظنها أن التى تعانى آلام الوضع ستموت، عجلت بتكحيل عينيها بمسحوق الفلفل، لكى تعمى الروح، فلا تستطيع الخروج والمكث فى الدار، وقد تمد ذراعيها وتدق مسماراً يثبتهما فى الأرض، لكيلا تستطيع الروح التجول فى المنزل ومضايقة الأحياء.

ثم يذكر إحراق المرأة فى كلكتا، وأنها خضبت قدميها ويديها ووجهها بالحناء، ودثرت برداء أحمر، وذلك دليل على سعد طالعها، لأنها ماتت قبل زوجها ولم تصبح أرملة بائسة، وكان يحوطها أقاربها وبعض النائحات والمتسولين، ووضعت الجثة على الحطب، وكدس فوقها الخشب، وتقدم أقرب الناس إليها، وكان ابنها، وأمسك شعلة وطاف بها حولها سبعًا، وألقى الشعلة على كومة الحطب، فالتهمت كل شىء إلا عظمة القص التى يلتقطها القسيس ويضعها فى كرة طين، إلى جانب قطعة ذهب يقدمها أهل الفقيدة، ويلقيها القسيس فى النهر فى أسفل المكان.

ويقول عما يحدث فى الدكن: أكثر السلالة هناك من «الدرافيديين» وهم السكان الأول للهند، ويشاطر فى الزوجة أكثر من واحد، خصوصًا الأخوة، حتى من كان منهم فى المهد، وبذلك تنجو طويلاً من الترمل، والمرأة فى هذه القبيلة إذا حملت لا تقرب البقر المقدس، حتى لا ينجس اللبن. وكانوا إلى أمد قريب

يتعقبون أنسابهم عن طريق الأم، ولذلك كان الميراث الرئيسى لابن الأخت أو ابن بنتها. أما الابن فلا يرث، ولا تزال بقية من ذلك بين قبائل التودا. اهـ وسيجيء فى الجزء الثالث ما قاله ابن بطوطة عن الهند فى رحلته.

يقول محيى الدين الألوائى فى بحث بمجلة «ثقافة الهند، يونية ١٩٥٥»: أن عدد سكان مستعمرة تودا حوالى ٤٠٠ نسمة، وهى بأعلى مرتفعات «نيلكرى» بولاية «ميسور». يقال: إنهم من بقايا جيش الاسكندر، وهم يحتقرون المرأة، ولا يجوزون لها أن تخرج من البيت إلا مع مشرف، ولا يسمح للنساء بدخول المعابد والكنائس.

وجاء فى مجلة المصور (٦/١٢/١٩٤٦): فى «ترافانكور» بالهند، كل ثروة العائلة فى يد النساء، والميراث يؤول إليهن، وفى مقابل ذلك تتكفل المرأة بجميع مطالب الورثة.

وجاء فى أهرام الجمعة ٥/٦/١٩٥٩: أن منطقة «تلال خاسى» فى الهند تعيش فيها قبيلة «خاس» وتتبع نظام الأمومة الذى يقضى بأن الأم هى أساس الأسرة، وأهم من الأب، ولا تعطى للولد شيئًا من الميراث، بل تؤول التركة إلى الابنة الصغرى. وعدد أفراد هذه القبيلة ٣٠٠ ألف يعيشون فى ولاية «أسام» شرقى الهند.

٢ - اليابان:

يقول محمد ثابت فى رحلته ١٩٣٢ عن اليابان وقوانين الأسرة فيها: إن «ايياسو» مؤسس أسرة «شواجن طوكو جاوا» (١٦٠٠-١٨٦٨م) قد أباح الطلاق بغير مبرر، وأباح اتخاذ الخليلات مع الزوجة، على أن يكون أولاده جميعا شرعيين، وابن الزوجة هو الوارث، وإن لم يوجد ورثه أخوه أو أقرب الناس إليه. وكان يبيح للزوج قتل زوجته مع خليلها، فإن قتل أحدهما عد مذنبًا.

ويقول عن «الجيشات المسليات»: إنهن سميرات محترفات، ولهن مدارس

خاصة يتعلمن فيها فنون السمر والإيناس والغناء، ولا يخلو منهن مجلس، ويحرص عليهن فى نزه الرجال، وأجورهن غالية فى الحفلات.

ويقول: إن اليابانيين يبيحون للفتيات، ما دمن غير متزوجات، كامل الحرية فى التريض والمصادقة، لأنهم يرون أن العزوبة أمر غير طبيعى، فإن لم يكن للفتاة زوج فليكن لها خليل، ولا يهتمون بالبكارة، ولا يحرصون على العفاف، على أنها إذا تزوجت صارت مثال الوفاء لزوجها، والعجيب أنه لا يصح لها أن تغارعلى زوجها من غيرها، وكثيراً ما تخاطبه عند رجوعه من رحلته قائلة: أرجو أن تكون قد استمتعت ليلتك الماضية، فيقص عليها نبأ ما كان من جيشاته ومسلياته وغير ذلك، وأعجب من هذا احترامهم للعاهرة كاحترامهم للزوجة، والأب هو الذى يختار لبنته الزوج.

ويتابع محمد ثابت حديثه عن اليابان فيقول:

للأب أن يدفع بنته للدعارة إن أعوزه المال، فإن عوزه هدم للعائلة يجب تلافيه، وهم يطلقوه على العاهرة اسم «أوجوروسان» أى العاهرة العظيمة، وإن احتاج الرجل إلى المال وكانت بنته كبيرة فوق السابعة عشرة دفع بها إلى بيت الدعارة، فإن هربت ساعده البوليس على إرجاعها إلى الدعارة، حتى يسد دينه، لأنها ملزمة بذلك قانوناً إذا قبلت أن تحمل الدين عن والدها، ثم يقول:

ومن إكرام الضيف أن يقدم صاحب البيت السميرات إليه، وكانت العادة قبل ذلك أن يبالغ فى إكرامه، فيقدم إليه زوجته، ولا خطر هناك فى اختلاط الأنساب، فالكل أبناء الإمبراطور «ابن السماء». وهم لم يقلعوا عن ذلك إلا بعد نقد الأجانب لهم بشدة.

ويقول: إن اليابانية تعد نفسها خادمة أولادها، ولا تميل إلى تحديد النسل، وهى فى مركز أقل من الرجل، ومع ذلك ليست محتقرة، بل هى فى دائرة اختصاصها فى المنزل وتربية الأولاد لها سلطة مطلقة واحترام كبير، وهى لا تسير أمام الرجل، ولا تجلس مع إخوانه، بل تقدم إليهم ما يحتاجونه، ثم تنسحب.

ويتحدث عن نظام الأسرة المتين فى اليابان فيقول: إن على الفرد أن يضحى بمصالحه الشخصية لصالح الأسرة، فهى التى تتصرف فى زواجه وتعليمه وتخطط لمستقبله، ومن لم يخضع لنظام الأسرة حرم حق الانتساب إليها، وينبذه جميع الناس، ولا يكاد يوجد الولد العاق لوالديه، والأسرة تخفف عبء الدولة كثيراً، لأنها تفصل فى الشئون العائلية، والعائلة هناك هى التى تختار الزوجة للولد، ولا يسمح له بمخالفتها، وقد يكون هناك عشق بين فتى وفتاة، ولكن ظروف العائلة لا تسمح بالزواج بينهما، فيعمدان إلى الانتحار، (هناك حديث عنهن فى الجزء الرابع الخاص بحقوق الأولاد، وحديث آخر عن الطلاق عند اليابان)، وبهذا كان النظام التضامنى فى الأسرة قوياً جداً، ومن هنا لا توجد ملاجئ ولا شركات تأمين ضد البطالة، وظهر أثر هذا التعاون فى زلزال ١٩٢٣م حيث كثرت المساعدات للمنكوبين.

ويقول أيضاً: بعد الحرب كثرت مشاطرة المرأة للرجل فى الأعمال الخارجية، على مثال المرأة فى أوروبا، وهذا الإجراء يهدد النظام الاجتماعى المتين، ولما كثرت المصانع انحلت الرابطة العائلية، وضعف تعصب الفرد لبيئته وقريته.

ويتحدث فى كتابه «بنات حواء» عن شعوب «الأينو» فى اليابان فيقول: إنهم يضعون المرأة فى مركز ممتاز، اعتقاداً منهم أن النساء مقربات إلى الآلهة، ولذلك يمنعهن الأزواج من الصلاة، خوفاً من دعائهن عليهم. فدعوتهن مستجابة.

هذا، وقد تغيرت الأوضاع الاجتماعية عن ذى قبل، وقامت محاولات لتحرير المرأة سنة ١٩٢٥، كما تقول «نايلة كامل»[١].

وجاء فى أهرام ١٤/٧/١٩٦٣: إن اليابانية مثالية فى طاعة الزوج، وقد نالت حقوقها سنة ١٩٤٦م بعد الحرب العالمية الثانية، فتغيرت معاملتها فى المدن إلى حد كبير، واشتركت فى الانتخابات، وهناك ٣٨ منهن فى مجلس النواب،

(١) مجلة حواء ٢٧/١١/١٩٦٥.

١٢ فى مجلس الشورى. وأصبح من حقها طلب الطلاق، بعد أن كان مقصوراً على الرجل.

٣ - الصين :

يتحدث الرحالة «محمد ثابت» عن الصين، فيذكر أن الزواج فيها مبكر، بغية إنجاب أكبر عدد ممكن من الأبناء الذين يحيون ذكرى والدهم، ويوفرون لروحه السعادة بتقديم القرابين، ولذلك من لم ينجب منهم يتبنى ولداً ليقوم بهذه المهمة، ومن هنا كثر النسل وتنازع الناس لقمة العيش. ويقول: إن العرض رخيص بسبب الفقر، فقد لاحظ أن الشخص إذا ركب «الركشا» وهى العربة الصغيرة التى يحملون عليها الإنسان، قال له من يجرها: أتريد بعض الغانيات الفاتنات من فتيات «المانشو» ذائعات الصيت فى الجمال؟ وذلك إلى جانب جماهير النساء اللاتى يمسكن بثياب المارة طوال الطريق بشكل مؤلم، ومنهن الصغيرات اللائى لم يبلغن الحلم. والأجانب هم الذين جرءوهم على ذلك.

كما تحدث عن تجميل الأقدام لتكون صغيرة الحجم حتى يرغب الأزواج فيهن، فكان الزوج يحتم أن يرى حذاء خطيبته، فإن ظهر أنه خدع بعد الزواج، بالحذاء الذى أخذه رهينة جاز له طلاقها.

وتتم عملية تصغير القدم، بأن تغسله الأم فى الماء الساخن، وتلف أشرطة الكتان حوله عدة لفات محكمة، وفى كل ليلة تفعل ذلك لمدة ثمانية عشر شهراً، والبنت تتأوه، والأم تسترضيها بزواج قريب. وقد حرمت الحكومة ذلك، لأن نصف النساء كن لا يستطعن الجرى، بسبب صغر أقدامهن.

ويتحدث عن الأسرة فى «هونج كونج» فيقول: إن أساسها الأب، وسلطته فيها لا تعارض، وكان من حقه بيع أولاده وقتلهم، والأم هناك كمية مهملة، لا سلطان لها على الأولاد، خصوصاً الذكور، فإذا شب الولد لا يستمع إلا إلى أبيه. والبنت هناك مضطهدة بائسة، والزواج مبكر جداً، وتكاد العزوبة تنعدم، فهى فى نظرهم جريمة، والأصل هو الزواج من واحدة، ولكن للزوج أن يتخذ من

الخليلات ما يشاء على مقدار ما يملك من ثروة، وكان رئيس الجمهورية سنة ١٩٢٣ عنده عشر نسوة، والزوجة الرسمية يدفع مهرها بنسبة ثروتها.

ويقول: إن العادة أن العائلات الكبيرة ترفض إعطاء بناتها كخليلات، والمخاللة هناك طبيعية، وبعضهم يفضلها على الزواج من أجل الحرية والتجديد وضمان النسل الكثير، وإذا مات الزوج لا تتزوج أرملته. أما الزوج فله أن يتزوج بعد موت زوجته، والميراث للذكور من الأبناء بالتساوى، سواء منهم أولاد الزوجة وأولاد الخليلات. والنساء لا يرثن إلا إذا أوصى الأب، والزوجة خادمة لزوجها ولأمه. والعقيم يجوز طلاقها، وإن لم يطلقها يتبنى الرجل أحد أقربائه، والزوج لا يجلس مع زوجته وأولاده على المائدة، ولا يأكل الأخوة مع الأخوات إذا بلغوا السابعة، وإذا أحصى رب الأسرة أفرادها أهمل الإناث. اهـ.

وجاء فى حديثه عن الصين أن نساء الطبقة الراقية محجبات، لا يخرجن إلا محمولات على الكراسى المعلقة، ويظن أن ذلك راجع إلى صغر أقدامهن. والطبقات الفقيرة تتخلص من بناتها بتركها عند برج خارج القرية، فإذا جاء رجل ووجد بنتًا عند البرج ألقاها ليضع بنتًا مكانها.

وتقول نايلة كاملة: إن مظاهرة قامت فى الصين سنة ١٩٢٠م للمطالبة بتحرير المرأة، بزعامة «مدام سونج سينج»[١].

٤ - استراليا والمحيط الهادى:

يقول محمد ثابت: إن الإباحية فى استراليا شديدة، والطلاق منتشر، وذلك بسبب عدم وفاء الزوج والزوجة. ويقول عن جزر «هاواى»: إن مركز المرأة منحط عن الرجل، ولا يباح لها الأكل معه، ولا طبخ طعامها فى إناء مع الرجل، ولا تدخل المعابد، ولا تأكل الموز، ولا النرجيل «جوز الهند» فكل ذلك محرم عليها.

---

(١) مجلة حواء ٢٧/١١/١٩٦٥.

هذه لمحات خاطفة عن وضع المرأة الشرقية تضاف إلى ما سبق عند الكلام على الحجاب، وما سيأتى فى الحديث عن حقوق الزوجية وحقوق الأولاد، اعتمدنا فيها على النقل عن الرحالة والكتاب، مع التنبيه على أن بعض هذه الأوضاع قد تغير، نتيجة الوعى الفكرى والتقدم الاقتصادى والحضارى، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية التى ظهر فيها أثر عامل التقليد الأجنبى.

٥ - طرائف عامة :

فيما يلى بعض الطرائف العامة عن وضع المرأة فى المجتمعات المعاصرة التى لم تر النور ولم تلحق بركب التطور، تبرز أثر الإسلام فى رقى المجتمعات التى شع عليها نوره الوضاء:

يقول محمد ثابت فى كتابه «بنات حواء»، عن غانة الجديدة: إن نسب الأولاد فيها للأم لا للرجل، وهى التى تقوم بتمويل الأسرة بالعمل فى الحقول وغيرها، ومرتبة المرأة هناك مساوية للرجل إن لم تزد عليه، وهن يرثن الألقاب، ويقمن بالسحر، فهو عمل شريف عندهم، ولا تبقى البنت بدون زواج إلا إذا كانت مشوهة.

ويقول : إن قبائل «الايروكواز» من هنود أمريكا الجنوبية تحكمهم جميعًا سيدة، وهى الوارثة الوحيدة لكل الممتلكات، والأب يعيش كأنه غريب على الأولاد، ولو اضطرت الظروف أن تمنح المرأة سلطانها لرجل وقت الحروب مثلاً منحته لأخيها، لا لزوجها، فهو غريب عن أسرتها، والخال يتحكم فى الأولاد أكثر من أبيهم.

وفى قبائل «سيرى» من الهنود الحمر فى كاليفورنيا، للمرأة سيادة على البيت وعلى الرجال، ومثل هذه السيادة عند الملثمين من الطوارق فى شمالى أفريقيا، على الرغم من أنهم مسلمون، والمرأة فيهم ملمة بالقراءة والكتابة والشعر أكثر من الرجل.

ويقول عن قبائل «الياروبا» فى جنوبى نيجيريا: إن المرأة يقع عليها عبء البيت والإنتاج ويجوز لزوجها أن يرهنها لقاء دينه، وتضم لزوجات الدائن حتى يستوفى الدين، ونساء صحارى كلاهارى يعتبرن نجسات، فيعزلن الحاملات أياماً عند الوضع، لا يقربهن أحد. اهـ.

وفى محاضرة لكمال فهمى حنا فى نوفمبر ١٩٥٨: أن جزيرة هولندية بالبحر الكاريبى اسمها «كيراساو» فيها مدينة لا يسكنها إلا النساء، ويحرم عليهن مغادرتها، ويصرح للزوار الكبار فقط بزيارتها[١].

وجاء فى كتاب «الرحالة المسلمون» لزكى محمد حسن، فى ترجمة القزوينى: نقل عن الطرطوشى أن هناك مدينة للنساء، وهى مدينة كبيرة فى إحدى جزر المغرب، يسكنها النساء، ولا حكم للرجال عليهن، يركبن الخيل، ويباشرن الحرب بأنفسهن. وهن ذوات بأس شديد عند اللقاء، ولهن مماليك، يختلف كل مملوك إلى سيدته، ويقوم بالسحر قبل انبلاج الصبح، فإذا وضعت إحداهن ذكراً وأدته فى الحال.

وجاء فى مجلة «صوت الشرق» عدد ٣٥ فى أغسطس ١٩٥٥: اكتشف عالما الأجناس «أرماند، ميكايلادنيس» قبيلة فى الكونغو، تعيش على الفطرة، والنساء فيها يحكمن الرجال، ومن تقاليد هذه القبيلة أن يقوم الرجال فيها بكل الأعمال فى البيت وخارجه، ويطيعون النساء طاعة عمياء. وفى كل شهر قمرى ينتخب أجمل وأقوى رجال القبيلة، ويشوى حياً، لتأكله النساء، تأكيداً لسيادتهن. وتحاول السلطات البلجيكية (كذا) القضاء على هذه العادة أو على الأقل إبطال شى الرجال.

وجاء فى «أخبار اليوم» ٢٤/١٠/١٩٥٣: يحكى فرج جبران عن جزيرة «سان بلاسى» فى البحر الكاريبى التى يسكنها حوالى ١٥ ألف هندى أحمر،

---

(١) الأهرام ٣/١٢/١٩٥٨ (ص١٠).

وقد زارها، أن السيطرة فيها للنساء، والنسب لهن، والمرأة هى التى تطلق الرجل بأن تحمل له حربته وقاربه الذى يصطاد به، وتلقى بهما على ساحل الجزيرة، فيذهب إلى جزيرة أخرى، وسكان هذه الجزيرة يحبون الإناث وذرية البنات. ويقول: إذا سئم الرجل الحياة مع المرأة جلا بنفسه، دون أن يحمل شيئًا معه. وفى المرحلة السابقة للزواج، المسماة مرحلة الحب والغزل، عليه أن يسلم لها، فهى التى تغزوه أولاً، ثم تجذبه من يده إلى جزيرة والديها.

وفى أهرام ٢ / ٩ / ١٩٧٤ عن شعب «مينابخابو» الذى يسكن غربى جزيرة سومطرة: أن المرأة هى صاحبة السياسة، بينما يعيش الرجل فى ظل قوانين لا تعطيه أية حقوق، مثل البيع والشراء أو امتلاك المحاصيل التى يزرعها، فكل الأمور بيد المرأة، وهى التى تختار زوجها، وعندما يتم الزفاف يعيش العريس فى بيت أمه، ولا يسمح له بزيارة زوجته إلا إذا دخل المساء، ولذا يطلقون على أى زوج اسم «أورانج سوماندو» أى الغريب.

وعندما يولد أحد الذكور ينتقل بعد سن السادسة ليعيش مع الشباب الأعزب فى دار إقامة، لا يغادرها حتى تقع عليه عيون إحدى طالبات الزواج، ومن ثم يعود سعيداً إلى بيت أمه.

٦ - المرأة فى البلاد الغربية:

المرأة فى أوروبا لم تلتزم الدين المسيحى الذى تأثر بالفلسفات والقوانين اليونانية والرومانية، والذى حرم تعدد الزوجات وحد من الطلاق، وحرم التسرى واتخاذ الخليلات.

ففى عهد الإقطاع الذى طغت فيه المادية، لم يمكن النساء من مزاولة النشاط الاقتصادى والاجتماعى، وذلك لتحريم الرجال عليهن العمل، وكانت المرأة فى القرون الوسطى إحدى ثلاث كما يقول «خاكى»:

(أ) سيدة القصر، وهى قعيدة الدار، بعيدة عن التناحر الذى كان طابع

حكام الاقطاعيات أو ملاكها، وكان الزواج سياسيًا حربيًا أكثر منه اجتماعيًا، فابن الأمير يتزوج بنت الأمير الاقطاعى، لتنضم الأرضان بعضهما إلى بعض. وشاع الطلاق لأوهى الأسباب. وكانت النساء فى وضع اجتماعى أدنى، بل كن مملوكات تحركهن الأيدى كقطع الشطرنج، مستضعفة تحميها الفروسية، وعلاقتها بوجه عام مع الرجل علاقة يغلب عليها الطابع المادى.

(ب) فتاة الدير، المنزوية عن الدنيا، تعزى نفسها بالرهبنة.

(جـ) الساحرة، وحياتها مثال القسوة والغدر، فكان الساحرات يحسبن أنهن متصلات بالله، ولكن الناس كانوا يرون أن عملهن شعوذة من الشيطان، فكن يحاكمن أمام محاكم التفتيش، ويوقع عليهن العقاب الأليم، وذلك بالإحراق وتقطيعهن أربًا أربًا، ومضت القرون الوسطى والناس يخافون من السحر. وأحرقت آخر ساحرة فى إنجلترا سنة ١٧١٢م، وفى اسكتلندة سنة ١٧٢٢م، وفى أمريكا سنة ١٦٩٢م. وفى أشبيلية سنة ١٨٧٢م. وفى بيروت سنة ١٨٨٨م.

وفى عصر النهضة حين انتقل الناس من عهد الإقطاع إلى الاستبداد، ومن قوة الفروسية إلى قوة البارود، ومن الحجر على الحرية إلى الكشف والاختراع، ومن جحود المادة إلى تقديسها، انتقلت المرأة إلى حياة كانت هى فيه متاعًا، فوصل أمرها إلى الإباحية الداعرة، وتشجعت الفنون والكتب التى تتحدث عن الجنس، وسادت سياسة الاحتيال والخداع التى روج لها « مكيافيلى » فى القرون الثلاثة الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر وصورعصر النهضة صورة الفكر اليونانى القديم، والفن يزدهرعند حرية المرأة وإباحيتها، والقوة تسير مع الحب للمرأة، وتحلل الخلق السياسى مع تحلل الخلق النسائى. وقام فلاسفة يبررون حق الملك المقدس. فكان هنرى الثامن المطلاق المزواج بانجلترا، وكان بفرنسا هنرى الرابع، الذى ألزم زوجته أن تتخذ عشيقته وصيفة لها، ولويس الرابع عشر وغيرهما الذين اتخذوا الخليلات دون حياء، وكانت قصورهم مسرحًا للأدوار

الغرامية والمجون، الأمر الذى جعل سخط الناس عليهم يبلغ أشده. فكانت حركة إصلاح الكنيسة، وكانت الثورة على الفساد، ورأينا من الثائرين «كلفين» فى سويسرا، و«مارتن لوثر» فى غربى أوروبا، و«سافونا رولا» فى إيطاليا، وهو الذى سخط على الفجور فى أواخر القرن الخامس عشر، وألزم المرأة حدودها، وإن كان البابا اسكندر السادس قد أغرى الناس به، فأحرقوه سنة ١٤٩٨م.

وقامت فى إنجلترا حركة التطهير بين الكاثوليكية والملكية من جانب، وبين البرلمانيين من جانب آخر، انتهت بالديكتاتورية المطلقة التى تزعمها «كرمويل». وكان الغرض منها الرجوع إلى المسيحية فى عفافها وزهدها، فألزموا الناس بطقوس متزمتة، وأغلقوا المسارح، وحدوا من حرية الفن، وبهذا أصبحت المرأة فى مكان أدنى، فألزموها بالاقتصاد فى زينتها، والاستقرار فى بيتها، وحدوا من علومها ومن زينتها لأنها عون الشيطان، ورغبوها فى التقشف والزهد، لتدخل نعمة الله، كما صور ذلك الشاعر الانجليزى «جون ملتن» فى رسالته عن الطلاق.

على أن حركة «كرمويل» انتهت بانتهائه عندما أعدم فى ٢٨/٧/١٥٤٠م، فجاء «شارل الثانى» سنة ١٦٦٠م، وعاد الفجور والاستهزاء بالقيم التى دعا إليها كرومويل، وأقيمت المشانق لمن انتقدوا البلاط فى تصرفاته، كما عادت فرنسا إلى الكثلكة بإسرافها وترفها، وقبع المتطهرون فى بيوتهم منهزمين، وصارت المرأة واحدة من اثنتين، إما ورعة تقية ليس لها مكان فى العالم، لأنها صاحبة الشيطان فى نظرهم، وإما مسرفة داعرة يلهو بها الرجل كما يشاء، ولم يكن لها من العلم شىء، ولا من السياسة نصيب إلا بمقدار ما عندها من مكر وجمال.

ويستطرد «خاكى» فيقول: إن المرأة فى القرن الثامن عشرخرجت من بلاط لويس الرابع عشر، وهى اللهو والمتعة للمجالس. وهذا القرن انتهى بتقرير حقوق الرجل، لكنها لم تنل حقوقها أبداً، حتى انتصف القرن التاسع عشر، وجاء «جان جاك روسو» بكتابه «أميل» الذى كان يعد إنجيل المفكرين الثائرين، فاعتبر المرأة

معاونة للرجل، يستعين كل منهما بالآخر فى العيش والمتعة، وعليه فيكون تعليمها بمقدار ما يلزم لإمتاع الرجل، بسروه والتزين له، وتربية الأطفال، وطاعة الرجل وعدم معارضته فى آرائه، وكان رأيه فى تربية الفتاة أن تترك للطبيعة، فأوجب على المرأة التعود منذ الصغر على الحشمة، والاجتهاد فى التزامها حتى تتعود العزلة وكبت الهوى، وإذا وجدت البنت من أبيها رادعًا تعودت الخضوع لسلطان الزوج، والعيش فى كنفه. أما إن نشأت ولها إرادة خاصة كان الفساد والبوار للنساء، لأنهن لم يجدن من الرجال من يعاشرونهن على أنهن أنداد لهم. ولم تخل هذه العصور من مفكرات ومنتديات أدبية، لكنها كانت قليلة.

ثم يقول «خاكى»: إن المرأة فى القرن التاسع عشر فى أوروبا طالبت بالتحرر كما تحرر الرجال، وطالبت بالمساواة فى الحقوق السياسية، لتتحرر أكثر من قوامة الرجل؛ ونظر إليها المتزمتون نظرة ازدراء. حتى الملكة فيكتوريا نفسها كانت تزدرى هذه الحركة. واجتهد كتابهم فى إيجاد الفوارق بين النوعين، ولهذا لم تنل حقوقها إلا فى أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

يقول المودودى: فى القرن الثامن عشر، وبعد ثورة فرنسا، خففت أوروبا القيود عن المرأة، خصوصًا فى الطلاق، وردوا إليهن بعض الحقوق، ونظروا إليها نظرة أقل شدة من النظرة الأولى، وأباحوا التعليم للنساء، فكان من أثر ذلك تمكين المرأة من أداء واجبها المنزلى والاجتماعى، ولكن كان ذلك فى إفراط، وهو نتيجة الكبت السابق، واشتد فى القرن التاسع عشر، فكان من ذلك: المساواة بين الجنسين، وحرية المرأة فى الناحية الاقتصادية، والاختلاط المطلق بين الجنسين.

فبالمساواة طغت وعملت فى كل ميدان، ونافست الرجل، وظهرت على الناس بتحديد النسل، وبالاستقلال الاقتصادى استغنت المرأة عن الرجل، فلم تعد بينهما صلة إلا المعاشرة الجنسية، بل إن الناحية الجنسية كانت تطلب من غير الرابطة الزوجية، ولم يعد للدين سلطان على الضمير، ولا للمجتمع سلطان عليه لأنه يشجعها وكثر أولاد الزنى.

والاختلاط أدى إلى التبرج وقوة الجاذبية الجنسية، وابتكار التزين والعرى والأدب المكشوف وسمى ذلك بالفن. اهـ.

والمرأة فى أمريكا واستراليا ونيوزيلانده وغيرها من الممالك الحديثة أحسن من زميلاتها فى أوروبا، لأن سكانها مهاجرون، انصرفوا إلى الزراعة، وتفرغت المرأة للتثقف والتحضر، فاستطاعت فى مقاطعة «يومنج» بأمريكا أن تساوى الرجل فى حق التوظف سنة ١٨٦٥م، وفى الحقوق السياسية سنة ١٨٦٩م، مع أن امرأة فرنسا لم تنل ذلك إلا فى أوائل القرن العشرين، ونالت الانجليزية حق الانتخاب سنة ١٩٢٨م بعد جهاد عنيف.

ثم ساءت حال المرأة فى عصر الانقلاب الصناعى، حيث اجتذبتهن المعامل الكبرى، وصرن عبيداً لرب العمل. يقاسين من التعب المضنى فى المناجم وغيرها، مع أجور ضئيلة يأخذها الآباء أو الأزواج قسراً، وذلك لعدم استطاعتهن التملك قبل قانون ١٨٨٢م.

يقول «خاكي» فى بيان حال المرأة التى خرجت للعمل: إن خروجها كان له أثر فعال على مستقبل الأسرة، فكانت المرأة قبل ذلك سكناً للأسرة تعيش فى بيت كبير، والنسل كثير يشبه الخلية، أما بعد خروجها للعمل فقل النسل وصغر البيت، ومال الناس إلى سكن الغرف بدل القصور الواسعة، ولهذا ضج المصلحون وفكروا فى إصلاح الطفل والمنزل والمرأة، وكان هذا الانفجار فى سلوك المرأة رد فعل للضيق الذى كانت تعيش فيه من قبل، فأقبلت على الاغتراف من التحرر بدون وعى، ولم يتعقل إلا المتعلمة فقد اهتمت أخيراً بالمنزل وعرفت له قيمته على عكس نظرة المرأة الجاهلة إليه.

ويقول محمد قطب فى كتابه «شبهات حول الإسلام»: إن النظام الاقتصادى فى أوروبا فى عهد الرق والاقطاع جعل إعالة الرجل للمرأة هو الأمر الطبيعى، فضلاً عن أنها كانت تعمل فى المنزل. فكانت تدفع ثمن إعالتها للرجل، لكن الثورة الصناعية شغلت النساء والأطفال، فضلاً عن استدراج

العمال من ريفهم إلى المدينة للصناعة، وفقدت الروابط الإنسانية التى كانت فى الريف. وجاء استقلال الفرد بعمله ومتعته الميسرة، وهبطت الرغبة فى الزواج، ومن هنا نكل الرجل عن إعالة المرأة، وفرض عليها أن تعمل لتعول نفسها، حتى لو كانت زوجة وأمًا. وشغلتها المصانع بأجر قليل، غير شاعرة بكرامتها، وجاء بعض المصلحين فرحم الأطفال من الشغل القاسى. أما المرأة فلم يدافع عنها أحد، حتى جاءت الحرب العالمية الأولى، فقتل عشرة ملايين من الشباب، فاضطرت المرأة إلى الكسب، عن طريق العمل فى المصانع بدل المفقودين، وهان عليها خلقها وشرفها لتحصل على العيش من أصحاب المصانع الطامعين فى التمتع بها، واضطرت للانزلاق، لأن الرغبة فى الزواج قلت، وذلك لقلة الرجال من أثر الحرب، ولا بد للمرأة من إشباع رغبتها الجنسية، وهنا سقطت فى الهاوية لأمرين، الأول كسب العيش بعد فقد عائلها، والثانى إشباع رغبتها الجنسية، وأخيرًا ثارت النساء على ظلم المرأة فى عدم مساواتها بالرجل فى الأجر، فطالبت بحق الانتخاب ثم التمثيل فى البرلمان ثم الوظائف الحكومية.

ويعطينا «إدوارد أبوت بارى» صورة عن وضع المرأة قبل تمتعها بحقوقها الجديدة، فيذكر فى كتابه «المرأة والقانون» أن القوانين الرومانية كانت تعطى للرجل حق السيادة الشرعية فى أسرته، وتجاهلت وجود المرأة، وجعلتها إحدى ممتلكات سيدها وهو الرجل، والسكسونيون، على الرغم من احترامهم للمرأة نوعًا ما، كانت المرأة عندهم للمتعة أوكقطعة أثاث فى المنزل، كما يتضح من قوانين: الفرد، اثيلبرت، وغيرهما من ملوك السكسونيين. فللأب حق بيع بناته فى سوق الزواج، وللزوج أن يسوق زوجته إلى السوق، وقد وضع فى عنقها خطافًا كالدابة، ويبيعها.

ومن الغريب أن يعطى الأب حذاء بنته لمن اشتراها، وعليه أن يضعه فوق رأسها رمزًا لسلطانه عليها، وعند النوم يوضع هذا الحذاء بينهما على الوسادة. وفى قوانين «اثيلبرت»: للرجل حق خطف المرأة المتزوجة أو العذراء، ثم يساوم

وليها على الثمن. وهناك أسواق معروفة لبيع الزوجات، منها سوق «وسمينفيلد فى لندن، ونيوكروس فى مانشستر». وفى شمال وغرب ريدنج فى يوركشير كان العامة فى القرن الثامن والتاسع عشر يعتقدون أن بيع الزوجة ينحصر فيما يأتى:

١ – الزوجة لا تباع إلا مرة واحدة على يد الزوج الذى باعها.

٢ – ثمن الزوجة لا يقل عن شلن واحد.

٣ – تسلم الزوجة إلى من اشتراها وفى عنقها رسن، ويستحسن أن يكون جديداً لو أمكن.

وذكر «إدوارد» بيعاً من هذا النوع مسجلاً فى «بل أن» فى «أدجباستون» بتاريخ ٣١ من أغسطس ١٧٧٣م. باع فيه «صمويل هويت هوس» فى السوق العامة زوجته «مارى هويت هوس» إلى «توماس جريفست» من برمنجهام بثمن قدره شلن واحد. وقد قبلها المشترى بكل ما فيها من عيوب. والشاهد على البيع هو «توماس باكلي». ويقول: ولم تزل هذه العادة موجودة إلى اليوم، وإن كانت محصورة فى الأركان والخبايا، وعند قوم غير مهذبين[١]. اهـ.

فكر المصلحون فى شأن المرأة ليزيلوا عنها هذا الظلم، ولم يكن أمامهم منطلق يبدءون منه الإصلاح إلا القانون الرومانى، وقد علمت ما فيه من ثغرات، وكان أول صوت ارتفع منادياً بحقوق المرأة عندماكتبت «مارى ولستونكرافت» كتابها فى تبريرحقوق المرأة سنة ١٧٩٢م، وركزت فيه على حق التعلم والتملك،فسخر منها المحافظون[٢].

---

(١) ملخص من بحث بعنوان «آدم وحواء» فى أهرام ١١/٦/١٩٥٤.

(٢) ولدت «مارى» ١٧٥٩ فى عهد الملك جورج الثانى فى بيئة سيئة، فقد انتشرت فلسفة «انجلز» الألمانى المولود فى بارمن ١٨٢٠ والمتوفى ١٨٩٥، وكان صديقاً لكارل ماركس (١٨١٨–١٨٨٣) وتقضى هذه الفلسفة. بأن الرجل فى الأسرة يملك كل شىء، وعلى المرأة الطاعة لأنه سيدها، كانت المرأة تشتغل من الساعة الرابعة والنصف صباحاً إلى السابعة مساء بأجر زهيد، كما كان الطفل يقسرعلى العمل، وكان والد مارى فقيراً سكيراً عربيداً مغامراً مع الساقطات، ولذلك زلت مارى وحملت سفاحاً وسنها ١٥ سنة وحملت ثانياً وسنها ٢٠ وماتت بحمى النفاس ١٧٩٣، كان نداء مارى مساواة الجنسين وترتب على ندائها قيام معركة الجنسين فى إنجلترا، «مجلة الرائد – الكويت ٢٧/٤/١٩٧٨م».

يقول الدكتور مصطفى الخشاب فى كتابه «دراسات فى الاجتماع العائلى»: أول طلب قدمته نساء إنجلترا للمطالبة بالحقوق السياسية، قدم للبرلمان سنة ١٧٦٦م، فرفض، ثم قدم طلب آخر سنة ١٧٦٧م، ودافع عنه «ستيوارت ميل» ففشل، ثم قدم طلب سنة ١٧٧٢م، ١٧٧٣م وعارضته الأغلبية، ولم يقره مجلس العموم إلا سنة ١٧٩٧م وصادق عليه مجلس اللوردات. اهـ.

كان موقف «ستيوارت ميل» فى الدفاع عن حق المرأة بكتابه «استعباد المرأة سنة ١٨٦٩م» دفاعًا قويًا ساعد على سيادة المذهب الديموقراطى فى المجتمع الانجليزى، فطالب بحقها فى الانتخاب والنيابة. بل ذهب إلى تقديمها على الرجل، متعللا لدعوته برقيها وتعلمها ونشاطها الاجتماعى، وعلى أثر ذلك تألف سنة ١٩٠٣ اتحاد نسائى بزعامة «مسز بنكهرست»[1] وكان من المناضلات فى ميدان المطالبة بحقوق المرأة السياسية: ايتلى ديفز، الدكتورة أندرسن (النهضة – الكويت ٢٨ / ٤ / ١٩٧٥).

وفى سنة ١٩٠٥ لم تعطها حكومة الأحرار حقها، فكافحت المرأة ولم تيأس، وجاءت ظروف الحرب العالمية الأولى لصالحها، حيث ساعدت النساء الرجال فى الأعمال المدنية ليتفرغوا هم للميدان، فنالت فى فبراير سنة ١٩١٨ حق الانتخاب لمن زادت سنها على ٣٠ عامًا. وفى سنة ١٩٢٨ منحته بدون قيد السن. ونالت حق التملك سنة ١٨٨٣م، وحق التوظف العام حتى وظائف عصبة الأمم سنة ١٩١٩، التى ظهر فيها قانون مساواتها للرجل فى الوظائف العامة. وفى سنة ١٩٤٧ كان مجلس العموم البريطانى فيه ٢٣ عضوة، بعد نيل حق الترشيح سنة ١٩٢٩م.

والمرأة الفرنسية نالت حقوقها كاملة بعد الحرب العالمية الثانية، ففى سنة

---

(١) ولدت ١٨٥٨م وأسمها «أملين بنكهرست». وتوفيت فى شهر يونيه ١٩٢٨م فى اليوم الذى أقر فيه البرلمان الانجليزى مشروع القانون الجديد لإعطاء المرأة حق الانتخاب «مجلة العربى يناير ١٩٧٥».

١٩٤٥م حصلت على حق التصويت، وفى سنة ١٩٦٦م أصبحت هى المتصرفة الوحيدة فى مالها بعد أن كان تصرفها يتوقف على إذن وليها «أهرام ٤ / ٥ / ١٩٧٠».

من الرائدات فى فرنسا «أوليمبيا جوج» ولدت فى منتوبان ١٧٤٨م فى عهد لويس الخامس عشر، وصفها الطاغية «مارا» بأنها نوع غريب من البشر، تركت الريف إلى باريس لافتتاح أول ناد أدبى للنساء ففوجئت بأنباء قيام الثورة الفرنسية، وكانت قد وضعت قصة «الأمير الفيلسوف» عن الحرية والمساواة وظهرت يوم سقوط سجن الباستيل فى ١٤ يوليو ١٧٨٩، وعلى أثرها تقرر فتح مدرسة للنساء بين كل ألف مواطن ومواطنة، التقت بامرأتين تعملان لتحرير المرأة هما أوتا بالم، مانون رولان، أو مدام رولان صاحبة العبارة المشهورة: أيتها الحرية كم باسمك ترتكب جرائم، وذلك عندما لمحت تمثالاً للحرية وهى فى طريقها إلى المقصلة.

نجح النسوة الثلاثة فى فتح أول ناد للنساء الداعيات للحرية. وفى مايو ١٧٩٢ نشرت أوليمبيا إعلانها الشهير بحقوق المرأة، وأعدمت هى ومانون وغيرها فأغلقت نوادى النساء، وبعد إعدامها بأسبوعين أعدمت الملكة مارى أنطوانيت «مجلة الرائد – الكويت ٢٧ / ٤ / ١٩٧٨».

ومن الرائدات فى فرنسا (فلوراتريستان) المتوفاة ١٨٤٤م وتم تشكيل أول تنظيم نسائى فرنسى قبل وفاتها بعام واحد، وكانت صاحبة الفكرة فيه «أهرام ١٥ / ١٠ / ١٩٨٦».

والمرأة السويسرية لم تنل حق التصويب فى الانتخابات الاتحادية إلا يوم ٢٧ / ٢ / ١٩٧١، وبهذا تعتبر سويسرا آخر دولة أوروبية أعطت المرأة هذا الحق، فقد كانت تعتبر أن المرأة خلقت أصلاً لتكون أماً وربة بيت فقط، ولهذا اشتهرن بالمهارة فى الخدمة وإدارة البيوت «أهرام ٨ / ٢ / ١٩٧١».

والمرأة الفنلندية حصلت على حقوقها سنة ١٩٠٦ والنرويجية سنة ١٩٠٧ والروسية سنة ١٩١٧ وكان نيلها لحقها بدون مظاهرات كما تقول نايلة كامل «حواء ٢٧ / ١١ / ١٩٦٥».

أما المرأة الأمريكية فقد سبقت نساء الغرب فى نيل حقوقها، وذلك عندما تقدمت «مرغريت برنت» سنة ١٦٤٧م[١] بطلبها لحق النيابة، وقامت أول حركة نسائية منظمة فى الولايات المتحدة بل فى العالم كله، بزعامة «مدام سوزانا»[٢] (١٨٢٠-١٩٠٦) وكانت مظاهرة استعراضية كسبت بها عطف الرأى العام وكان أول مؤتمرعقد لذلك سنة ١٨٤٨م عقدته السيدات: ستاتون، موت، أنتونى، الأخوات جريمكى. وضم جهود النساء اتحاد عام سنة ١٨٩٠. وكانت ولاية (وايومنج) أول ولاية أعطتها حقها السياسى سنة ١٨٦٩. وفى ١٩١٣ كانت هناك ١٢ ولاية منحت المرأة حقها. وفى سنة ١٩٢٠ عدل الدستور لينص على الحقوق السياسية كاملة للمرأة الأمريكية «مجلة النهضة: الكويت ٢٨/٤/١٩٧٥».

واتسعت الحركة وزاد ضغط النساء على المرشحين لانتخاب الرياسة سنة ١٩١٢م. وأخيراً حصلت على حق الانتخاب سنة ١٩١٨م، وإن كانت لم تقف عند حد فى مطالبتها بالمساواة التامة بالرجل والتحرر من سلطانه كما سيجىء ذكره بعد.

---

(١) من نداء مارى فى إنجلترا استوحت مرجريت فكرتها فأعلنت وجوب إسناد خدمة المنزل للرجال الذين يدعون أنهم الجنس الأقوى، وظروف الحركة فى أمريكا غيرها فى إنجلترا، فالمرأة مهضومة جدا وهى قاصرة إن لم تتزوج، والزواج موت لها مدنى، وليس لها الحق فى الوصية أو الحضانة عند الطلاق وكان الأزواج أحرارا فى بيع النساء كما ثبت فى حكم صدر ١٨١٥ قام بموجبه هنرى كوهين بتسليم زوجته إلى مشتريها «جون إيرك» فى مقابل شلن، تعاطف المتعلمات الفقيرات مع حركة تحرير العبيد وأشهر من عرف من الأمريكيات المدافعات عن الزنوج (هاربت بيتشر سنو) «١٨١١-١٨٩٦» مؤلفة قصة «كوخ العم توم»، «لوكرينا موط» (١٧٩٣-١٨٨٠) التى أوفدها سنة ١٨٤٠ المهتمون بتحريرالعبيد مع مارجريت كادى سانتون إلى لندن لمؤتمر لبحث المشكلة، وعادتا أشد حماسا لتحريرالمرأة وبعد طواف بالدعوة ٨ سنوات اجتمع فى ١٥ يونية ١٨٤٨ المؤتمرالنسائى «سينكاف ويلز» حضرته لوكرينا واليزابيث وبقية المكافحات فى معبد «ويسليان» لوضع صيغة إعلان حقوق المرأة الذى ينص على استقلال المرأة الأمريكية «الرائد - الكويت ٢٧/٤/١٩٧٨».

(٢) لها ترجمة فى كتاب «نساء شهيرات» لمبارك إبراهيم، فى سلسلة: اقرأ رقم ١١٩.

ومن الأسماء البارزة فى حركات التحرر النسائية فى أوروبا «أنا ثوراتى» رائدة الحركة النسائية فى إيطاليا، وكذلك «اليزابيتثام» فى السويد، وأيضاً «مدام ايجينى كوتون» رئيسة الاتحاد النسائى الديموقراطى العالمى[1] «حواء ٢٧/١١/١٩٦٥».

وجاء فى أهرام ٢٦/٨/١٩٧٠ أن هناك مجلساً نسائياً دولياً تأسس سنة ١٨٨٨م، ومركزه الرئيسى باريس، وتشترك فيه خمس وأربعون دولة أوروبية وأفريقية وآسيوية وذلك بتنظيماتها الأهلية لا السياسية.

هذا، وقد اتخذ نساء العالم يوم ٨ مارس من كل عام يوماً عالمياً للمرأة، وذلك أنه فى يوم ٨ مارس ١٩١٠م عقد أول مؤتمر نسائى عالمى فى كوبنهاجن، حضرته ١٠٠ عضوة يمثلن ١٦ دولة. وتم الاتفاق على الاحتفال بيوم ٨ مارس على المستوى العالمى[2]، وهو اليوم الذى ثارت فيه عاملات النسيج والملابس فى الولايات المتحدة عام ١٩٠٨ للمطالبة بتحسين أحوال العمل والاعتراف بحقوقهن الدستورية «الأهرام ٨/٣/١٩٧٤م» وفى أهرام ١٦/١/١٩٨٢م أنه يعود إلى ١٨٥٧م[3].

وجاء فى أهرام ٢٥/٧/١٩٧٤ تحت عنوان «من ٧٥ سنة فى مصر» أن هناك مجمعاً نسائياً دولياً ترأسه منذ خمس سنوات (١٨٩٤) اللادى «أبردين» زوجة الكونت «ابردين» حاكم كندا السابق.

---

(١) هذا الاتحاد أنشئ فى باريس بتاريخ ١/١٢/١٩٤٥ كما فى جريدة القبس الكويتية ١٧/٩/١٩٧٤.

(٢) وصاحبة الفكرة هى «كلارا رنيكين» جريدة القبس الكويتية ١٧/٩/١٩٧٤.

(٣) فى أهرام ١٢/٣/١٩٨٧م أن فى ٨ مارس ١٩٠٨م شب حريق فى مصنع نسيج نيويورك مات فيه عاملات كثيرات بالحرق أو بالقفز من النوافذ لأن استحكامات الأمن تقضى بإغلاق أبواب المصنع أثناء العمل، وفى ٨ مارس ١٩١٠ عقد مؤتمر عالمى فى كوبنهاجن حضره مائة عضوة يمثلن ١٦ دولة بعد أن أضرب ٨ ملايين عاملة نسيج فى أمريكا للتحسين أحوال العمل والاعتراف بحقوق المرأة السياسية. وفى جلسة للمؤتمر طالبت (كلارازيتكن) بجعل ٨ مارس يوما عالميا للمرأة.

وإليك مقتطفات من مقال عزيزة حسين نشر فى أهرام ٥ / ١٢ / ١٩٦٥، مأخوذ من كتاب أعدته لجنة المرأة فى الأمم المتحدة عن القيادات النسائية فى العالم.

فى سنة ١٨٩٣ سبقت المرأة النيوزيلاندية نساء العالم فى نيل حقوقها السياسية كاملة بدون قيد ولا شرط، وإن كانت الأمريكية نالتها بشروط، ففى ولاية «نيوجرسى» سنة ١٧٩٠ نالته بشروط ضيقة جداً، ثم سحب هذا الحق سنة ١٨٠٧، ولم يتأكد حقها الانتخابى بصفة خاصة إلا سنة ١٩٢٠.

وفى استراليا سنة ١٨٩٤ نالت المرأة حقوقها فى مقاطعة الجنوب، ولما جاء عام ١٩٠٣ كان لكل نساء استراليا حق الانتخاب والترشيح.

وفى كندا بدأت المرأة تنال حقها فى الانتخاب سنة ١٩١٦م، وذلك فى مقاطعتين، وكان قاصراً على العاملات فى الخدمة العسكرية أو زوجات الموظفين فى مناصب هامة فى الدولة. وفى سنة ١٩١٧ بدأت كل المقاطعات تعطيها حق الانتخاب، حتى جاءت سنة ١٩٤٨ فكان الحق لكل النساء فى أمريكا.

وفى سنة ١٩١٩ نالت المرأة حقوقها فى كل من بولندة واستيريا وتشيكوسلوفاكيا، وبعد الحرب العالمية الثانية ارتفع عدد البلاد التى أعطتها الحق إلى ٤٠ دولة. ولما نالت المرأة الفرنسية حق الانتخاب سنة ١٩٤٦م، لم تنله الجزائرية إلا بعد سنة. فقد أعطيت حق الانتخاب سنة ١٩٤٧، وتأكد الحق سنة ١٩٦٢م بعد الاستقلال.

وكانت فرنسا ورومانيا ممن أعطت المرأة حقها سنة ١٩٤٦، وفى بلغاريا وبورما والصين نالت حقها سنة ١٩٤٧، وفى كوريا والبرتغال سنة ١٩٤٨، وفى كوستاريكا سنة ١٩٤٦، وفى مصر سنة ١٩٥٦، وفى سنة ١٩٦٤ بلغ عدد الدول التى أعطت المرأة حق الانتخاب والترشيح الكامل ١٠٦، وفى الفلبين ١٩٣٧، واليابان ١٩٤٥ والبرازيل ١٩٣٤ وسلفادور ١٩٣٩م.

هذه نظرة عامة على ما أعطيته المرأة من حقوق فى معظم الدول، والعهدة فى تحقيق التواريخ على المصادر التى نقلت منها هذه المعلومات.

* * *

الفصل الثانى
منزلة المرأة فى الإسلام

رأينا فيما تقدم كيف حدد الله وضع المرأة بالنسبة للرجل، وكيف جاءت نصوص القرآن دالة على هذا التحديد، ورأينا مقدار الظلم الذى وقع عليها، لسوء نظرة الناس إليها، ومقدار الفساد الذى نتج عن سوء فهمها هى أيضًا لوظيفتها، وسوء استغلال الناس لما فيها من قوى ومواهب، والإفراط والتفريط دائمًا من أهم عوامل الفساد والإفساد.

لقد نظر الإسلام إلى المرأة نظرة عادلة حكيمة، وهى نظرة الأديان جميعًا، غير أن أهلها هم الذين حادوا بهذه الأديان عن وضعها الصحيح. والإسلام فى سائر تشريعاته عادل، وضع المرأة فى موضعها اللائق بها، من حيث علاقتها بالرجل وبالمجتمع البشرى كله. مقدراً نواحى الخير والضعف فيها، ونبه الناس إلى حسن استغلالها، ومقدرا أيضًا نواحى الشر والشدة فيها، وحذر الرجال منها، كما قدر ذلك فى الأولاد، على ما هو موضح فى الجزء الرابع من هذه الموسوعة.

فمما ورد فى الوصية بالمرأة قوله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء: ١٩]، وقول النبى ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً. فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج. فاستوصوا بالنساء خيراً» رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة. ففى هذا الحديث بيان لسبب الوصية بهن، وهو شىء خلقى طبعت عليه المرأة. والمراد بأعلى الضلع رأس المرأة وعقلها وفكرها.

ومما ورد فى ذلك أيضًا حديث «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا سره آخر» رواه مسلم عن أبى هريرة، ومعنى يفرك يبغض. والفعل الماضى فرك. والحديث يشير إلى أن فى المرأة ناحيتين، فلينظر الرجل إليها من كلتا الناحيتين،

لا من ناحية واحدة. وهنا يكون الإنصاف فى الحكم والعدل فى المعاملة. إلى غير ذلك من النصوص التى سيصادفك كثير منها فى الجزء الثالث فى بيان حقوق الزوجية.

ومما ورد من التحذير منها قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾ [التغابن: ١٤]، وقوله: ﴿ **إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٢٨]. وقول النبى ﷺ «ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء» رواه البخارى ومسلم عن أسامة بن زيد. وقوله فى بيان لون من ألوان فتنتها «يقطع الصلاة المرأة والكلب والحمار» رواه مسلم وأحمد وابن ماجه عن أبى هريرة، وجاء فى رواية عن أبى ذر، فى اتخاذ المصلى ساتراً بين يديه قوله عليه الصلاة والسلام «فإنه يقطع صلاته المرأة والحمار والكلب الأسود». ولما سأل أبو ذر عن الفرق بين الكلب الأسود والأحمر والأصفر قال «الكلب الأسود شيطان» وجاء فى رواية أحمد عن عائشة، مع ذكر الحمار، والكلب والمرأة، الكافر.

وللعلماء فى تفسير قطع الصلاة بهذه الأشياء مذهبان، مذهب يقول بالبطلان، أى أن هذه الأشياء تبطل الصلاة لو مرت أمام المصلى، وعليه إعادتها، وذهب إلى هذا الرأى جماعة من الصحابة كأبى هريرة وأنس وابن عباس وأبى ذر وابن عمر. وقال به من التابعين الحسن البصرى، ومن الأئمة أحمد بن حنبل، كما حكاه ابن حزم الظاهرى عنه، وحكى الترمذى أنه يخصص بالكلب الأسود، ويتوقف فى الحمار والمرأة.

وذهب أهل الظاهر إلى قطع الصلاة بهذه الثلاثة إذا كان الكلب والحمار بين يديه، سواء فى ذلك الصغير والكبير والحى والميت، والمرور وعدمه. وسواء فى ذلك كون المرأة مارة بين يدى الرجل أم غير مارة، صغيرة أم كبيرة، إلا أن تكون مضطجعة معترضة (وذلك لما ثبت أن النبى ﷺ كان يصلى وعائشة معترضة بين يديه).

والمذهب الثانى يقول بعدم البطلان، ويريد بقطع الصلاة نقصان ثوابها، وذلك لنقص الخشوع فيها. وذهب إليه مالك والشافعى. وحكى النووى عن جمهور السلف والخلف أنه لا يبطل الصلاة مرور شىء. قال النووى: وتأول هذا الحديث على أن المراد بالقطع نقص الصلاة، لشغل القلب بهذه الأشياء، وليس المراد إبطالها.

قال الدميرى فى كتابه «حياة الحيوان الكبرى»: تأول الجمهور قوله ﷺ «يقطع الصلاة المرأة والحمار» بأن ذلك مبالغة فى الخوف على قطعها وإفسادها من الشغل بهذه المذكورات. وذلك لأن المرأة تفتن، والحمار ينهق، والكلب الأسود يروع ويشوش الفكر. فلما كانت هذه الأمور آيلة إلى القطع جعلها قاطعة.

هذا، ومن العلماء من يدعى نسخ هذا الحديث بالحديث الآخر «لا يقطع الصلاة شىء، وادرءوا ما استطعتم» وهذا غير مرضى، لأن النسخ لا يصار إليه إلا إذا تعذر الجمع بين الأحاديث وتأويلها وعلمنا التاريخ. وليس هنا تاريخ ولا تعذر الجمع والتأويل. مع أن حديث «لا يقطع صلاة المرء شىء» ضعيف.

وبهذا يعلم أن الأرجح فى قطع الصلاة بمرور المرأة هو نقص ثوابها للانشغال بها، ويمكن التحرز عن الفتنة والانشغال باتخاذ الساتر.

وليس فى هذا غض من شأن المرأة واحتقار لها حين ساواها الحديث بالحمار والكلب، بل هو بيان لما فيها من فتنة ينبغى التحرز منها. وهو داخل تحت النصوص الواردة فى كونها فتنة. وقد تقدمت[1].

والنصوص الواردة فى القرآن والسنة فيما يخص المرأة كثيرة جمعها السيد / محمد صديق حسن خان بهادر ملك باهوبال بالهند فى كتابه «حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله فى النسوة» دعته إلى تأليفه صاحبته وعيبته «تاج الهند نواب شاه جيهان بيكم» صاحبة الولاية فى مملكة باهوبال منذ سنة ١١٣٠هـ[2].

---

(١) ملخصة من فتوى نشرت فى مجلة منبر الإسلام عدد رمضان ١٣٩١هـ.

(٢) طبع فى القسطنطينية سنة ١٢٠١هـ.

وألفت كتب كثيرة فى هذا الموضوع. ومهما يكن من شيء فإنى أسوق هنا بعضاً من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة، دليلاً على أنه سبق التشريعات الحديثة فى رفع الظلم عنها وتقرير حقوقها، وفى التشديد فى رعايتها، وعلى أنه صحح النظرة إليها، ووجهها كما وجه الرجل إلى التعاون على خير المجتمع.

١ - كرامتها الإنسانية:

اعترف الإسلام بأن المرأة مخلوق آدمى له كرامته كما كرم الجنس الآدمى كله، فهى أيضاً خلقت من آدم. قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ﴾ [الاسراء: ٧٠]، وجعلها شقيقة للرجل فى هذه الإنسانية، وفيما يترتب عليها من حقوق وواجبات، مع مراعاة الاختلاف فى التكوين والاستعداد، ففى الحديث «إنما النساء شقائق الرجال» رواه أحمد وأبو داود والترمذى عن عائشة. ورواه البزار عن أنس، وهو حديث صحيح. وجعلها الإسلام أحد العمودين الأساسيين للبشر، بعد أن كان بعض الناس يعدها من الشياطين أو من الحيوان الأعجم. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ...** ﴾ [الحجرات: ١٣]. ونهى عن السخرية منها فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ** ﴾ [الحجرات: ١١]. وإذا كان النهى عن احتقار امرأة لامرأة، فإن احتقار الرجل لها يكون أولى بالنهى.

٢ - أهليتها للعبادة:

جعل الله المرأة أهلاً للعبادة وقبول التكليف الدينى وتقربها إلى الله. فقد وجه الخطاب إليها كما وجهه إلى الرجل، ورتب على طاعتها ثواباً لا تحرم منه كما لا يحرم الرجل ثواب طاعته. بل جعل كلا من النوعين مسئولاً مسئولية تامة عن عمله، وفى ذلك تأكيد لشخصيتها واحترام لوجودها، قال تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ**

بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

جاء في تفسير ابن كثير: أن أم سلمة قالت: قلت للنبي ﷺ: مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر. قالت: وأنا أسرح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي، فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول على المنبر: يأيها الناس، إن الله يقول ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ...﴾ رواه أحمد والنسائي بطرق عن أم سلمة. وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم وابن أبي حاتم عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ...﴾ لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.

وجاء في تفسير القرطبي «ج١٤ ص١٨٥»: روى الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت هذه الآية، وقال الترمذي: حديث حسن غريب. أي رواه راو فقط.

وجاء في تفسير النسفي: ولما قال الرجال: نرجو أن يكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كالميراث، وقالت النساء: يكون وزرنا على نصف وزر

الرجال كالميراث نزل ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ** ﴾ [النساء: ٣٢]. وجاء في باب النقول في أسباب النزول للسيوطي «سورة النساء»:

روى الترمذي والحاكم عن أم سلمة أنها قالت: يغزو الرجال ولا يغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا...** ﴾ وأنزل فيها ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...** ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتت امرأة النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله للذكر مثل حظ الأنثيين وشهادة امرأتين برجل، أفنحن في العمل هكذا إن عملت المرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة، فأنزل الله ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا...** ﴾، ومما يدل على الاعتراف بعقودهن الدينية مبايعتهن للرسول ﷺ التي جاء فيها: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وفي ظل هذه النصوص وغيرها نالت المرأة المسلمة التكريم العظيم، فهي إنسان لا حيوان، وهي طاهرة لا نجسة، وهي أهل للعبادة ولم تخلق فقط للخدمة، وهي ذات شخصية مستقلة تبرم العقود وحدها في أخطر الأمور الدينية كالمبايعة.

ورأينا في ظل هذا التكريم الذي سبقت به إرادة الله قبل أن تنزل به النصوص أن أول من آمن بالرسول ﷺ من البشر هي السيدة خديجة رضي الله عنها. كما رأينا أن القرآن عندما جمع في مصحف وضع عند امرأة هي السيدة حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها. وكثير من مظاهر التكريم عاشت به المرأة المسلمة محترمة تزهى على غيرها من بنات جنسها في غير ظل الإسلام.

٣ - حق التملك والتصرف:

قرر الإسلام للمرأة حق التملك الصحيح، وحق التصرف الشخصي فيما

تملكه دون الرجوع إلى أحد من زوج أو والد أو من له ولاية غيرهما. فعندما أمر الإسلام بإعطائها الصداق حرم على الزوج وولي أمرها أن يأخذا منه شيئًا بدون رضاها. قال تعالى: ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴾ [النساء: ٤]، ثم قال بعد أن أعطاها حق التملك ﴿ **وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ [النساء: ٢٠، ٢١] ففي هاتين الآيتين تأكيد لحق تملكها لما تحت يدها ومراعاة حرمة هذا التملك بالتنفير الشديد من الاعتداء عليه. مع إبراز شخصيتها بقوله: ﴿ **وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ وهو وإن كان ميثاق الله باحترام حقها فقد نسب إليها تكريمًا لها كأنها هي التي أخذته، أو أن العرف يقضي بذلك وهو بمثابة الميثاق.

وهذا الضرب من التصرف لم تظفر به المرأة في أوروبا حتى عصر النهضة، إلا في وقت متأخر، وتنص المادة ٢١٧ من القانون الفرنسي على أن المرأة – حتى لو كان زواجها قائمًا على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها – لا يجوز لها أن تهب، ولا أن تنقل ملكيتها، ولا أن ترهن، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض، بدون اشتراك زوجها في العقد، أو موافقته عليه موافقة كتابية.

وبهذه المناسبة أورد ما رآه أحمد بن حنبل في هذه النقطة:

جاء في معجم المغني لابن قدامة «ص٨٧٦» وما بعدها[1] عن تصرف البنت في مالها: أن رواية عن أحمد تقول: إن البنت إذا بلغت الرشد لا يدفع إليها مالها بعد البلوغ حتى تتزوج وتلد، أو يمضي عليها سنة في بيت الزوج. وعلى هذه الرواية: إذا لم تتزوج أصلاً احتمل أن يدوم الحجر عليها. وقيل: إنه يدفع إليها مالها إذا عنست وبرزت للرجال، يعني: كبرت.

---

(١) طبعة أوقاف الكويت.

وللمرأة الرشيدة التصرف فى مالها كله بالتبرع والمعاوضة، وروى أنه ليس لها أن تتصرف فى مالها بزيادة على الثلث بغير عوض إلا بإذن زوجها. اهـ. أقول لعل القانون الفرنسى استمد فقرته المذكورة من مثل ما رآه أحمد بن حنبل. وهو على كل حال رواية عنه، والمذاهب الأخرى تؤكد استقلال المرأة فى تصرفاتها المالية.

٤ - حقها فى الميراث:

حفظ الإسلام للمرأة حقها فى الميراث، كما قال تعالى ﴿**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً**﴾ [النساء: ٧]، وآية الميراث فى السورة نفسها تبين ما قدر لهن. وفى سبب نزول آية المواريث روى الترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارقطنى عن جابر بن عبد الله أن امرأة سعد بن الربيع قالت: يا رسول الله إن سعداً هلك، وترك بنتين وأخاه، فعمد أخوه فقبض ما ترك سعد. وإنما تنكح النساء على أموالهن. فلم يجبها فى مجلسها ذاك. ثم جاءته فقالت: يا رسول الله، ابنتا سعد. فقال رسول الله ﷺ «ادعى لى أخاه» فجاء. فقال له «ادفع إلى ابنتيه الثلثين، وإلى امرأته الثمن، ولك ما بقى». وفى رواية: فنزلت آية المواريث. قال الترمذى: هذا حديث صحيح. وقيل: نزلت آية المواريث فى بنات عبد الرحمن بن ثابت أخى حسان بن ثابت[١].

وفى الجزء الرابع من هذه الموسوعة توضيح لهذا الحق.

٥ - حرمة ميراثها:

حرم الإسلام أن تورث المرأة كالمتاع والحيوان، ويستولى عليها الوارث. وحرم مضايقتها بذلك لتفتدى نفسها من وارثها بمال تدفعه إليه، كما حرم حرمانها من الزواج بغيره بطرق ملتوية طمعاً فى مالها. وطابع هذا

---

(١) تفسير القرطبى ج٥ ص٥٨.

الحق هو حريتها فى زواجها وتمتعها بحق إنسانيتها، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ** ﴾ [النساء: ١٩]، والعضل هو المنع من الزواج.

قال ابن كثير فى تفسيره: نزلت هذه الآية فى كبيشة بنت معن بن عاصم ابن الأوسى. توفى أبو قيس بن الأسلت، فجنح عليها ابنه، فجاءت رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، لا أنا ورثت زوجى. ولا أنا تركت فأنكح. ذكر هذا الطبرى عن عكرمة، وقيل: إن الآية التى نزلت فيها هى قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ** ﴾ وقد سبق ذلك فى بيان أنواع الأنكحة فى الجاهلية فى الجزء الأول من هذه الموسوعة.

وروى البخارى عن ابن عباس فى سبب نزول هذه الآية، أى آية ﴿ **لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا** ﴾ قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها.

وقال الزهرى وأبو مَجْلز: كان من عادتهم إذا مات الرجل يلقى ابنه من غيرها أو أقرب عصبته ثوبه على المرأة، فيصير أحق بها من نفسها وأوليائها، فإن شاء تزوجها بغير صداق، إلا الصداق الذى أصدقها الميت، وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها ولم يعطها شيئًا، وإن شاء عضلها لنفتدى منه بما ورثته من الميت، أو تموت فيرثها. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وجاء فى كتاب «حسن الأسوة»: عن معقل بن يسار قال: كانت لى أخت – اسمها فاطمة أو جميلة كما فى تفسير ابن كثير – تخطب وأمنعها الناس. فأتانى ابن عمى – أبو البداح – فأنكحتها إياه، فاصطحبا ما شاء الله، ثم طلقها طلاقًا له رجعة، ثم تركها، حتى انقضت عدتها. فلما خطبت أتانى يخطبها مع الخطاب، فقلت له: خطبت فمنعتها الناس فآثرتك بها، فزوجتكها، ثم طلقتها

طلاقًا رجعيًا، ثم تركتها حتى أنقضت عدتها. فلما خطبت أتيتنى تخطبها مع الخطاب؟ والله لا أنكحتكها أبدًا. قال: ففىَّ نزلت هذه الآية: ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. قال: فكفرت عن يمينى وأنكحتها إياه. رواه البخارى وأبو داود والترمذى.

وقيل: كان الوارث إن سبق فألقى عليها ثوبًا فهو أحق بها. وإن سبقته فذهبت إلى أهلها كانت أحق بنفسها، قاله السُّدِّى. وقيل: كان يكون عند الرجل عجوز، ونفسه تتوق إلى الشابة، فيكره فراق العجوز لمالها: فيمسكها ولا يقربها حتى تفتدى منه بمالها، أو تموت فيرث مالها، فنزلت هذه الآية، وأمر الزوج أن يطلقها إن كره صحبتها، ولا يمسكها كرهًا. فإرث النساء كرهًا على هذا الرأى معناه إرث مالها بعد موتها «تفسير القرطبى ج٥ ص٩٤». وتقدم فى الجزء الأول فى بحث أنكحة الجاهلية أن هذا النظام أخذ به اليهود، فإذا مات الشخص دون أن ينجب أولادًا تصبح أرملته زوجة تلقائية لشقيق زوجها أو أخيه لأبيه.

يقول الدكتور «وافى»: إن الأرملة تسمى فى شريعة اليهود «ياباماه» وأخو زوجها الشقيق أو لأبيه يسمى «يابام»، ولا يصح لها أن تتزوج من غيره إلا إذا خلصها بطريقة تشبه الطلاق، وتسمى فى الشريعة الموسوية «الحاليصاء». وقد أقرت ذلك المادة ٢٦ من كتاب الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين فى مصر[١].

وفى بحث للأستاذ محمود سلام زناتى بمجلة العربى عدد يناير ١٩٧٤م عن وراثة الزوجة المتوفى عنها زوجها: أن نظام رعاية الأرملة قديم، على خلاف فيمن هو أحق برعايتها من أقارب الميت أو أقاربها هى.

---

(١) مجلة منبر الإسلام جمادى الأولى ١٣٧٩هـ.

والمجتمعات القبلية كانت متفقة على عدم إخضاع الأرملة التى جاوزت سن الحمل للخلافة. فلها الحرية فى البقاء فى بيت الزوج أو الإقامة عند ابنها أو غيره، وبعض القبائل لا يعطونها الحرية فى اختيار القريب الذى تعيش عنده.

وفى «التسوانا» بجنوبى أفريقيا تجلس الأرملة فى وسط مجموعة من الناس لحضور وليمة فى بيتها، يحضرها أقارب الزوج، وتناولهم «الجعَّة» من قدر، وكان الأخ التالى للزوج الميت يتقدم للقدر ويرفع الغطاء، ويضعه إلى جانبه، فإن كانت لا تريده أعادت الغطاء على القدر، ثم يتقدم الرجل التالى له، ويفعل كذلك. فإذا حدث أن وافقت على ترك الغطاء فى موضعه والإناء مكشوف سقت الناس من الجعة ورضيته زوجًا.

وقد يحدث أن الميت عند احتضاره يوصى بمن تكون عنده أرملته، وهذه الخلافة عليها لا تعد زواجًا جديداً، فهى من جهة القانون زوجة المتوفى، ولو عاشرها كان أولادها أولاد زوجها الأول المتوفى.

ويقول أيضًا عن الحيثيين: إذا مات الزوج يتزوج أخوه زوجته، وإذا لم يكن له أخ تزوجها أبوه، وإذا لم يكن له أب تزوجها أحد أبناء أخيه.

ويقول: عند الهندوس أحد أقارب الزوج يعاشر الأرملة لأجل الذرية، لكن فى شريعة «منو» – أشهر فقهاء الهندوس – هناك شروط قاسية لرعاية الأرملة.

ويقول: وعند العرب كان الابن صاحب الحق فى معاشرة أرملة أبيه، ثم الأخ، أو أحد العصبة. وإذا تعدد الأبناء يقدم الأكبر، وكان ذلك بدون صداق.

٦ – مشورتها عند الزواج:

قدس الإسلام رأيها عند الزواج. ففى الحديث «لا تنكح الأيم – الثيب – حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن» قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت» رواه مسلم عن أبى هريرة «ج٩ ص٢٠٢». وتفصيل ذلك مذكور فى الجزء الأول من هذه الموسوعة.

٧ - حق التعلم :

لأهمية هذا الحق الذى كان التقصير فيه أحد الأسباب لتأخر المرأة والمجتمع، وداعيًا من دواعى المناداة بتحرير المرأة، ولإفراطها فى التمتع به أخيرًا كرد فعل للكبت القديم والحرمان غير المشروع. سأبسط الحديث عنه بعض البسط.

لا شك أن العلم ضرورى لسعادة الفرد والمجتمع، وهو أساس المسئولية ومناط التكليف، وهو شرف وكمال لكل من ينتسب إليه معلمًا أو متعلمًا، وذلك للرجل والمرأة على السواء، وقد سبق أن قوانين . وهى أقرب القوانين إلى الديموقراطية، لا تتيح فرصة التعلم للمرأة، بل تسد طريقه أمامها.

وكانت المرأة فى العصور الوسطى مهملة من جهة التعليم، يقول الدكتور أحمد شلبى فى كتابه: تاريخ التربية الإسلامية ص٣١٨ وما بعدها:

خلال العصور الوسطى كانت العناية بالمرأة محدودة جدًا، لأن المذهب الكاثوليكى كان يعد المرأة مخلوقًا فى الدرجة الثانية، وكان الاتجاه هو عدم إعطاء المرأة ما يزيد على نطاق البيت. وبشىء من التفصيل يقال: طبقة النبلاء كان يسمح لهن بتعلم القراءة والكتابة، لإدارة ضياعهن، وأما بنات السادة من رجال البلاط وبنات الأطباء والقضاة فقد تقرر أخيرًا أن الأحسن عدم تعليمهن، وبنات التجار والصناع تقرر عدم تعليمهن أى لون من التعليم، كما تدل عليه دائرة معارف التعليم.

ويقول بعض المؤرخين: إن الأميرات نلن طرفًا من التعليم لبضع ساعات، كانت تمضيها مع مؤدب خاص، وهى طفلة أو فى مدرسة خاصة. وأقصى ما يمكن أن تتعلمه هو قراءة كتب القصص والغناء والنشيد.

أما الانجليزية فقبيل نهاية العصور الوسطى لم يهتم بتعليمها القراءة، ولذلك كانت الأوقاف على التعليم هى للصبيان فقط، وأغلب الآباء كان يكتفى لبنته بقسط من التعليم الأولى، ثم يعلمونهن مطالب البيت والزوجية. اهـ.

والعرب فى الجاهلية كانوا لا يهتمون بالعلم عامة، فقد غلبت عليهم الأمية، ولكن كان هناك بعض النساء لهن دراية بالعلم إلى حد ما ومنهن: هند بنت الخس بنت حابس الأيادية[1] وأختها جمعة بنت الخس. ومنهن أيضًا صحر وحذام بنت الريان القائلة: لو ترك القطا ليلا لنام[2]، وذلك أنه كان بين أبيها وبين عاطس بن خلاج قتال، فلما قرب من معسكر أبيها ليلا أثار القطا، فمرت بجيش الريان، فخرجت حذام إلى قومها وقالت:

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا ليلا لناما

فلم يسمعوا كلامها وناموا. فقام ديسم بن طارق وصرخ فيهم:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

فثاروا وانحازوا إلى واد ونجوا[3].

ومنهن الشفاء[4] بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف القرشية العدوية المتوفاة سنة ٢٠هـ كانت تعلم الفتيات فى الجاهلية. وقد أخذت حفصة بنت عمر عنها الكتابة قبل زواجها بالرسول ﷺ. ولما تزوجها دخل عليها والشفاء عندها فقال «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة» رواه أبو داود بسند صحيح عن الشفاء[5] قال ابن القيم بعد ذكر هذا الحديث: فيه دليل على جواز تعليم النساء الكتابة. وذكر هذا الخبر البلاذرى فى كتابه «فتوح البلدان».

وممن كنّ يقرأن عند مجىء الإسلام غير الشفاء: حفصة وأم كلثوم بنت

---

(١) سبق شىء عنها فى هذا الجزء.

(٢) بلوغ الأرب للألوسى ج١ ص١٦١.

(٣) مجمع الأمثال للميدانى.

(٤) الشفاء بنت عوف بن عبد الحرث، بكسر الشين وتخفيف الفاء والقصر، أى بدون همزة، كما صرح به البرهان فى المقتضى والحافظ فى التبصير. وقال ابن الأثير فى الجامع بالتخفيف والمد، أى بالهمز، وقال الدلجى بفتح المعجمة أى الشين وشد الفاء والمد، وجرى عليه البوصيرى فى الهمزية فى قوله «وشفتنا بقولها الشفاء» الزرقانى على المواهب ج١ ص١١٩.

(٥) زاد المعاد ج٣ ص١٢٤.

عقبة، وعائشة بنت سعد، وكريمة بنت المقداد. وابنة الأعشى التى علمها أبوها حتى صارت أديبة ناقدة، وكان يعرض عليها قصائده لنقدها[1].

ورقية النملة (بكسر الميم) المذكورة فى الحديث، هى رقية من قروح تخرج فى الجنبين، وسمت كذلك لأن صاحبها يحس فى مكانها كأن نملة تدب عليه وتعضه. وكانت الشفاء ترقى بها فى الجاهلية، فلما هاجرت، وكانت قد بايعت النبى ﷺ بمكة، عرضت عليه الرقية، فأقرها. لأنه ليس فيها ما ينافى الدين، وهى موجودة فى كتاب زاد المعاد لابن القيم.

أخرج الحاكم صحيحاً على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى، أن رجلاً من الأنصار خرجت به نملة، فدل أن الشفاء بنت عبد الله ترقى منها، فجاءها، فسألها أن ترقيه، فقالت: والله ما رقيت منذ أسلمت. فذهب الأنصارى إلى رسول الله ﷺ فأخبره بالذى قالته الشفاء، فقال ﷺ «اعرضى على» فعرضتها. فقال ﷺ «ارقيه وعلميها حفصة كما علمتها الكتابة». والرقية من النملة كلام كانت نساء العرب تستعمله، وكل من سمعه يعلم أنه لا يضر ولا ينفع، وهى أن يقال: للعروس تختفل، وتختضب وتكتحل، وكل شىء تفتعل، غير ألا تعصى الرجل. وأراد النبى بهذا المقال تأديب حفصة، والتأديب لها تعريض، لأنها أفشت السر الذى ألقاه إليها النبى. كما فى قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا...**﴾ (نيل الأوطار للشوكانى ج٩ ص١٠٥).

وقلة المتعلمات فى الجاهلية لا يمنع أن يكون فيهن شاعرات أديبات، فالشعر والأدب طبيعة غالبة فى العرب قد يجيدهما من لا يقرأ ولا يكتب.

فمن الشاعرات الخنساء التى أدركت الإسلام وخبرها مشهور. وكذلك قتيلة أخت النضر بن الحارث أو بنته، الذى كان يسب الرسول قبل الهجرة، ثم أسر يوم بدر وقتل، ورثته بقصيدة طويلة، يقال: إن النبى ﷺ قال «لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه»[2].

---

(١) تاريخ التربية لشلبى ص٣٢٤ نقلاً عن فتوح البلدان للبلاذرى ص٤٥٨.

(٢) انظر قصتها وشعرها فى بحث «بر الوالدين وصلة الأرحام».

ومنهن من كان له بصر بالشعر مثل أم جندب زوجة امرئ القيس التى حكمها فى الشعر بينه وبين علقمة الفحل، فحكمت لعلقمة فطلقها. وقيل: إن علقمة تزوجها، وسمى «الفحل» مع أن اسمه علقة بن عبدة التميمى.

وقد رفع الإسلام شأن العلم وكرم أهله، وحث على طلبه ورغب فى تحصيله، وفتح كل الأبواب إليه ويسرها، ولم يقف أمام رغبة أى إنسان فى طلب ما يريد من أنواع العلوم، فالعقل نفسه يحب المعرفة والغريزة التى يقول عنها علماء النفس «حب الاستطلاع» لا بد أن تثبت وجودها، فهى تلح إلحاحًا على الإنسان بالحصول على أية معارف، والإسلام لا يحارب الغرائز، ولكن يقومها ويوجهها الوجهة الصالحة. ولو أنه حرم العلم أو عوق سبيله لكن مضادًا للفطرة الإنسانية، والنصوص الشاهدة على ذلك فى القرآن والسنة وسيرة السلف كثيرة. وسيأتى ببعض ما يخص المرأة منها.

والمرأة كالرجل فى إتاحة الفرصة لها للتعلم، والواقع أن المرأة المتعلمة التى يحصن علمها دين وخلق قويم تستقيم، فى الغالب بل الأغلب، حياتها الخاصة والعامة، وتستطيع أن تؤدى واجباتها كما ينبغى نحو زوجها، وأن تحسن تدبير بيتها وتنظيمه، وتهيئته ليكون عشًا سعيدًا حقًا، كما أنها تربى أولادها تربية صالحة، وتشرف عليهم ثقافيًا وصحيًا وخلقيًا. وتكون عونًا لزوجها فى حل المشكلات التى تصادفه فى حياتها العامة، ويكون التفاهم معها عند النزاع ميسورًا. وذلك كله إذا كانت ثقافتها أصيلة نقية متصلة بنوع خاص بحياتها ومهمتها الأصلية، ويحصنها الدين والخلق والفهم الواعى لرسالتها الأساسية.

أما من لم تكن ثقافتها بهذه المواصفات فهى نكبة على نفسها وعلى زوجها وعلى أولادها، بل على المجتمع كله، وانظر توضيح ذلك فى بحث اختيار الزوجين من الجزء الأول من هذا الكتاب.

ومما ورد من النصوص الصريحة فى حق المرأة فى العلم والحث عليه، إلى جانب النصوص العامة:

(أ) قوله ﷺ « أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » رواه البخارى عن أبى بردة عن أبيه، ورواه البخارى أيضاً ومسلم عن أبى موسى الأشعرى. وإذا كان هذا فى تعليم الأمة فكيف بتعليم الحرة؟ ولعل الأجرين المذكورين هما أجر التعليم ثم أجر العتق والتزوج، وقيل إنهما أجر العتق، ثم أجر الزواج منها.

(ب) وقوله « من كانت له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان، فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة » رواه أبو داود عن أبى سعيد الخدرى، وابن حبان فى صحيحه[1]. والتأديب تعليم وتربية.

(جـ) النصوص التى سبقت تبين خروج النساء زمن النبى ﷺ لطلب العلم وشهود صلاة العيد ووعظ النبى لهن. وقد نبغ منهن كثير على ما سيأتى بيانه.

لكن إلى جانب النصوص المشجعة على تعليم النساء وردت نصوص لا تشجع على ذلك بل قد تنهى عنه، ووجدت تيارات معاكسة لتعليم النساء، إما بناء على نصوص، وإما بناء على مشاهدة الواقع.

فقد روى الحاكم وصححه عن عائشة أن النبى ﷺ قال « لا تسكنوهن الغرف – أى الطوابق العليا – ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن الغزل وسورة النور ». لكن نقاد الحديث ردوا عليه، فقال بعضهم إنه ضعيف، والضعيف لا يعارض القوى، بل إن ابن الجوزى ذكره فى الموضوعات[2]. والذين قبلوا هذا الحديث حملوه على من يخشى عليهن الفساد من التعليم.

وممن مال إلى عدم تعليمهن أبو العلاء المعرى « ولد ٣٦٣ وتوفى ٤٤٩ هـ » الذى قال:

ولا تحمد حسانك أن توافت ... بأيد للسطور مقومات
فحمل مغازل النسوان أولى ... بهن من اليراع مقلمات[3]

---

(١) الترغيب والترهيب ج٣ ص١٨.
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ج١.
(٣) مجلة الأزهر مجلد ٨ ص ٤٣٣.

وقد جاء فى هذا المعنى قول السامى، أو البسام، وقيل ابن بسام:

مـــا للنســـاء وللكتـــا .... بة والعـــمـــالة والخطابة

هـذا لـنـا ولـهـن مـنـــــ .... ا أن يبتن على خـبـــابة[1]

وكان لهذا التيار أثره فى أن المرأة ظلت حقبًا طويلة تجهل كثيرًا من تعاليم دينها وواجباتها الأخرى، حتى بعد أن أنشئت المدارس، وقصدها طلاب العلم.

وإذا كان التاريخ قد حفظ لنا أسماء عدد من الشهيرات فى الدراسات الدينية فإنهن قد بلغن هذه المنزلة بالتعلم فى البيوت. وقليل منهن من كان يرتاد المساجد من أجل ذلك.

وكان الاهتمام بتعليمهن منصرفًا أكثره إلى الجوارى، وبخاصة فى مادة الأدب والغناء والموسيقى، حتى ينفق سوقهن ويغلو ثمنهن. وقد حفلت كتب الأدباء بأخبار الكثيرات منهن. وكان بعضهن يحفظ القرآن الكريم. فقد ذكر الأصبهانى فى الأغانى: أن هشام بن عبد الملك اشترى ثلاثين جارية من كبريات العالمات الأديبات، دسهن إليه خالد بن عبد الله القسرى، فكن يقرأن القرآن أحسن ما يكون، وكن حافظات لشعر الكميت بن زيد «مجلة الأزهر مجلد ٣٥ ص٤٠٣» وسيأتى خبر جوارى زبيدة المائة اللاتى كن يحفظن القرآن. أما الحرائر فكانت الهمة ضعيفة فى تعليمهن، فالحرة لا حاجة لها كبيرة فى ذلك فهى لا تمارس تربية الأولاد ولا إدارة المنزل فذلك موكول إلى الخدم. وسيأتى بعض الأخبار عن النابغات من الجوارى فى الفن، كما أن الحرائر اللائى نبغن تحدثت عنهن الكتب، فقد ذكر ابن سعد فى الطبقات أكثر من سبعمائة امرأة روين الحديث وفيهن حرائر وجوار، وترجم كذلك ابن حجر لحياة ١٥٤٣ منهن، وكذلك النووى وغيره، ومما يدل على دقتهن فى الحديث قول الذهبى: وما علمت من النساء من اتهمت، ولا من تركوها. مع أنه اتهم أربعة آلاف من

---

(١) محاضرات الأدباء للأصفهانى ج١ ص٥٩، وفى ص ١١٤ نسب الشعر إلى ابن بادان.

الرجال[1]. وللسيوطى كتاب «نزهة الجلساء فى أخبار النساء» به ترجمة لسبع وثلاثين شاعرة[2].

وقد كنت معتزما إغفال ذكر النابغات فى العلم هنا محيلاً القارئ على الكتب المشار إليها، ولكنى رأيت أن أضع قائمة مبسطة بنوعيات منهن على سبيل المثال لا الحصر:

١ – عائشة أم المؤمنين. وأخبارها وافية فى ترجمتها فى البحث الخاص بزوجات النبى ﷺ. وقد تعلمت القراءة والكتابة وكانت إجادتها للقراءة أكثر، كما قال الواقدى. وروى بالسند الصحيح أن الكتب كانت تأتى إليها من الأمصار، فتأمر عائشة بنت طلحة بالإجابة عليها وبإجابة أصحابها وإثابتهم.

٢ – أم سلمة أم المؤمنين. وترجمتها موجودة فى بحث تعدد الزوجات كترجمة عائشة، وكانت مثلها تجيد القراءة أكثر من الكتابة، كما قاله الواقدى.

٣ – حفصة أم المؤمنين، وترجمتها حيث توجد ترجمة عائشة وأم سلمة. وقد علمتها الشفاء كما تقدم ذلك.

٤ – أم كلثوم بنت الإمام على، يقال عنها: أنها خطيبة قريش.

٥ – سكينة بنت الحسين، كان لها صالون جامع للطبقات الراقية من رجال الفكر وأساطين اللغة، وكانت بثقافتها وجلالها حكماً ترضى حكومته فى المفاضلة بين الشعراء، بل كانت تستدعى ابن سريج وعزة الميلاء بوساطة خادمها أشعب ليغنيا لها. وكل ذلك يتم فى ستر وحشمة. يقول محمد بن سلام: اجتمع فى ضيافة سكينة بنت الحسين رضى الله عنها جرير والفرزدق وكثير ونصيب وجميل، ومكثوا فى ضيافتها أياماً، ثم أذنت لهم فدخلوا عليها، فجلست حيث تراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة قد روت الأشعار والأحاديث فقالت: أيكم الفرزدق؟ وذكر أن الجارية كان تبلغ عن

(١، ٢) تاريخ التربية الإسلامية للدكتور أحمد شلبى.

سيدتها نقد كل شاعر فى بعض ما ترويه، ثم تعطيه من مالها[1] كان مصعب بن الزبير قد جمع بينها وبين عائشة بنت طلحة، فلما قتل بالعراق قالت سكينة:

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذى ... يرى الموت إلا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية ... إلى القوم حتى أوردوه حماما[2]

توفيت سنة ١١٧ كما ذكره ابن خلكان فى كتابه وفيات الأعيان، أو فى سنة ١٢٦هـ كما ذكر غيره.

٦ – عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، بنت أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق، التى تقدم ذكرها حيث كانت ترد على خطابات عائشة.

٧ – بنت سعيد بن المسيب المتوفى سنة ٩٤هـ على بعض الأقوال، وكانت على علم واسع تلقته عن والدها وعلمت زوجها ما شاءت منه كما تقدم فى بحث اختيار الزوجين.

٨ – زوجة الفرزدق، كانت أديبة يحتكم إليها الشعراء. وقد حكمها زوجها بينه وبين جرير.

٩ – ليلى الأخيلية بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب، التى عشقها «تَوْبَةُ بن الحُمَيِّر الخفاجى» وكانت أشعر نساء زمانها لا يقدم عليها غير الخنساء. قيل: إنها دخلت على عبد الملك بن مروان، فقال لها: ما رأى منك «توبة» حتى عشقك؟ قالت: ما رأى الناس منك حتى جعلوك خليفة «النجوم الزاهرة ج١ ص١٩٣، ١٩٤»[3].

١٠ – رابعة العدوية، التى كانت مع ورعها تقول شعرًا طيبًا فى مناجاة الله.

---

(١) نور الأبصار للشبلنجى ص١٧٥.

(٢) زهر الآداب للحصرى طبعة الحلبى ج١ ص٦٤.

(٣) قيل: إن الحجاج سألها عن ولدها فقالت: إنى والله ما حملته سهوا، ولا وضعته يَتْنًا، ولا أنمته نغدا... «أعلام النساء لعمر كحالة» وسيأتى توضيح معانى هذه الألفاظ فى الجزء الرابع عن حقوق الأولاد.

١١– زبيدة زوجة هارون الرشيد، نظمت الشعر وناظرت الرجال، وكانت تسمع الشعر من وراء ستار وتصحح أخطاء الشعراء، روى ابن خلكان أنه كان لها مائة جارية يحفظن القرآن، ولكل منهن ورد عشر القرآن، رثت ابنها الأمين لما قتله المأمون، كما ذكره المسعودى ج٣ ص٢٧١.

١٢– جارية التقت بعبد الله بن المبارك المتوفى فى ١٠ من رمضان سنة ١٨١هـ،ولطرافة خبرها أقصه بتمامه فقد كانت تجيد حفظ القرآن والاستشهاد به.

خرج عبد الله بن المبارك حاجًا فقال: بينما أنا فى الطريق إذ رأيت امرأة[١]، فقلت: السلام عليك، فقالت «سلام قولاً من رب رحيم». فقلت: ماذا تصنعين فى هذا المكان؟ فقالت «ومن يضلل الله فما له من هاد» فعلمت أنها ضالة عن الطريق. فقلت: أين تريدين؟ فقالت «سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» فعلمت أنها قد قضت حجها وتريد الذهاب إلى بيت المقدس. فقلت: أنت مذ كم يوم[٢] فى هذا الموضع؟ فقالت «ثلاث ليال سويًا». فقلت: ما أرى معك طعامًا تأكلين. قالت «والذى هو يطعمنى ويسقين». فقلت: إن معى طعامًا، فهل لك فى الأكل؟ قالت «ثم أتموا الصيام إلى الليل» فقلت: ليس هذا شهر رمضان. فقالت «ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم» فقلت: لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك؟ قالت «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» فقلت: ومن أى الناس أنت؟ قالت «ولا تقف ما ليس لك به علم» فقلت: قد أخطأت فى هذا الاستفهام، فاجعلينى فى حل، قالت: «لا تثريب

---

(١) فى كتاب «الحسين وبطلة كربلاء» لمحمد عبد الجواد مغنية ص١٧١ نقلاً عن صاحب البحار (ج١٠ ص٢٦) أن المرأة اسمها «فضة» وأصلها من الهند وكانت تتردد على السيدة فاطمة الزهراء لتساعدها فى عمل المنزل، فصلح حالها وعاشت بعد موت فاطمة عشرين سنة لا تتكلم إلا بالقرآن.

لكن هذه المرأة «فضة» توفيت، على هذا، حوالى سنة ٣٠هـ وابن المبارك توفى سنة ١٨١هـ فصاحبته غير هذه.

(٢) يجوز جر تمييز «كم» الاستفهامية بمن مضمرة إذا جرت «كم» بحرف جر، نحو بكم درهم اشتريت هذا؟ ومذ حرف جر.

عليكم» فقلت: هل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة؟ قالت: «وما تفعلوا من خير يعلمه الله» فلما أنخت ناقتي قالت «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» قال: فغضضت بصري عنها إلى أن ركبت. فلما ركبت قالت «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين» فأخذت بزمام الناقة، وجعلت أسعى وأصيح، فقالت «واقصد في مشيك واغضض من صوتك» فجعلت أمشي رويداً رويداً، وأترنم بالشعر، فقالت: «فاقرءوا ما تيسر من القرآن» فلما مشيت بها قليلاً قلت لها: ألك زوج؟ قالت: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم» فسكت ولم أكملها إلى أن أدركت القافلة، فقلت: هل لك أحد فيها؟ قالت: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» فعلمت أن لها أولاداً، فقلت: وما شأنهم في الحج؟ قالت «وعلامات وبالنجم هم يهتدون» فعلمت أنهم أدلاء الركب في الحج، فقلت: ومن هم أولادك في هذا الركب؟ قالت «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» «وكلم الله موسى تكليماً» «يا يحيى خذ الكتاب بقوة» فناديت أنا عليهم: يا إبراهيم، يا موسى، يا يحيى، فإذا أنا بشباب كالأقمار. فلما استقر بهم الجلوس قالت لهم «فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه» فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي، فقلت لهم: طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها. فقالوا: هذه أمنا منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن، فقلت «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم» «المستطرف للأبشيهي ج١ ص٤٨».

١٣- نفيسة بنت الحسن الأكبر، وهو الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولدت بمكة سنة ١٤٥هـ ودخلت مصر مع زوجها إسحق بن جعفر الصادق، حفظت القرآن وتفسيره، وسمع الشافعي عليها الحديث، حجت ثلاثين مرة، وطلبت أن تدخل عليها جنازة الشافعي سنة ٢٠٤هـ لتصلي عليها، واعترضت موكب أحمد بن طولون لرفع ظلامة من الناس إليه. توفيت سنة ٢٠٨هـ ووصل زوجها مصر يوم وفاتها، وحاول أن ينقلها ليدفنها في البقيع فمنعه المصريون.

١٤- أخت المزنى صاحب الشافعى، أخذت عن الشافعى وأخذ عنها العلماء، وأدرج أسمها فى جدول كبار الشافعية «دعوة التقريب ص٤٢٠» من مقال: عبد الوهاب حمودة.

١٥- ثومال، أو ثمل القهرمانة، تابعة شغب أم الخليفة المقتدر بن المعتضد، التى تدخلت فى شئون الحكم، وكانت لها حلقة أدبية للنساء الفاضلات. وكانت تأذن لثومال أن تجلس فى بغداد سنة ٣٠٦هـ للنظر فى المظالم فى الرصافة، وتنظر فى الشكاوى المرفوعة إليها كل جمعة، ثم تصدر التوقيعات وعليها خطها، وسيأتى شىء عنها فى موضوع تولى المرأة للقضاء، توفيت سنة ٣١٧هـ، كما سيأتى كلام عن «شغب» فى موضوع ولاية المرأة للملك[١].

١٦- عائشة بنت أحمد بن قادم، نشأت فى قرطبة، وكانت أديبة شاعرة، تجيد الخط، ولها خزانة كتب توفيت سنة ٤٠٠هـ ودفنت فى موكب كبير، وقد خطبها بعض الشعراء الذين لم ترضهم، فقالت فيه:

أنا لبـــؤة لكننى لا ارتضى لنفسى مناخا طول دهرى من أحد
ولو أننى أختـــار ذلك لم أجـد كليبا وكم غلقت سمعى عن أسد[٢]

١٧- مريم بنت أبى يعقوب الأنصارى، كانت تعلم النساء الأدب، وعمرت طويلاً، ولعلها هى التى ذكرت فى ترجمة راضية الآتية.

١٨- راضية، التى لقبت بالنجمة السعيدة، يقول عنها «جوستاف لوبون» فى كتابه: حضارة العرب فى الأندلس، الذى عربه كامل زعيتر «الفصل الرابع ص١٣٠» إنها تخرجت على مريم معلمة بنات الأسر الراقية فى أشبيلية، وقد حررها عبد الرحمن الثالث بن مخلد الناصر لدين الله، ووهبها لابنه «الحكم»، نبغت فى الشعر والقصص، وزارت الشرق بعد موت الخليفة، فأعجب بها العلماء، توفيت سنة ٤٢٣هـ وعمرها حوالى ١٠٧ سنة «أعلام النساء».

---

(١) تاريخ الأمراء للسيوطى ٢٥٣، وأعلام النساء لعمر كحالة.
(٢) أعلام النساء.

١٩- ولأدة بنت الخليفة الأموى الأندلسى ٤١٤هـ المستكفى بالله محمد ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر لدين الله، من ملوك بنى حمود. كان مجلسها منتدى الأدباء، أحبها الوزير ابن زيدون المتوفى سنة ٤٦٣هـ، وكانت تسمى «سافو قرطبة» و«سافو» امرأة تبحرت فى الفلسفة عند اليونان القدامى، عمرت طويلاً ولم تتزوج، توفيت فى ٢ من صفر سنة ٤٨٠ أو ٤٨٤هـ «المرجع السابق، ومرآة النساء»[١].

٢٠- بدانية العروضية، جارية أبى المطرف عبد الرحمن بن غليون اللغوى، التى ذكر خبرها المقَّرى فى «نفح الطيب». أخذت عنه النحو واللغة وفاقته، وبرعت فى العروض حتى سميت «العروضية» وحفظت الكامل للمبرد، والنوادر للقالى، ودرس عليها كثير من العلماء هذين الكتابين، توفيت سنة ٤٠٥هـ «المساواة لعلى وافى ص٤٨».

٢١- شهدة بنت أبى نصر أحمد بن الفرج بن عمر الأبرى الدينورية البغدادية، كانت تحاضر فى مسجد بغداد، كما يقول السيد أمير على فى كتابه روح الإسلام ص٢٥٥، وكانت فى الأصل جارية، يقول عنها ابن خلكان: كان لا يشق لها غبار فى العلم والأدب والخط الجيد الجميل. وقد أخذ عنها، وسمع عليها خلق كثير «مجلة الأزهر مجلد ٣٥ ص٤٠٢». ومن تلاميذها ابن تيمية الحرانى، توفيت فى بغداد يوم الأحد ١٣ من المحرم سنة ٥٧٤هـ وعمرها أكثر من تسعين سنة.

٢٢- تقية أم على بنت أبى الفرج غيث بن على الأرمنازى الصورى، ولدت بدمشق سنة ٥٠٥هـ، مدحت الملك المظفر تقى الدين عمر بن أخى صلاح الدين بقصيدة، وصفت فيها الخمر ومجلس الأنس، حتى قال تقى الدين: الشيخة تعرف هذه الأحوال من عهد صباها، فبلغها ذلك، فأنشدت فى الحرب

---

(١) تولى والدها الخلافة فى قرطبة ٤١٤هـ لمدة ١٩ شهراً وعاشت نحو ١٠٠ عام وهى فقيرة، وأمها عبدة حبشية، اتصل بها ابن زيدون بعد سنة ٤٢٢هـ وتغزل وشهر بها شعرا ونثرا.

وآلاته قصيدة، وأرسلتها إليه قائلة: علمى بهذا كعلمى بذاك. توفيت فى أوائل شوال سنة ٥٧٩هـ بالاسكندرية[١] وقيل توفيت سنة ٥٧٧هـ.

وذكر خبرها السيوطى فى «نزهة الجلساء». ونقلها الشيخ محمد سليمان فى كتابه «من أخلاق العلماء» ص٣٧.

٢٣ـ فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندى، عالمة وفقيهة ومحدثة، وذات خط جميل، ولها مؤلفات فى الفقه والحديث، تزوجها الكاسانى، صاحب كتاب «بدائع الصنائع» الذى توفى بعدها سنة ٥٧٨هـ. «أعلام النساء».

٢٤ـ حفصة بنت الحاج الركونية، كان فيها حسن وظرف وأدب وشعر وحسب، علمت النساء فى دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على، وأولع بها، وتغير بسببها على وزيره أبى جعفر أحمد بن عبد الملك، الذى كان عاشقًا لها يبادلها رسائل الغرام، توفيت فى مراكش فى أواخر سنة ٥٨٦هـ. ومن شعرها إلى بعض أصحابها:

أزورك أم تزور فإن قلبى ... إلى ما تشتهى أبدا يميل
فشغرى مورد عذب زلال ... وفرع ذوائبى ظل ظليل
وقد أملت أن تظمأ وتضحى ... إذا وافى إليك بى المقيل
فعجل بالجواب فما جميل ... إباؤك عن بثينة يا جميل

«المصدر السابق».

٢٥ـ زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجانى، وتعرف بابنة الشّعرى[٢]، كما يقول ابن خلكان ج١ ص٢٧٨. ولدت فى نيسابور سنة ٥٢٤هـ، وأجازها الزمخشرى، وأجازت ابن خلكان سنة ٦١٠هـ وهو طفل، كما

---

(١) أعلام النساء لعمر رضا كحالة، نقلاً عن ابن خلكان فى الوفيات، وابن العماد فى شذرات الذهب والذهبى فى الأعلام بوفيات الأعلام.

(٢) وتدعى حرة.

جرت به العادة من إجازة الأطفال للتشجيع، توفيت فى نيسابور سنة ٦١٥هـ «مجلة الأزهر مجلد ٣٥ ص١٠٨٠» . وأعلام النساء.

٢٦- فاطمة بنت جمال الدين سليمان الأنصارى الدمشقى، ولدت سنة ٦٢٠ أو ٦٤٠هـ. وكانت محدثة، ومن تلاميذها الصفدى، توفيت بدمشق فى ربيع الآخر سنة ٧٠٨هـ.

٢٧- أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية، عالمة فقيهة، كانت تعظ النساء وتفقههن فى رباط الشيخة الصالحة «زينب بنت أبى البركات» المعروفة بالبغدادية، وهذا الرباط بنته لها الست الجليلة «تذكار باى خاتون» ابنة الظاهر بيبرس سنة ٦٨٤هـ، كما يقول المقريزى فى خططه «ج٤ ص٢٩٣» عند حديثه عن الربط التى كان يجتمع فيها النساء الفقيرات أو المطلقات، أو اللاتى هجرهن أزواجهن، ليقوم الرباط بشأنهن، حتى يجعل الله لهن مخرجًا، وكان لهذا الرباط دائمًا شيخة تلقى عليهن الدروس وتعظهن، ويقول المقريزى أيضًا «ص٣٢٨»: إن الحجازية كانت واعظة زمانها، ولها رباط بالقرافة الكبرى، ولها خيرات وقبول، وصيتها كابن الجوهرى، ولها أخلاق كريمة وكياسة. توفيت أم زينب فى ذى الحجة سنة ٧١٤هـ.

٢٨- نضار بنت محمد بن يوسف الأندلسى «أم العز» ولدت فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٢هـ، كانت شاعرة ومحدثة فاضلة، سمعت من شيوخ كثيرين، وكان والدها يثنى عليها ويقول: ليت أخاها «حيان» مثلها. توفيت فى حياة والدها فى جمادى الآخرة سنة ٧٣٠هـ، وأشاد بفضلها الكثيرون، وكتب الشاعر الصفدى إلى والدها قصيدة أولها:

بكينا باللجين على نضار ... فسيل الدمع فى الخدين جار
فيالله جارية تولت ... فنبكيها بأدمعنا الجوارى

٢٩- زينب بنت يحيى بن عز الدين بن عبد السلام، حفيدة الإمام

المشهور عز الدين بن عبد السلام، ولدت سنة ٦٤٨هـ، وتفردت برواية «الجامع الصغير» للطبرانى. توفيت سنة ٧٣٥هـ.

٣٠- بنت الكمال زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد، المقدسية، ولدت سنة ٦٤٦هـ وتزاحم عليها طلاب الحديث، وتوفيت فى ١٩ من جمادى الأولى سنة ٧٤٠هـ.

٣١- صفية بنت أحمد بن أحمد المقدسية الصالحية، ولدت سنة ٦٦٠هـ وكانت مشهورة فى الحديث، وتوفيت فى ١٨ من ذى الحجة سنة ٧٤١هـ.

٣٢- جويرية بنت أحمد بن أحمد بن الحـ ـ بن موسك بن موسى الهكارى. ولدت فى ٤ من رمضان سنة ٧٠٤هـ، وكانت مشهورة فى الحديث، وتوفيت سنة ٧٨٢ أو ٧٨٣هـ.

٣٣- زينب بنت عثمان بن محمد لؤلؤ الدمشقية، كانت مشهورة فى الحديث، أخذ عنها ابن حجر العسقلانى، ولها عدة مؤلفات، توفيت سنة ٨٠٠هـ.

٣٤- فاطمة بنت محمد بن عبد الهادى المقدسية الصالحية، ولدت سنة ٧١٩هـ، وتوفيت بصالحية دمشق فى شعبان سنة ٨٠٣هـ، وهى ممن أخذ الحديث عنهن الحافظ ابن حجر.

٣٥ - عائشة بنت الحافظ الشمسى محمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد ابن عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسية، وهى أخت فاطمة المذكورة فى رقم ٣٤. ولدت فى الساعة الرابعة من يوم الجمعة ١٧ من رمضان ٧٢٣هـ، وكانت سيدة المحدثين بدمشق، وآخر من حدث عن ست الفقهاء بنت الواسطى، وزينب بنت الكمال، وزينب بنت يحيى بن عبد السلام، بالإسماع والإجازة، وروى عنها ابن حجر، كما روى عن أختها، وتوفيت فى يوم الأربعاء قبيل عصر يوم ٤ من جمادى الأولى، أو ربيع الأول سنة ٨١٦هـ.

٣٦ - عائشة بنت على بن محمد بن عبد الغنى بن المنصور الدمشقية. عالمة فى اللغة والحديث، فتحت حلقة للتدريس، وتوفيت فى رمضان سنة ٨١٥هـ عن بضع وسبعين سنة.

٣٧- كريمة بنت أحمد المروزى «معجم ياقوت ج١ ص٢٤٧» قرأ عليها الخطيب البغدادى صحيح البخارى.

٣٨- فاطمة بنت إبراهيم بن عبد الله الدمشقية، التى أخذ عنها الحافظ الذهبى.

٣٩- زينت بنت عبد الله العريانى، أخذ عنها الحافظ السخاوى.

٤٠- فاطمة التنوخية، التى أخذ عنها الحافظ ابن حجر.

٤١- مؤنسة الأيوبية بنت الملك العادل أخى صلاح الدين الأيوبى، أخذ عنها أبو حيان.

٤٢- زينب بنت عبد المطلب البغدادى، أخذ عنها أيضاً أبو حيان.

٤٣- شامية التميمية، ممن أخذ عنهن أبو حيان.

٤٤- لبنى، كاتبة خليفة الأندلس الحكم بن عبد الرحمن، اشتهرت بعلوم اللغة والشعر والحساب.

٤٥- ست الوزراء، حفيدة وجيه الدين الحنبلى.

٤٦- بنت عمر بن أسعد بن المنجا، محدثة مشهورة.

٤٧- حمدة بنت زياد بن تقى الدين الصوفى المؤدب.

٤٨- زينب بنت زياد، أخت حمدة، وكانتا شاعرتين فيهما وسامة وجمال، مع مال وعفاف. وكانت حمدة تلقب بخنساء المغرب، وشاعرة الأندلس «نفح الطيب».

هؤلاء بعض شهيرات فى علوم الدين واللغة وغيرهن كثير، وقد عد ابن عساكر فى شيوخه إحدى وثمانين امرأة، والسيوطى يختم كتابه «بغية الوعاة» بمسلسلات قرأ منها على الكاتبة أم هانئ بنت الحسن الهورينى، وعلى هاجر بنت محمد المصرية، وأخبرته الشيختان المسندتان أم هانىء وأم الفضل بنت

محمد المقدسي وقرأ على الأصيلة نشوان بنت عبد الله الكناني، وأخبرته كمالية بنت محمدبن أبي بكر الجرجاني، وأنبأته أمة الخالق بنت عبد اللطيف العقبي «توفيت سنة ٨٣٣هـ». وأخبرته أمة العزيز بنت محمد بن يونس الأماني «أو الأمباسي»، وفاطمة بنت علي بن اليسير مشافهة بالفساط، وخديجة بنت أبي الحسن الملقن... (ص٣٢٥ من كتاب أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان).

٤٩ـ عائشة الباعونية، هي بنت القاضي يوسف بن أحمد بن ناصر الدين الباعوني، نسبة إلى «باعون» قرية من قرى «عجلون» في جبل الدروز، ولدت بدمشق، من بيت علم وأدب، وحفظت القرآن و . ها ثمان سنوات، وتعلمت النحو والعروض والفقه. ولها قصيدة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، عنوانها: الفتح المبين في مدح الأمين. وتسمى البديعية. ونظمت المعجزات والخصائص النبوية للسيوطي، واختصرت رسالة الهروي الصوفي المسماة: منازل السائرين، في أرجوزة بعنوان: الإشارات الخفية في المنازل العلية.

تتلمذت في مصر سنة ٩١٩هـ على أحمد شهاب الدين القسطلاني شارح البخاري المتوفى سنة ٩٢٥هـ، ووصفها المؤرخون بالفضل والتصوف توفيت بدمشق، ودفنت بالصالحية، وقبرها موجود إلى الآن، وعليه تاريخ ٩٣٠ «مرآة النساء» وفي مجلة الأزهر مجلد ٣٥ صفحة ١٠٨٠ أنها توفيت سنة ٩٢٢هـ. وكذلك في دائرة المعارف (يوافق ١٥١٦م).

٥٠ـ الملكة خناثة بنت بكار بن علي المغافري زوجة السلطان إسماعيل سلطان المغرب، كانت عالمة متدينة، وكانت له وزير صدق. سافرت من مكناس في ١١ من جمادى الآخرة سنة ١١٤٣هـ إلى الحجاز. واشترت هناك داراً بباب العمرة، ووقفتها على طلاب العلم والحديث. لها تعليق على كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر(١). وتوفيت في «فاس» في جمادى الأولى سنة ١١٥٩هـ «تاريخ مكناس لابن زيدان، وأعلام النساء لعمر كحالة».

(١) مجلة صحراء المغرب ١٨/٦/١٩٥٨.

٥١- عائشة التيمورية، هي السيدة عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا تيمور بن محمد كاشف، وأخت المرحوم أحمد تيمور المتوفى سنة ١٢٤٨هـ كردية الأصل، شاعرة فاضلة، لها ديوان يسمى «حلية الطراز» غلبت عليها ملكة الشعر، فنظمت كثيراً حتى تزوجت فانصرفت لتدبير المنزل، حتى مات زوجها في سنة ١٢٩٢هـ، وكان أبوها قد مات قبله سنة ١٢٨٩هـ، فاستقلت واشتغلت بالأدب ثانية حتى توفيت في سنة ١٣٢٠هـ (٢مايو ١٩٠٢م) وعمرها أربع وستون سنة، فقد ولدت سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤١م) بالقاهرة. نظمت الشعر وسنها ١٣ سنة، وتزوجت وسنها ١٤ سنة من محمد بك توفيق الإسلامبولي، وأنجبت بنتها توحيدة وتوفيت وعمرها ١٨ سنة، وهي على وشك الزفاف، فحزنت أمها عليها حتى ماتت بعد ٧ سنوات، وقد أخذت النحو والعروض عن فاطمة الأزهرية وستيتة الطبلاوية، جمعت ثلاثة دواوين باللغات العربية والتركية والفارسية، وغلب عليها الرثاء بعد وفاة بنتها توحيدة، وظلت كذلك سبع سنوات حتى نصحها الأطباء بالكف عن البكاء. ومن شعرها:

بيد العفاف أصون عز حجابي ... وبهمتي أسمو على أترابي
فجعلت مرآتي جبين دفاتري ... وجعلت من نقش الخضاب مدادي[1]
كم زخرفت وجنات طرسي أنملي ... بعذار خط أو إهاب شباب
ولكم زها شمع الذكا وتضوعت ... بعبير قولي روضة الأحباب
ماساءني خدري وعقد عصابتي ... وطراز ثوبي واعتزاز رجالي
ما عاقني حجلي عن العليا ولا ... سدل الخمار بلمتي ونقابي
عن طي مضمار الرهان إذا اشتكت ... صعب السباق مطامح الركاب
بل صولتي في راحتي وتفرسي ... في حسن ما أسعى لخير مآب[2]

---

(١) كلمة (مدادي) لا تستقيم مع القافية، ولو جعلت الشطرة هكذا: وجعلت من لون المداد خضابي، لاستقام الشعر مع المحافظة على المعنى.

(٢) مرآة النساء، وإعلام النساء، وأهرام ٢٩/٤/١٩٦٣، ٢/١٢/١٩٧٠.

٥٢- السيدة الزهراء جدة محمد بن على السنوسى لأبيه، وعمته السيدة فاطمة، التى تربى على يديها، وكانت متبحرة فى العلم، وانقطعت للتدريس والوعظ، وحضر مجلسها الرجال[١].

وإلى جانب هؤلاء النساء نساء كثيرات فى القديم والحديث، اشتهرن بالعلوم الدينية أو اللغوية الأدبية، كما اشتهر كثير فى فنون أخرى كالطب، وتحسين الخط، والغناء والموسيقى، وإليك طائفة من هذه النوعيات:

أولاً - فى الطب:

ذكر بعضهن الدكتور أحمد شلبى فى كتابه «تاريخ التربية الإسلامية».

١ - أم المؤمنين عائشة، مارست بعض أنواعه الأولية فى غزوة أحد بمداواة الجرحى كما سيأتى خبر ذلك فى حكم اشتغال المرأة بالفنون الحربية.

٢ - أم عطية الأنصارية، ترجمتها ستأتى.

٣ - رفيدة الأسلمية التى نصبت خيمتها فى المسجد النبوى لمداواة الجرحى فى غزوة الخندق، وسيأتى كلام عنها فى حكم خروج المرأة للجهاد.

٤ - الشفاء بنت عبد الله، وقد تقدم أنها كانت تعلم حفصة الكتابة كما علمتها رقية النملة ص ٣٩٦.

٥ - أمية بنت قيس بن أبى الصلت الغفارية، استأذنت رسول الله ﷺ فى الخروج إلى خيبر مع نسوة من بنى غفار لمداواة الجرحى ومعاونة المسلمين.

٦ - زينب، طبيبة بنى أود، كانت تداوى آلام العين، كما ذكره ابن أبى أصيبعة فى كتابه «عيون الأنباء» ولها دراية بالجراحة.

٧ - أم الحسن بنت القاضى أبى جعفر الطنجالى، برعت فى الطب إلى جانب العلوم الأخرى.

---

(١) حاضر العالم الإسلامى تعليق شكيب أرسلان.

٨ – أخت الحفيد أبى بكر بن زهر، وابنتها عالمتان فى الطب وأمراض النساء، كان لا يداوى نساء المنصور غيرها.

٩ – بنت أبى الصائغ، أحمد بن سراج الدين المعروف بابن الصائغ المصرى، الذى كان رئيسًا للأطباء فى دار الشفاء المنصورية بالقاهرة «قلاوون»، وشيخًا للأطباء فى مصر، فلما توفى سنة ١٠٣٦هـ لم يعقب إلا بنتًا واحدة تولت مكانه مشيخة الطب «مجلة الوعى الإسلامى جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ».

١٠ – خرقاء العامرية، حبة، «المصدر السابق».

وإذا قلنا إن هؤلاء اشتغلن بالطب فليس معنى ذلك أنهن على مستوى الأطباء المعروفين، ولكنه نشاط جزئى على المستوى المعروف إذ ذاك، وهو على كل حال يدل على أن المرأة مارست هذا النوع من النشاط دليلاً على أن الإسلام لا يقف فى طريقه، وأن المعرفة بميدانها الواسع من حقوق كل إنسان.

ثانيًا – فى تحسين الخط:

١ – حفصة أم المؤمنين، التى علمتها الشفاء الكتابة، وقد سبق خبر ذلك.

٢ – خديجة بنت محمد.

٣ – فاطمة بنت الحسن بن على الأقرع، المتوفاة سنة ٤٨٠هـ.

٤ – فاطمة البغدادية.

٥ – ست الوزراء بنت محمد.

٦ – فاطمة الشهيرة ببنت قريمزان، وهى فاطمة بنت عبد القادر بن محمد ابن عثمان. ولدت فى ٤ من المحرم سنة ٨٧٨هـ، وتولت مشيخة العادلية والزجاجية معًا، وأخذت العلم عن زوجها كمال الدين محمد بن مير جمال الدين بن قلى درويش الأربيلى الشافعى، نزيل المدرسة الرواحية فى حلب، اشتهرت بجودة الخط، وبالفقه والتدين وتوفيت سنة ٩٦٦هـ.

٧ – جوهر شاد.

٨ – ثناء جارية ابن نيوما.

٩ – تركية اسمها «أسماعبرت» ظهر لها مخطوط منذ ١٧٦ سنة، وكانت تكتب لوحات عن القرآن أثارت الإعجاب، ودر عليها المال[١].

١٠ – ومن المجيدات للخط أيضاً: فاطمة السمرقندية المتوفاة سنة ٥٧٨هـ وقد تقدمت ص٤٠٧.

١١ – حليمة بنت محمد صادق، وكانت فى الآستانة حوالى سنة ١١٦٩هـ «أعلام النساء».

١٢ – خديجة بنت عثمان بن محمد الهورى، يقال لها «ضوء الصباح» كانت محدثة وجيدة الخط والإنشاء، توفيت سنة ٧٣٤هـ «تاريخ ابن الوردى».

١٣ – ست العيش القاهرية، عائشة بنت على بن محمد بن على بن عبد الله بن أبى الفتح. ولدت بالقاهرة سنة ٧٦١هـ، عالمة ذات صلاح وإحسان تعلمت الخط الجيد، وحدثت وسمع عليها الأئمة، وكانت مستحضرة السيرة النبوية جيداً، وسريعة الحفظ للشعر، طالعت كتبه الفقه بفهم جيد. توفيت بعد عصر يوم الأربعاء ١٦ من ذى القعدة سنة ٨٤٠هـ.

١٤ – حافظة بنت محمد سعيد «نائب الحلة سابقاً» خطاطة مجيدة توفيت ببغداد سنة ١٣٤٦هـ.

ثالثًا – فى الغناء والموسيقى:

وهن كثيرات نورد نماذج منهن، واهتم بتاريخهن، كتاب الأغانى، ونهاية الأرب، ونفح الطيب، وغيرها.

١ – جميلة مولاة بنى سليم، أخذ عنها معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة، وعقيلة العقيقية، والشماسيتان خليدة وربيحة، اعتزت بفنها، وكانت تغنى فى منزلها فقط.

---

(١) أهرام ١/٨/١٩٦٥ ملحق المرأة والبيت.

٢ – دنانير، مولاة يحيى بن خالد البرمكى، صفراء مولدة، شغف بها الرشيد، فوهب لها هبات سنية، فشكته زوجته أم جعفر إلى عمومته، فعاتبوه، ثم لاموه عندما عرفوا حسن غنائها، توفيت سنة ٢١٠هـ. «أعلام النساء».

٣ – عُلَيَّة بنت المهدى أخت هارون الرشيد، ولدت سنة ١٦٠هـ، وكان أخوها إبراهيم بن المهدى يشبهها فى حلاوة الغناء، كانت مغنية ملحنة شاعرة، عابدة زاهدة، وهى التى قالت: ما حرم الله شيئًا إلا وقد جعل منه عوضًا، فبأى شىء يحتج عاصيه والمنتهك لحرماته؟ وكان إيمانها بطهارة تاريخها ينطقها بهذا الاعتزاز والفخر، إذ تقول: لاغفر الله لى فاحشة ارتكبتها قط.

من أخبارها المروية أنها راسلت بالشعر أحد خدم الرشيد، وهو «طل» فنهاها الرشيد أن تذكر اسمه، فامتنعت، حتى إذا كانت تقرأ القرآن فوصلت إلى قوله تعالى: ﴿ **فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ** ﴾ قالت «فإن لم يصبها وابل فالذى نهانا عنه الرشيد» كما فى زهر الآداب للحصرى على هامش العقد الفريد ج١ ص١٢. توفيت سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م) ولم تتجاوز الخمسين، وصلى عليها المأمون. ومن لطيف شعرها:

يا عاذلى قد كنت قبلك عاذلا ... حتى ابتليت فصرت صبا ذاهلا
الحب أول ما يكون مجانة ... فإذا تمكن صار شغلا شاغلا
أرضى فيغضب قاتلى فتعجبوا ... يرضى القتيل ولا يُرَضِّى القاتلا(١)

ومن شعرها أيضًا:

بنى الحب على الجور فلو ... أنصف المعشوق فيه لَسَمُج
ليس يستحسن فى حكم الهوى ... عاشق يحسن تأليف الحجج
لا تعيبن من محب زلة ... زلة العاشق مفتاح الفرج
وقليل الحب صرفا خالصا ... لك خير من كثير قد مُزِج(٢)

(١) زهر الآداب طبعة الحلبى ج١ ص١٠ العقد ج١ ص١٣.
(٢) زهر الآداب طبعة الحلبى ج١ ص١١ وأعلام النساء.

٤ – محبوبة جارية المتوكل، وكانت شاعرة عالمة بصنوف العلم، تضرب على العود جيداً، وكانت قد نشأت بالطائف. «تاريخ الأمراء للسيوطى ص٢٢٣، ٢٣٥».

٥ – متيم الهاشمية، نشأت بالبصرة، وغنت للمعتصم ببغداد، وإبراهيم ابن المهدى.

٦ – خديجة بنت الخليفة المأمون.

٧ – عُنَيْدَة الطنبورية، سميت بذلك لعزفها على الطنبور، وهى جدة أبى الخير التيناني الأقطع، كان يجلس أمامها ٥٠٠ تلميذ من الجنسين «تاريخ التربية لشلبى».

هذا وستأتى بعض أسماء الشهيرات للنساء فى ميادين مختلفة، فى آخر هذا الكتاب إن شاء الله.

وإذا كنا قد وضحنا حق المرأة فى تحصيل العلم، أيًا كان نوعه، فإن الأولى أن تهتم بالنوع الذى يساعدها كمسلمة على أداء واجباتها الدينية، وكزوجة على أداء واجباتها الزوجية، وكأم على أداء واجباتها فى تربية أولادها، ولا ينبغى أن تنصرف كليًا عن هذه الواجبات الزوجية الضرورية لها، إلى ما لا ضرورة له مما هو أليق بالرجل، كما لا ينبغى أن تهتم بهذه الأمور الأخرى أكثر من اهتمامها بما يليق بها.

وقد كانت مناهج التعليم أولاً تساعد البنت على القيام بما هيأتها له الطبيعة، ثم طعم المنهج بكثير من المواد الأخرى، حتى كاد التعليم يكون واحداً لكل من الجنسين، وقد نعى كثير من المختصين على ذلك، كما سيأتى بيانه بعد، وهو، إلى جانب إرهاقه للفتاة نظراً لاستعداداتها الطبيعية، يحرمها من الثقافة الأصيلة التى كان يجب الاهتمام بها.

والمدارس التى فتحت خاصة للثقافة النسوية قليلة، وهى فى طريقها إلى

طغيان التعليم العام عليها ، ونحن فى أمس الحاجة إلى هذا التعليم الخاص الذى يؤهل البنت لحياتها المستقبلة. وهذه التوصية قديمة جداً. ففى كتاب محاضرات الأدباء للأصبهانى « ج٢ ص١٢٦ » : علموهن سورة النور، وجنبوهن سورة يوسف، لأن فى الأولى آداب الحشمة والعفة، وفى الثانية حديث الحب بين امرأة العزيز ويوسف.

والبلاد الأجنبية فيها مدارس ومؤسسات خاصة للثقافة الزوجية، تعرض على الفتاة فى بعضها أن تمضى بها فترة من الزمان، كالمدارس الموجودة فى أسبانيا، ومدة الدراسة فيها لستة أشهر، تدخلها الفتاة إجبارياً عندما تبلغ السادسة عشرة من عمرها، وذلك لمدة ساعتين كل يوم[١] وكمركز تنظيم الأسرة فى اسكتلندة الذى ترأسه « مسز كيللر » زوجة العالم الاسكتلندى « كيللر » رئيس مجلس البحوث العلمية، وهى تقول: إن المركز يستقبل البنات فى أيام الخطبة، لإعطاء دروس فى تركيبهن الجسمانى، ومساعدتهن على تفهم شخصية الخطيب، وفى أيام أخرى يستقبل المركز العرائس اللاتى يحضرن دروساً فى تحليل شخصية الرجل واهتماماته وتصرفاته، حتى تستطيع معاملته معاملة حسنة، وفى نهاية الدراسات تحصل العروس على شهادة تؤهلها لحياة زوجية سعيدة[٢].

والعلم الذى يحتاج إليه فى خدمة الوطن يمكن أن يضطلع به الذكور بكفاية وجدارة، وبجلد وتفرغ وإنتاج مثمر، أما ما يحتاج إليه فى سياسة المنزل فقد صرفت عنه الرغبة، وتمردت عليه المرأة، بل قامت صيحات من بعض المفتونات بوجوب تعليم التلاميذ الأعمال المنزلية ليساعدوا زوجاتهم فى المستقبل، وهذا هروب من ميدانهن الأصلى، وتملص من المسئولية التى تحسن بعدم جدارتها بها.

قال الحجاج بن يوسف الثقفى لمعلم أولاده: علمهم السباحة أولاً، قبل أن

---

(١) أهرام ٧/١٠/١٩٦٣.

(٢) أهرام ٣١/١٠/١٩٦٣.

تعلمهم الكتابة، فإنهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يسبح عنهم «الآداب الشرعية لابن مفلح ج١».

هذا، ويجب أن ننتبه إلى خطر تعليم البنت فى المدارس الأجنبية، وبخاصة تلك التى لم تحكم الرقابة عليها، فقد كانت - وما تزال على الرغم من فرض الرقابة عليها - أوكاراً للتبشير بالعقائد الغريبة عنها، ومراكز خطرة لشن الغارات على الأخلاق والتقاليد والأفكار، وجذب الميول والعواطف إلى الدول التى تنتمى إليها، وهى إحدى الخطط الاستعمارية التى صرح بها كبراؤهم.

جاء فى مقال الكاتب الفرنسى «ايتين لامى» المنشور فى مجلة العالمين باللغة الفرنسية فى العدد الصادر فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠١ مايلى:

إن مقاومة الإسلام بالقوة لا تزيده إلا انتشاراً، وإن الواسطة الفعالة لهدمه هى تربية بنيه فى المدارس المسيحية، وإلقاء بذور الشك فى نفوسهم، فتفسد عقائدهم، ويصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين، وأمثال هؤلاء، يكونون بلا شك أضر على الإسلام ممن اعتنقوا المسيحية وتظاهروا بها، وإن تربية البنات المسلمات تربية مسيحية توجد للإسلام فى داخل حصنه المنيع عدواً لدوداً لا يمكن للرجل قهرها، ومتى تغلبت المرأة تغير نظام الأسرة بالمرة، وأصبح فى قبضة يدها، ومن السهل على المرأة، والحالة هذه، أن تؤثر على إحساس زوجها وعقيدته، فتبعده عن الإسلام، وتربى أولادها على غير دين أبيهم، «فى اليوم الذى تغذى فيه الأم أبناءها بلبان هذه التربية تكون المرأة قد تغلبت على الإسلام نفسه.

تلك هى أقرب الطرق وأنجح الوسائل لمحاربة الإسلام بأهله دون جلبة ولا ضوضاء، وهى، ولا شك، أدعى لنوال المآرب وبلوغ المرام، فليس لنا إلا اتباعها أما السعى جهاراً فى محاجة المسلم وإقناعه بما هو عليه من الضلال فإنه يوقظ عوامل التعصب الكامنة فى نفسه، الساكنة بين جوانحه، فلا يمكن تذليله، وهذا ليس من الحزم فى شىء[1].

وقد جاء مثل هذا الكلام فى كتاب «التبشير والاستعمار فى البلاد العربية»

---

(١) مجلة النذير عدد ١٦٠.

للدكتورين مصطفى خالدى وعمر فروخ، نقلاً عن كتاب «المبشرون والمرأة» ففيه:

بما أن الأثر الذى تحدثه الأم فى أطفالها ذكوراً وإناثًا، حتى السنة العاشرة من عمرهم، بالغ الأهمية، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ فى الدفاع عن العقيدة، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة فى التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية «ص٢٠٣».

٨ - حق التعليم:

كما أعطى الإسلام للمرأة حق التعلم أعطاها أيضًا حق التعليم، وذلك لعموم الأوامر الواردة في ذلك، والنصوص كثيرة في القرآن والسنة، ويكفي منها قوله تعالى: ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...** ﴾ [التوبة: ٧١]، والتعليم أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وهو نصيحة وإرشاد، والدين النصيحة، وهو تواص بالحق، والناس خاسرون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، كما فى سورة العصر، والتطبيق العملى لحق المرأة فى التعليم خير دليل على مشروعيته لها.

فقد كان النبى ﷺ خير من نقل إلى النساء وغير النساء أدق أحواله عليه الصلاة والسلام وأخفاها، وبخاصة فيما يكون الاتباع فيه من أحكام الدين، ومنزلة السيدة عائشة فى ذلك معروفة. فقد كانت تشرح لبعض السيدات ما استعصى فهمه عليهن من النبى ﷺ، فيما كان يؤثر الكناية عنه من العورات والمسائل الحساسة. روى مسلم عن عائشة قصة المرأة التى سألت النبى ﷺ عن كيفية الاغتسال من الحيض، فأرشدها إلى أن تأخذ فرصة من مسك، قطعة قطن أو صوف أو خرقة مطيبة بالمسك، فتتطهر بها. فلم تفهم المرأة معنى التطهر، فكرره النبى قائلاً «سبحان الله» واستتر، فجذبتها عائشة وعرفت ما أراد النبى فشرحته لها، بأن تتبع أثر الدم بهذه الفرصة، بوضعها فى مكان نزول الحيض لتطيب الرائحة «مسلم ج٤ ص١٤».

وكما بينت للناس متى يجب الغسل عند الاتصال الجنسى «مسلم ج٤ ص٤٠»، يقول أبو موسى الأشعرى: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علم. رواه الترمذى وصححه. وقال عروة: ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحرام ولا بحلال ولا بشعر ولا بطب ولا بحديث العرب ولا نسب من عائشة. رواه الحاكم والطبرانى وغيرهما بإسناد حسن «الزرقانى على المواهب اللدنية ج٣ ترجمة عائشة».

هذا، وحديث «خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء» الذى ذكره ابن الأثير فى كتابه «النهاية» غير معزو، وحديث «خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء»[1] لا يعرف المحدثون له سنداً «الزرقانى على المواهب ج٣ ص٢٣٣». وقال ابن حجر: لا أعرف له إسناداً، ولا رأيته فى شىء من كتب الحديث، إلا فى نهاية ابن الأثير، وإلا فى الفردوس بغير إسناد. وسئل المزى والذهبى فلم يعرفاه. كذا فى المقاصد. اهـ من كتاب «الفوائد المجموعة» للشوكانى ص٣٩٩. أما تلقيب النبى لعائشة بالحميراء فثابت فى حادث رؤيتها للعب الحبشة والنبى يسترها «تخريج العراقى لأحاديث إحياء علوم الدين» ووصفها بالحميراء وصف بلونها لا وصف، كما فهم بعض السذج، بالبلادة كالحمار. فحاشا لله أن يصف النبى عائشة بذلك وهى المعروفة بالذكاء والعلم.

وإقرار النبى ﷺ لعائشة على عملها تشريع بحق المرأة فى التعليم، وقد مر حديث أسماء بنت يزيد بن السكن التى سألت النبى نيابة عن جماعتها عن منزلة عمل المرأة بالنسبة لعمل الرجل، وقوله لها: أخبرى من وراءك بأن حسن قيام المرأة بواجبات زوجها تعدل ما يقوم به الرجل من جهاد وغيره، وهو أمر منه أو على الأقل إذن بالتعليم يدل على أنه مشروع.

ومزاولة المرأة للتعليم خارج بيتها حكمها حكم خروجها لأى عمل آخر،

---

(١) كما رواه النسائى وانظر الزرقانى على المواهب ج٢ ص١٦٧.

وقد سبق تفصيل ذلك بوضوح. هذا، وقد رأت بعض الدول أن تؤثر النساء على الرجال فى تعليم الصغار من الجنسين، لما فى المرأة من المعانى ما يقرب من الأمومة التى لا يستغنى عنها الأطفال، غير أن الأطفال فى سرعة تقليدهم لهن، وهم فى هذه السن أقوى ما يكونون تأثراً بمن تعلمهم، ينطبع فى أذهانهم سلوكها ومظهرها، قبل أن تنطبع فيهم أقوالها، وفى ذلك من الخطورة ما فيه إن لم تكن المربية «المدرسة» على سلوك مستقيم ومظهر يتفق والأخلاق، وعلى تفهم واع برسالتها وخطورة وضعها فى هذه المرحلة من حياة الأطفال.

ومن المؤسف أن النساء فى الخروج على التقاليد الدينية أسرع بكثير من الرجال، فالخطر شديد فى إسناد مهمة التعليم إليهن، وبخاصة عند عدم إلمامهن بالثقافة الدينية الكافية، وعند عدم إيمان الكثيرات منهن بتعاليم الدين التى تصفها بالرجعية.

٩ - حق إبداء الرأى :

الإسلام أعطى المرأة حقها فى النقد والتوجيه، والاستفهام فى إبداء رأيها فى المشروعات وفى الأحداث، والتوعية بما تراه حقًا ونافعًا، وذلك بأية وسيلة من الوسائل التى لا تهدم مبدأ دينيًا ولا تعارض أدبًا إسلاميًا، فلها أن تشارك برأيها فى الصحافة والإذاعة والتأليف وما إلى ذلك مما يدخل فى نطاق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والنصح والإرشاد والتواصى بالحق.

وقد مرت النصوص الدالة على ذلك كله، ولعل حادثة العجوز مع عمر فى مشروع الحد من المغالاة فى المهور خير دليل. وقد تقدمت فى الجزء الأول عند الكلام على الصداق[1].

---

(١) ومنهن الوافدات على معاوية مثل أروى بنت الحارث بن عبد المطلب – انظر العقد الفريد، وثمرات الأوراق لابن حجة.

١٠- حق إعطاء الأمان :

مما رفع الإسلام به قدر المرأة وأكد دورها فى الحياة الاجتماعية أنه أعطاها حق إجارة المستجير بها وتوفير الأمن له إذا كان من الأعداء، وهو وإن كان حقًا فرديا فى أحوال خاصة، لا يكون فى المعاهدات والعلاقات الدولية العامة، كما قال العلماء، فهو على أى حال تكريم للمرأة. ومن حوادث ذلك :

١ - عندما أسر أبو العاصى بن الربيع فى سرية زيد بن حارثة فى جمادى الأولى سنة ست من الهجرة أجارته زوجته زينب بنت النبى ﷺ، ونادت فى الناس حين صلى رسول الله الفجر: إنى قد أجرت أبا العاصى، فقال رسول الله ﷺ «ما علمت بشىء من هذا، وقد أجرنا من أجرت» ذكره الزرقانى فى شرحه على المواهب اللدنية ج١ ص١٢١.

٢ - روى مسلم «ج٥ ص٢٣١»: أن أم هانئ بنت أبى طالب أتت رسول الله ﷺ عام الفتح، وكان يصلى الضحى. فلما رحب بها قالت: زعم ابن أمى «على بن أبى طالب» أنه قاتلٌ رجلاً أجرته «فلان بن هبيرة». فقال رسول الله ﷺ «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ».

وجاء فى التاريخ أنها أجارت رجلين، هما: الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى، عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى. وابن هبيرة هو الأول «شرح النووى على صحيح مسلم ج٥ ص٢٣٢» و«زاد المعاد لابن القيم ج٢ ص١٦١».

٣ - فى عام الفتح أهدر رسول الله ﷺ دم جماعة من المشركين، منهم عكرمة بن أبى جهل. ففر من وجهه، فاستأمنت له امرأته، فأمنه النبى ﷺ، فقدم وأسلم وحسن إسلامه «زاد المعاد ج٢ ص١٦٦».

أما الإجازة العامة لقوم يريد الإمام أن يغزوهم فهى داخلة ضمن النشاط السياسى، وهو مستوى عال سيأتى الكلام عن حق المرأة فيه.

١١- حق النشاط الاجتماعى العام :

كل نشاط للمرأة تسهم به فى رقى المجتمع الإسلامى والإنسانى حقها مكفول فيه، فإذا باشرته فى منزلها كان ذلك أولى وأليق، ما دام هناك حفاظ على حقوق الله وآدابه. أما إذا باشرته خارج المنزل، فقد مر الحديث عنه فى الفصلين الثانى والثالث فى هذا الجزء.

ولى كلمة توضيحية فى عمل المرأة خارج منزلها، وهى: أن تجربة توليها لبعض الأعمال فى بعض الدول الإسلامية أسفرت عن كثير من الشكاوى بسبب تخلفهن عن العمل، لما يتعرضن له من الحمل وآلامه والوضع وتوابعه، مع سخاء المسئولين بإعطاء الإجازات لهن لهذه الظروف، وفى هذا التخلف وبخاصة فى مجال التعلم، ضياع للتلاميذ، وتشتيت لأفكارهم، وعدم تسلسل فى دراستهم للموضوعات بروح واحدة مألوفة، إذا تناول هذا الموضوع مدرس أو مدرسة أخرى، حتى تحضر المدرسة الأولى من إجازاتها، كما أن فيه ضعفًا للإنتاج العام فى ميادين العمل الأخرى.

وذلك إلى جانب إرهاق الدولة فى تدبير دور حضانة لأولاد العاملات، يقضون فيها وقتًا حتى تتسلمهم أمهاتهم، وما فى تنفيذ ذلك من صعوبات لظروف يعرفها الخبراء. كما أن إرهاقها بالعمل يضعف صحتها، ويعجل شيبها، ويذهب بنضارتها، ويؤثر على أنوثتها بشكل واضح.

وحرمان أولادها من رعايتها الدائمة بما فيها من دفء وحنان لا يعوضه أبدًا ذلك الكسب المادى الذى تحرص عليه المرأة من وراء عملها، ذلك أنها إما أن تتركهم وحدهم فى البيت، وخطر ذلك لا يحتاج إلى دليل، وإما أن تتركهم مع خادم عادية، وهل ينتظر من هذه الخادم ما ينتظر من الأم؟ وإما أن تتركهم مع إحدى الأقارب أو الجارات أو الصديقات، ومن من هؤلاء يكون كالأم، وكل له مشاغله؟ وإما أن تحضر لهم مربية مثقفة تحل محلها، وأين هى المربية التى تشتغل خادمًا بأجر بسيط، مع أن ثقافتها تؤهلها لعمل تراه أشرف وأسخى؟

وهل ما يدفع لها من أجر يعوضه أجر الأم فى عملها. ويمكنها أن ترفع مستوى معيشة الأولاد بما يبقى لها بعد أجر الخادم؟ وهل تعوض المربية أو دور الحضانة كما قلت ما يفقده الأولاد من حنان الأم وإخلاصها فى رعايتهم؟ ذلك إلى جانب ما قد يخشى من مثل هذه المثقفة التى منيت بالعمل فى الخدمة، مما نترك تقديره لأنظار العقلاء.

وفى رأيى، أن الشرط الذى كانت تشترطه المصالح لعمل المرأة، وهو خلوها من الزواج، يضمن تلافى كثير من الأضرار للعمل خاصة، وإن كانت هناك أضرار على حياتها هى، ولها فى مثل هذه الحالة أن توازن بين ترهبها من أجل العمل، وبين بيت يلبى لها نداء الطبيعة فى احترام، ويكفيها مشقة العمل وهموم الحياة، وقد قررت ماليزيا أخيراً هذا القرار لتتفرغ المرأة إلى عملها.

والتجربة القاسية جعلت البلاد الأجنبية التى نقلدها تتجه الآن إلى دعم كيان الأسرة، عن طريق إعادة المرأة إلى مملكتها الأولى.

هذا. وفى عمل المرأة دون حاجة إليه مزاحمة للرجال الذين يحسنون القيام بالأعمال، لعدم انقطاعهم، على الأقل، بالإجازات كالمرأة، وقد يكون الذى تزحمه رب أسرة ذات تبعات جسام كان أولى أن يشغل هو المكان الذى شغلته وهى فى غنى عنه، وأنا أؤكد أن الأولى للمرأة ألا تزاول عملاً خارج بيتها إلا إذا كان محتاجة إلى العمل، أو كان العمل نفسه محتاجًا إليها، وهناك شهادات كثيرة تؤيد هذا الرأى منها:

١ ـ فى أهرام ١٠ مايو سنة ١٩٠١م كتبت «مس أنى رود» بجريدة «ايسترن ميل»: لأن يشتغل بناتنا فى البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المصانع، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد. ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين، فيها الحشمة والعفاف والطهارة، وفيها الخادم والرقيق يتنعمان بأرغد عيش، ويعاملان كما يعامل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء، إنه لعار على بلاد الافرنج أن تجعل بناتنا مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال.

٢ – فى جريدة «الجهاد» المصرية بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٣٦م: أن هتلر نصح النساء عندما أردن أن يساعدن فى خدمة البلاد، بالعودة إلى البيوت وإصلاح الأسرة لتنشئة جيل جديد.

٣ – فى أخبار اليوم ٢٨ أبريل ١٩٤٥م: أن عمل المرأة الخارجى سبب كثرة الطلاق فى بلاد العم سام «الولايات المتحدة الأمريكية» كما يقول الدكتور «كاهات» فى كتابه: تحليل الطلاق فى أمريكا. ويزيد عدد العاطلين من الرجال إن اشتغل النساء فى الأعمال الحكومية. ففى سنة ١٩٣٣ أخرج «سير هربرت أستن» جميع النساء من مصانعه فى إنجلترا ليحل محلهن الرجال. وفى العام نفسه طلب هتلر من الألمانيات التنازل عن وظائفهن للرجال. وحرم على الدكتورة المتزوجة معالجة المرضى، وحرم على من لها والد يعمل أو له معاش أن تشتغل، وأرضاها بهدية قيمتها ١٠٠ مارك.

٤ – نشرت جريدة الجمهورية بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٦٠م: أن مؤتمراً عقد فى لندن لبحث أسباب الجريمة، أوصى بعدم خروج المرأة إطلاقًا إلى العمل إذا كان هدفها من الوظيفة مجرد الحصول على المال لمساعدة زوجها أو تربية أطفالها. وقال ممثلو خمس وأربعين دولة فى هذا المؤتمر: إن الأم هى ركن الأسرة الإيجابى، وهى التى يتوقف عليها سعادة هذا المجتمع أو شقاؤه، فإذا تغيبت المرأة عن رعاية الجيل الذى يكون هذا المجتمع فإن سحب السعادة لا بد أن تنقشع عن هذا المجتمع، وقال المؤتمر:

إن المبلغ الذى تحصل عليه المرأة من عملها لتربى به أولادها لا يكفى من ناحية لتربية الأولاد، فضلاً عن الفراغ الكبير الذى سيتركه خلو المنزل من الأم ركن الأسرة الإيجابى.

والذى سمح به المؤتمر هو أن تزاول هذا النشاط إذا كان الهدف من خروجها للعمل هو القيام بوظيفة لا يستطيع أن يقوم بها الرجل. (أى لا تخرج للعمل إلا لضرورة ملحة).

ولما سئل الأستاذ عبد العزيز فتح الباب سكرتير عام اتحاد رعاية الأحداث، وأحد ممثلى «الجمهورية العربية المتحدة» – مصر – فى مؤتمر الجريمة عن رأيه فى هذه التوصية أيدها، وضرب مثلاً يوضحها فقال: خرجت أم من المنزل لتعمل غسالة بأربعة جنيهات فى الشهر، وعندها ثلاثة أطفال، تضطر أمام عدم وجودها فى البيت إلى إيداع الثلاثة بأحد الملاجئ، كل طفل يكلف الدولة ستة جنيهات شهرياً، والثلاثة يكلفونها ثمانية عشر جنيهاً، لكن هذا المبلغ لا يصرف كله للمأكل والملبس والرعاية، بل ثلاثة أرباعه فى إيجار المبنى وأثاثه ومرتبات الموظفين. فلو أننا ألغينا فكرة الملاجئ وصرفنا لكل أم أربعة جنيهات، ومنعناها من العمل كغسالة أو بائعة متجولة فإن هذا المبلغ سيكفى دون شك رعاية الثلاثة، بحكم توفر المسكن الذى يقيم فيه أبوهم وكذلك الأثاث. وبالإضافة إلى ذلك لن يعانى الأبناء من الفراغ القاتل، ولن يكونوا ضحية التربية الصناعية فى الملاجئ، وسيكونون دائماً فى كنف وعطف وحنان الأمومة، ولن ينهار ركن الأسرة الإيجابى، وستجد أشعة السعادة طريقها إلى المجتمع.

٥ – وفى جريدة الجمهورية بتاريخ ٢٠ مايو سنة ١٩٦١: أنه قد ظهرت فى أوروبا اقتراحات بتحريم تشغيل النساء المتزوجات، وذلك لتوفير دور الحضانة التى تلتزم بها المصانع، وفسح المجال للرجل لينتج إنتاجاً كاملاً، إلى جانب حماية المرأة من الانهيار العصبى. لكن الاقتراحات لم تجد قبولاً. بل صدرت قوانين لتشجيع المرأة على التفرغ للبيت والأولاد، لا لعملهن فى المصانع، ففى فرنسا صدر قانون سنة ١٩٣٨م بمنح إعانة للأمهات المتفرغات، وسميت الإعانة «امرأة البيت»، وفى ألمانيا صدر قانون مشابه سنة ١٩٣٣ لكنه قانون يطبق فكرة النازيين التى تقول: إن المرأة للمطبخ والسرير، وأن خروجها للعمل جريمة، وصدرت قوانين سنة ١٩٣٨م فى إيطاليا وأسبانيا.

وفى المصدر نفسه أن مدير إحدى الشركات الكبرى علل عدم قبوله المتزوجات فى العمل عنده بأن العمل يفقد سريته إذا تزوجت المرأة التى كانت تعمل فى السكرتارية، فلم تعد هناك قيمة لهذه التأشيرة «سرى جداً».

٦ – وفى أهرام ١٠ أكتوبر سنة ١٩٦٢ : أن ٧٠٪ من اليابانيات ساخطات على كل مظاهر المدنية الكاذبة، كما أسفر عنه الاستفتاء الذى أجرته مجلة « ساهى جينو » اليابانية، أكبر مجلات اليابان، بين خمسة آلاف فتاة، ويتمنين أن يعدن إلى التقاليد القديمة، التى تجعل منها زوجة مثالية، وهن نادمات على المملكة الصغيرة التى هجرنها من أجل المساواة.

٧ – وفى مجلة الهلال عدد أبريل سنة ١٩٧١ ص١٤٥ : أراد أحد الكتاب أن يبرهن على أصالة حق العمل للمرأة منذ القدم، فما رأى غير مثال كان أقوى الإشارات على الأثر السيىء الذى يأتى من وراء ذلك فقال : وقد عملت حواء مع آدم منذ القدم، وكان أول عمل لها أن أخرجته من الجنة، وكان ذلك سبب المتاعب الكثيرة التى كانت ثمنًا باهظًا لهذا العمل.

١٢ – كرامة المرأة أما :

أكرم الإسلام المرأة إذا كانت أمًا فأمر ببرها، وجعل حظها منه أكبر من حظ الأب، فقد سأل رجل رسول الله ﷺ : من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال « أمك ». قال : ثم من ؟ قال « أمك » قال : ثم من؟ قال « أمك » قال : ثم من؟ قال : « ثم أبوك » رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة، وتوضيح هذا الحق فى البحث الخاص ببر الوالدين وصلة الأرحام، أحد بحوث هذا الكتاب الكبير « الأسرة تحت رعاية الإسلام ».

١٣ – كرامتها زوجة :

أكرم الإسلام المرأة أيضًا وهى زوجة، وأجمع كلمة جاءت فى ذلك قوله تعالى ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء: ١٩] وتفصيل مظاهر هذه المعاشرة فى الجزء الخاص بحقوق الزوجين من هذا الكتاب.

١٤ – كرامتها بنتًا :

وكذلك أكرمها الإسلام وهى بنت مولودة، فحرم وأدها وحرم حرمانها من

حقوقها كإنسانة وحبب في العطف عليها، ويسرني هنا أن أورد ما ذكره ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة» في ترجمة أوس بن ساعدة: أن أوسًا دخل على رسول الله ﷺ فرأى في وجهه الكراهية، فقال «يابن ساعدة، ما هذه الكراهية التي أراها في وجهك؟» قال: يا رسول الله إن لي بنات وأنا أدعو عليهن بالموت، فقال «يابن ساعدة، فإن البركة في البنات، هن المجملات عند النعمة، والنعيات عند المصيبة» أي معلنات الموت. وروى من وجه آخر، وزاد فيه «والممرضات عند الشدة، ثقلهن على الأرض، ورزقهن على الله عز وجل». ولم يبين ابن الأثير درجة هذا الحديث.

وتفصيل كرامتها موجود في الجزء الخاص بتربية الأولاد من موسوعتنا «الأسرة تحت رعاية الإسلام».

١٥- تخفيف التكاليف:

مراعاة للتكوين الطبيعي للمرأة ولوضعها في المجتمع أعفاها الإسلام من بعض التكاليف التي كلف بها الرجال، وجعل لها تشريعات خاصة تناسبها، تحقيقًا للعدل وتنظيمًا لحياة الاجتماع، وإليك بعض التخفيفات:

١ - لم يخترها الله لتحمل رسالة السماء إلى الأرض لما يلزمها من طاقات قوية في الجسم والعقل.

وهذا أمر متفق عليه، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ إلاَّ رِجَالاً نُوحي إلَيهم**﴾ [يوسف:١٠٩]، [النحل:٤٣]، وقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلكَ إلاَّ رجالاً نُوحي إلَيهم**﴾ [الأنبياء:٧]، والأسلوب فيه حصر الرسالة في الرجال وإذا كان شرط الذكورة لا بد منه في الخلافة التي هي دون الرسالة فهي فيها من باب أولى.

أما النبوة، فقال بعض العلماء: لا تجوز قياسًا على الرسالة، ومنهم الأشعري، كما ذكره ابن كثير في تفسير آية يوسف السابقة. وقال بعض آخر: تجوز، وعد منهن:

(أ) سارة زوجة سيدنا إبراهيم، لأن الملائكة حدثتها وبشرتها بولادة إسحق ومن وراء إسحق يعقوب كما فى سورة هود ٧١-٧٣ وغيرها من السور.

(ب) أم موسى، لأن الله أوحى إليها بإرضاعه وإلقائه فى اليم وقال لها: لا تخافى ولا تحزنى، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين، كما فى سورة [القصص ٧] وسورة [طه ٢٨، ٢٩].

(جـ) مريم، لأن الملائكة جاءتها بأوامر من الله بأن تقنت وتركع مع الراكعين، وبشرتها بأن الله اصطفاها وطهرها، وبأنها ستلد المسيح، كما فى سورة [آل عمران ٤٢، ٤٣، ٤٥].

وما دامت الملائكة قد كلمت هؤلاء، فهن نبيات.

وقد يكون هذا الرأى راجحًا، فالنبوة لا تستلزم تبليغ ما جاء به الملائكة إليهن، لأن تبليغه يحتاج إلى استعدادات جسمية ونفسية لا توجد فى النساء. وقد اختاره الكمال بن الهمام فى كتابه « المسايرة ».

كما فهم بعضهم ذلك من كلامه، وقد بسط ابن حجر الكلام على هذه المسألة فى فتح البارى فى كتاب الأنبياء: باب امرأة فرعون.

ومهما يكن من شىء فإن النبوة قد انتهت، وكان سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فليس بعده نبى ولا رسول، وتفصيل ذلك فى غير هذا الموضع « راجع كتابنا: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ».

هذا، وقد قامت بعد وفاة النبى ﷺ امرأة تسمى « سجاح » وكانت فى بنى تغلب، ادعت النبوة، وتزوجها مسليمة الكذاب الذى ادعى النبوة أيضًا فى عصر النبى ﷺ. ولما قتل أسلمت « سجاح » وهاجرت إلى البصرة، وتوفيت فى خلافة معاوية بن أبى سفيان، وصلى عليها « سمرة بن جندب » والى البصرة من قبل معاوية. فسجاح أخطأت فى أمرين، أولهما إدعاء النبوة وقد ختمت برسول الله ﷺ، وثانيهما أنها امرأة والمرأة غير كفء لهذه المرتبة الدينية العظيمة.

٢ – لا يجوز أن تسند إليها ولاية عامة كالخلافة، وتفصيل ذلك سيأتى بعد.

٣ – لا يجوز أن تتولى قيادة الجيش، وسيأتى تفصيله بعد.

٤ – لم يوجب عليها الجهاد المسلح، على ما سيأتى تفصيله.

٥ – لم تكلف بالصلاة والصيام فى فترة الحيض والنفاس، بل يحرم عليها ذلك، وبعد الطهر لم يوجب عليها إعادة الصلاة، وإن كانت تعيد الصيام[١].

٦ – لم يوجب عليها صلاة الجمعة، كما لم يأمرها بالخروج لصلاة الجماعة.

٧ – لا يرغب فى تشييعها للجنازة كما يرغب الرجال. على ما سيأتى توضيحه.

٨ – لا تتحمل الدية فى الجنايات كالعاقلة، ولا تشترك فى القسامة[٢].

٩ – لا تقتل عند الردة، بل تحبس حتى تموت كما رأى بعض الفقهاء[٣].

وستأتى فروع فى التشريع تختلف فيها المرأة عن الرجل حسب اختلاف النوعين فى التكوين والاستعدادات.

---

(١) لحديث أبى سعيد أن النبى ﷺ قال للنساء فيما قال «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم»؟ قلن: بلى. قال «فذلكن من نقصان دينها» رواه البخارى، وأخرجه مسلم من حديث ابن عمر بلفظ آخر. هذا فى عدم صلاتها، أما فى القضاء فدليله قول معاذة: سألت عائشة: ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة؟ قالت: كان يصيبنا ذلك مع رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة. رواه الجماعة. وعلله النووى فى شرح مسلم بكثرة الصلاة وتكررها فيشق القضاء، بخلاف الصوم فإنه يجب فى السنة مرة واحدة، وربما كان الحيض يوما أو يومين «نيل الأوطار ج١ ص٣٠٣».

(٢) وهى حلف خمسين يمينا للبراءة من تهمة القتل لقتيل لم يعرف قاتله.

(٣) وذلك لنهى النبى عن قتل النساء عندما رأى امرأة مقتولة. وبه قال الحنفية، وخصوا به حديث «من بدل دينه فاقتلوه» المروى عن عكرمة وأخرجه الجماعة إلا مسلما، والذى استدلّ الجمهور بعمومه على قتل المرتدة. وبما ورد «وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها، فإن عادت وإلا فاضرب عنقها» عن معاذ وسنده حسن، وقد قتل أبو بكرة امرأة مرتدة ولم ينكر عليه الصحابة. «نيل الأوطار ج٧ ص٢٠٣، ٢٠٤».

الفصل الثالث

مطالب المرأة الحديثة

١ – ظهرت فى العالم الإسلامى حركات التحرر والسفور للأسباب التى قدمناها، تريد بها المرأة رفع ما وقع عليها من ظلم، سواء أكان ذلك حقيقة أم شعوراً خاصاً بها، وتسعى لنيل ما حرمت منه من حقوق إما أن يكون الدين قد كفلها لها، وإما أن تكون حقوقًا رأت غيرها من النساء نالتها، أو تسعى لنيلها بصرف النظر عن مشروعيتها، وتبغى بحركتها المساواة مع الرجل، فى كل ما يتمتع به من حقوق أو فى أغلبها، على حسب ما ترى هى، لا ما يراه الدين أو تقضى به الشريعة.

إن الشعار الذى ترفعه المرأة فى حركاتها هو المساواة، ويدفعها إليها تبرمها بالبيت ومحاولة التملص من سجنه وأغلاله، كما تتصور، والإفلات من سلطة الرجل وتحكمه، وقد تغطى أعراضها من هذه الحركات، فتطلق شعارات أو تنادى بأنها تريد أن تزيد من دخل الأسرة بعملها، وأن تسهم بإيجابية فى رقى المجتمع والنهوض به، كما تقول بعض التصريحات الرسمية، التى تشجعها على تحررها، بالعمل على كسر الأغلال التى حبستها عن العمل، والقيود التى حبستها عن خدمة المجتمع، والرجعية التى عاشت فى ظلامها حقبًا طوالاً، لتشارك بعمق وإيجابية فى صنع الحياة[١].

٢ – ولو وزنا أكثر هذه الحركات بالميزان الدقيق لرأينا أن أكثر ما تهتم به المرأة من مطالبتها بالمساواة هو غرض شخصى يمنحها الترف ويمد لها فى الترفه، ومن أكبر ما يدل على هذه الخبيثة أمران :

---

(١) من الميثاق الوطنى الذى صدر فى عهد جمال عبد الناصر . فى ٢١ من مايو ١٩٦٢ .

(أ) أنها لا تطلب المساواة مع الرجل فيما فيه تكليف ومشقة عليها، فهى لا تعنى بالأمور الدينية، لأنها عازفة عنها أو تحاول التملص من قيودها، بثورة أفقدتها الصواب فوصمت الدين بالرجعية، ووصفت المتمسكين بالمتزمتين المتربصين لحركات النهوض، فالدين فى حكمة تشريعه يحد من حريتها وينظم تحركاتها فى علاقاتها الاجتماعية، وهى لا تريد أبداً أن يحد شيء من هذه الحرية، وما درت أن هذا الحد وهذا التنظيم هو لمصلحتها ولمصلحة الجنس البشرى كله.

(ب) أنها لا تحارب سقوط المرأة وهويها فى المنزلقات الأخلاقية التى أضاعت شرفها، وجعلتها سلعة رخيصة يلعب بها الهواة لأغراض دنيئة. ما سمعنا أنها كونت جمعيات لمحاربة الرقص والسهرات الماجنة التى تستغل فيها أنوثة المرأة وإغراؤها. وكان البغاء العلنى والسرى منتشراً ورسمياً، وماحركت واحدة منهن ساكنا لانتشال المرأة من هذه الوهدة، وهذا يعطينا فكرة عن أن المقصود من أكثر هذه الحركات هو نيل أغراض شخصية، قوامها الانطلاق من القيود، والتمتع بالحرية بأكبر قدر ممكن، بعيداً عن تعاليم الدين وتزمت الرجعيين، لتبدو المرأة فى المجتمع كالرجل لا يفرق بينه وبينها حتى الهيئة الخارجية من ملابس وزينة، فقد التقى البحران، ولم يعد بينهما برزخ فى ظله لا يبغيان، نزل بعض الرجال متسفلين ليكونوا كالأنثى فى المظهر والحركات والتصرفات، وصعد بعض النساء ليكن كالرجل فى ذلك أيضاً، وهذا تمرد من الطرفين على الطبيعة ليس له نتيجة إلا الفوضى.

وقد تقدم فى ص ١١٣ النهى عن تشبه الجنسين بعضهما ببعض فى الملابس وغيرها مما يخص أحدهما، وعن رجل من هذيل قال: رأيت عبدالله بن عمرو بن العباص رضى الله عنهما، ومنزله فى الحل ومسجده فى الحرم، قال: فبينا أنا عنده رأى أم سعيد بنت أبى جهل متقلدة قوساً، وهى تمشى مشية الرجل، فقال عبد الله: من هذه؟ فقلت: هذه أم سعيد بنت أبى جهل، فقال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول «ليس منا من تشبه بالرجال من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال» رواه أحمد ورواته ثقات. وعند الطبرانى أن امرأة مرت على رسول الله ﷺ متقلدة قوسًا، فقال «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء». وروى بسند فيه مقال: أن النبى ﷺ نفى مخنثًا قد خضب يديه ورجليه بالحناء إلى النقيع، وهو ناحية بالمدينة. وليس هو البقيع[1].

ألم تر أن مظاهرات قامت فى الولايات المتحدة فى شهر أغسطس سنة ١٩٧٠م للاحتجاج على سيادة الرجل، والمطالبة بالمساواة بين الجنسين، وقررت النساء فى «سيراكيوز» بولاية نيويورك، التخلص من «مشدات الصدور» و«الكورسيهات» وأدوات لف الشعر وما إلى ذلك من الأدوات النسائية وإلقائها فى صناديق قمامة خاصة، كوسيلة للتخلص من الأشياء التى تعدها «جبهة تحرير المرأة» التى نظمت هذه الإضرابات، وسائل وأدوات ديكتاتورية الرجال؟ وقد اختارت الجبهة يوم ٢٦ من هذا الشهر بالذات لأنه يوافق الذكرى الخمسين لإعطاء المرأة الأمريكية حق الانتخاب[2].

وجاء فى أهرام ٢٨ / ٨ / ١٩٧٠: أن اشتباكات حدثت بين المعارضات لسيادة الرجل والراضيات بها، وأن آلاف السكرتيرات العاملات فى مبنى وزارة الدفاع الأمريكية بواشنطن تخلصن من ملابسهن الداخلية، كالكورسيهات، وألقينها في صناديق القمامة باعتبارها أشياء جنسية ترمز إلى الأنثى. ولجوءهن إلى هذا الأسلوب، وهو العرى، دليل على ما يكمن فى نفوسهن من التمرد على القوانين والتقاليد الكريمة، والاندفاع إلى التحرر والانطلاق، ليكون تهتكهن مشروعًا. وقد حدث مثل ذلك فى كندا، فقد وقف خمس نساء من أعضاء جمعية «أبناء الحرية» عاريات تمامًا أمام «جون ديفنبيكر» رئيس وزراء كندا فى

---

(١) الترغيب والترهيب ج٣ ص٣٦، ٣٧.

(٢) الأهرام ٢٧ / ٨ / ١٩٧٠.

اجتماع عقد فى « تربل » وحضره ١٩٠٠ شخص، احتجاجاً على سيطرة الحكومة عليهن[١].

ثم ألم تر أن ثورة جديدة أخرى بدأت فى أمريكا باسم « ثورة تحرير الرجل » عندما رأوا تمادى المرأة فى طلباتها وحصولها على أكثر من حقوقها، وتألم الرجل من نتيجة هذا الوضع الذى كادت المرأة فيه تسود على الرجل.

ففى أهرام ٣٠ / ١٠ / ١٩٧٠ : أن الرجال ثاروا فى الولايات المتحدة لتحرير الرجل، بعد أن لم تستجب لهم السلطات فى مطلبهم الذى تقدموا به منذ شهرين تقريباً، وهو إلغاء نفقة الزوجة بعد الطلاق، وحصروا شكواهم ومطالبهم فى النقاط التالية :

(أ) أن الرجال مثل النساء ضحايا لمجموعة من المفاهيم الخاطئة.

(ب) أن الرجل يريد المساواة التامة مع المرأة، لما سيؤديه ذلك من تحسين العلاقة بينهما.

(جـ) أن تشترك المرأة مع الرجل مناصفة فى تحمل المسئوليات الاقتصادية.

(د) أن يكون من حق الرجل إبداء مخاوفه والتعبير عن آلامه بالبكاء والصراخ مثل المرأة تماماً.

(هـ) أن تشترك المرأة مع الرجل فى القيام بالأعمال الشاقة جداً.

هذه الحركات الجنونية التى تحاول أن تلغى الفوارق بين الجنسين، هى التى تتأثر بها المرأة الشرقية، وتقلد فيها المرأة المسلمة هؤلاء المتحررات، ورأينا مخاوف الرجال من هذه الحركات. وطالبوا باشتراك المرأة فى الأعمال الشاقة جداً، مع الرجل. لا أن تتمتع هى بما لا تتعب فيه، ويشقى الرجل لراحتها.

٣ – فهل هذه المساواة التى تنشدها المرأة طلب مسلم به، أو هو شهوة المعارضة لسيادة الرجل مهما كانت النتائج، وعلى أى أساس تنادى بذلك، وما رأى الدين حيال هذا الموضوع؟

---

(١) الأهرام ٢٨ / ٥ / ١٩٦٢.

لقد تقدم فى ص٣٣٥ بيان وضع المرأة بالنسبة إلى الرجل، وأنها هى المخلوق الثانى الذى جعله الله خاصًا بسكن الرجل ومساعدته على تحقيق خلافته فى الأرض، وذكرنا المبررات التى جعلت القوامة للرجل عليها، ما كان طبيعيًا وما كان كسبيًا، وذكرنا صوراً تبين على مدى التاريخ أن المرأة أدنى من الرجل فى نظر الفلاسفة وفى الشرائع السماوية، وفى أكثر المعاملات الجارية بين المجموعات البشرية. فإذا قامت المرأة تطلب المساواة بالرجل فإن ذلك فى حقيقته تمرد على الطبيعة، وثورة على الفكر الصحيح، وتحد للأديان السماوية، التى قررت أن التفرقة بين الرجل والمرأة إنما هى عمل اقتضاه نظام الحياة، الذى لا بد فيه من التخصص، وإسناد أعمال لكل جنس تتناسب مع ما عنده من استعدادات وقدرات.

لقد كتب الكاتب الأمريكى «نورمان ميلر» مقالاً من خمسين ألف كلمة فى آخر عدد لمجلة «هاربز» الأمريكية، ندد فيه بحركة تحرير المرأة فى أمريكا، وأعلن أن المرأة يجب أن تظل سجينة بيتها، أى تقتصر مهمتها على الأعمال المنزلية، وشراء الطعام من السوق، ورعاية أطفالها. وطالب بإلغاء أقراص منع الحمل، وقال: إن المسئولية الأولى للمرأة هى أن تبقى أطول وقت ممكن على الأرض، لكى تعثر على أفضل شريك لحياتها، وتنجب أطفالاً يحسنون الجنس البشرى. وراح يلعن العلماء الذين يصرون على إثبات عدم الفوارق بين الجنسين.

وقد ثار عليه نساء أمريكا، وبخاصة «حركة تحرير المرأة» ولكنه أصر على أن يعد كتاباً يواصل فيه هجومه على المرأة[١].

وقد اتهمت «حركة تحرير المرأة» بأن المنتميات إليها مصابات بالشذوذ الجنسى، كما قامت حركات نسائية أخرى تضاد هذه الحركة، منها منظمة نسائية شعارها «الرجال أسيادنا» ومنظمة للرجال شعارها «النساء مبعث

---

(١) الأهرام ٤/٤/١٩٧١.

إعجابنا». ولكن ظهرت فى عام ١٩٧١ حركة تؤيد تحرير المرأة باسم «حركة تحرير الإنسان» وتضم الرجال الذين يؤيدون قضايا النساء ومطالبهن[١].

وروت الأخبار أن النساء فى الريف الأمريكى لا تهتم بحركة تحرير المرأة التى هزت أمريكا منذ سنتين، وذلك من واقع استفتاء قام بين النساء فى القرى، وكان الرأى السائد بين سيدات الريف: أن المرأة يجب أن تكون امرأة فقط.

هذا هو الحال فى أمريكا بين الرجال والنساء، آراء وتيارات وحركات متضاربة، كل يشكو وكل يصلح من وجهة نظره، والقلق أكثر فى المدن الكبرى، أما فى الريف فالمرأة ما زالت تؤمن بوضعها بالنسبة إلى الرجل، وأن لها رسالة غير ما تنادى به من مزقهن القلق فى المدن وصخبها وإغراءاتها المتنوعة.

وكما ظهر فى أمريكا كتاب ينعون على تحرير المرأة ظهر كتاب فى انجلترا تقاوم حركات التحرر فيها، جاء فى ملحق الأهرام ١١/٩/١٩٦٤: أن «جافين ليبول» أحد الكتاب المشهورين فى إنجلترا يرى أن المرأة خشنة الطبع، وأنها، كما يقول أحد الشعراء، تتعلم الأخلاق من القرود، وتأخذ طباعها من الدببة، وهى صفات قديمة راسخة فيها، لم تكتشف إلا حديثا.

فقد كانت الملكة «اليزابيث الأولى» مجردة من الرقة، فكانت مثلاً تدخل حجرة فيها أكثر من عشرين رجلاً، وتحيى واحداً أواثنين منهم فقط، فيشعر الباقون بالضيق والخجل، وتقول لزوجة رئيس الكنيسة: لا أستطيع أن أناديك بلقب «سيدة»، ولا أحب أن أناديك بلقب «خادمة»، فبماذا تحبين أن أناديك؟.

ثم يقول «جافين»: لقد كان العرب يتصفون بأسمى الأخلاق بين الشعوب، لأنهم استطاعوا أن يخفوا النساء عن عيون الرجال. فقد كان هؤلاء العرب يسيرون فى الطرق الصحراوية بمفاتيح كبيرة تتدلى من أحزمتهم، ليبرهنوا لزملائهم أنهم يحفظون زوجاتهم بعيداً عن الشر داخل بيوت مغلقة الأبواب.

---

(١) الأهرام ٢٨/٧/١٩٧٢.

وهو يرجع التغيير الذى طرأ على أخلاق المرأة إلى أيام الملك «آرثر» الذى كان أول من علم رجاله كيف يعاملون النساء بشهامة ورقة وذوق، على أنهن جنس لطيف. ومنذ عصر «آرثر» تعلم الرجل أن يقفز من مقعده ليسمح للمرأة بالجلوس مكانه، أو ليفتح لها الباب عند الدخول أو الخروج، وسبب ذلك أن المرأة كانت تسير محملة بشنطة اليد والأطفال والأسبتة، وكان من الصعب عليها أن تفتح الباب.

ولم يكن «آرثر» يعلم أن التصرفات التى فرضها بحسن نية ستكون السبب فى القضاء على رقة المرأة وأنوثتها تماماً، فقد اعتقدت منذ ذلك الوقت أن هذه التصرفات واجبة مفروضة على الرجل، وأنه سيكون مجرداً من الذوق إذا لم يفعلها. وبالتالى ستضطر هى إلى معاملته بطريقة جافة لتدفعه إلى تقديم فروض الاحترام، وهنا يدعو الكاتب إلى العودة إلى الشدة فى معاملة المرأة.

بعد أن ذكرنا صورة من العالم الغربى الجديد للنعى على تحرر المرأة، وصورة من العالم الغربى القديم تذمها، وإن كان بعض ذلك قد يكون أثراً لنزعة خاصة، مأخوذاً من وقائع خاصة، أذكر صورة من الشرق عن بعض الدول المتقدمة تسير فى هذا الاتجاه المعارض لتحرر المرأة بالشكل الذى تنادى به.

فالمرأة فى اليابان، على الرغم من تعلمها ونشاطها واعتلائها مناصب سياسية كبيرة، ما زالت تشعر بأن الرجل سيدها. تقول «كاتوشيدزو» قائدة الحركة النسائية فى اليابان: لا نريد أن ننافس الرجل، بل نريد فقط أن نتعاون معه، ونرفض الحصول علي حقوق أكثر من التى يتمتع بها الرجال[1].

وقد تقدم عدم اهتمام المرأة فى ألمانيا الغربية بالسياسة، ولا توجد هناك حركة تحرير نسائية، فما زالت المرأة هناك متحفظة بالقدر الذى يقضى به العرف عندهم.

---

(١) أهرام ٢١/٦/١٩٦٣.

بعد هذه الآراء والتيارات حول قضية المساواة بين الجنسين أقول: إن حجة المرأة المسلمة فى المناداة تحاول أن تصبغها بالصبغة العقلية فلا يطاوعها العقل، وتحاول أن تلتمس لها سنداً من الدين فعبثت بنصوصه، تشرح وتؤول وفق هواها، وهى فى الحقيقة مقلدة للغرب لا مؤمنة بأن الإسلام يؤيدها، فإنها إذا استندت إلى الإسلام فى ذلك فلماذا لا تستند إليه فى كل ما يتصل بها من تشريع، وفى فرض العبادات عليها، وفى المحافظة على شرفها وعرضها، وفى غير ذلك، إنها كمن يؤمن ببعض ويكفر ببعض، ﴿ **ويُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]. قال تعالى: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾ [البقرة: ٨٥، ٨٦].

وفيما يلى إيراد لبعض شبه النساء المنتسبات إلى الإسلام فى أن الدين قرر لهن المساواة، مع بيان المراد منها. فمما اعتمدن عليه:

(أ) قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ [النساء: ١].

(ب) قوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ** ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

(جـ) قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

(د) قوله ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال» رواه أحمد وأبوداود والترمذى عن عائشة. ورواه البزار عن أنس بسند صحيح. وجاء فى إحدى

روايات أبى داود والترمذى: سئل النبى ﷺ عن احتلام الرجل، فقالت أم سلمة: وكذا المرأة إذا احتلمت: أعليها غسل؟ قال: «نعم: النساء شقائق الرجال».

قالت المرأة، ومن سار فى ركابها من الرجال وأشباه الرجال: إن الآية الأولى تبين أننا جميعًا خلقنا من نفس واحدة، فلا بد أن نتساوى فى جميع الحقوق لأن التفرقة بين المتماثلات مرفوضة، ونرد عليها بأن الخلق من نفس واحدة لا يلزمه التساوى فى جميع الحقوق، ويكفى التساوى فى مطلقها أو فى بعضها، والتفرقة بين المتماثلات ترفض إذا كان التماثل من كل الوجوه، ومن المسلم به أن الجنسين ليسا متماثلين فى كل شىء. وهذه الآية لا تدل إلا على التساوى فى الخلق، أى أننا جميعًا من أصل واحد هو آدم المخلوق من تراب. فالتساوى فى الأمور الأخرى مسكوت عنه فى هذه الآية ومذكور فى نصوص أخرى بما يحدد معالمه ومجالاته.

وكذلك قالت فى الآية الثانية، فإن التعبير بقوله تعالى «بعضكم من بعض» يعطى المساواة التامة، وهو مرفوض لما ذكر من قبل، والتساوى فى هذه الآية هو فى عدم ضياع عمل أى عامل من الجنسين، فلكل تقديره ووزنه. فهى عامة للرجال بعضهم بالنسبة إلى بعضهم الآخر، وكذلك للنساء بعضهن بالنسبة إلى بعضهن الآخر، وللجنسين بمقابلة كل منهما بالآخر، وهى مساواة يظهر أثرها فى المعاملة التى تقتضيها الأخوة الإنسانية، الناتجة عن صلة النسب بالأب الواحد «آدم» والأم الواحدة «حواء» والتى تقتضيها الأخوة الدينية فى عبادة إله واحد.

وقالت المرأة فى الآية الثالثة: إن الله ذكر الجنسين معًا فى نشاطات مختلفة وسوى بينهما فى المغفرة والأجر العظيم، وهو أسلوب يعطى المساواة التامة بين الجنسين، ويرد على هذا. بأن الآية تقرر المساواة فى مطلق الأجر والمغفرة مع اعتبار الأوصاف المذكورة، أو فى مجالات النشاط المسجلة فى الآية، وليس فيها تقرير المساواة باعتبار الأصل التكوينى للإنسان الذى تشير إليه الآية الثانية

﴿ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾. والمساواة فى مطلق الأجر لا تقتضى أبداً المساواة فى قدر الأجر لكل جنس، فكل عمل من أى منهما له تقديره الخاص ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأنعام:١٣٢] ، ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ [هود:٣].

فالآيتان تقرران المساواة الذاتية والعرضية، أى التكوين الطبيعى فى الانتماء إلى أصل واحد، والنشاط الكسبى بممارسة الأعمال.

وقالت المرأة: إن الحديث يعطى المساواة الكاملة، والرد عليها واضح من الرد على ما قالت فى الآيات الثلاث، وعند التمعن فى سبب قول الحديث يعرف أن المساواة فى التشريع فى جزئية من جزئيات العبادة، وهى الغسل من الاحتلام، وهو لا يعطى المساواة فيما عداها، فله نصوصه الأخرى.

هذا شىء من محاولات المرأة وأنصارها لتبرير طلبها المساواة عن طريق النصوص الدينية.

ويمكن توضيح الرد عليها بجانب ما سبق، بأن هناك مساواة بين الرجل والمرأة فى ثلاثة أصول رئيسية، وهى:

(أ) أننا جميعًا مخلوقون لخالق واحد ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾.

(ب) أننا جميعًا منبثقون من أصل واحد، أو من مادة واحدة، كما تدل عليه الآية السابقة، وإن كانت الصور والأشكال مختلفة ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [آل عمران:٦] ، ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى:٤٩، ٥٠].

(جـ) أننا جميعًا متساوون فى تهيئة الفرص للكمال المادى والأدبى، يأخذ

منه كل مخلوق بشرى حسب استعداده واستطاعته، وكذلك متساوون فى المسئولية عن كل نشاط نقوم به مما جاءت بخصوصه الإرشادات الإلهية.

فالله سبحانه قد ساوى بين الجنسين فى الخطاب العام بالتكليف، يؤديان منه ما يتناسب مع تكوين كل جنس. وقد مرت الإشارة إلى ذلك فى سبب نزول آية ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ** ﴾ فإن كانت هناك فوارق فهى فى توزيع الاختصاص، لضمان حسن سير العمل وأداء المهمة بنجاح، قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا** ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال: ﴿ **إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا** ﴾ [الإسراء: ٧]، وقال: ﴿ **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ [الطور: ٢١]، وقال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» رواه مسلم عن جابر.

فادعاء أن المساواة فى انبثاق الجنسين من أصل واحد تقتضى المساواة فى الخصائص ادعاء باطل، وكنا فى غنى عن التدليل لذلك، فالواقع خير دليل، لولا تمرد الأنثى ومن يشايعونها، وإصرارهم على ادعاء هذه المساواة، ناسين ما يوجد من فوارق ذاتية أو من عوامل خارجية اضطرت إليها المرأة بحكم الوضع الاجتماعى. والمرأة ليست شقيقة للرجل فى كل شىء فالسبب الذى قيل فيه هذا الحديث يبين المساواة فى الحكم الذى سئل عنه وقد تقدم ذلك.

(هـ) وقد شغل كثير من الباحثين ببيان الفوارق بين الجنسين، فأثبتوا أن هناك اختلافًا «بيولوجيًا» بينهما، فجرثومة الذكر نشيطة متحركة، وجرثومة الأنثى ساكنة هادئة، ومن هنا كان عمله إيجابيًا وعملها سلبيًا، وكان الرجل مبتكرًا فعالاً، وهى مستغلة غير فعالة.

كما قالوا: إن متوسط طول الرجل يزيد على متوسط طول المرأة اثنى عشر سنتيمترًا، ومتوسط ثقل أجسام الرجال سبعة وأربعون كيلو جرامًا، أما فى النساء فاثنان وأربعون ونصف، وقلبها أصغر وأخف بمقدار ستين جرامًا، وجهازه

التنفسى أقوى منها، فهو يحرق فى الساعة أحد عشر كيلو جرامًا من الكربون، وهى تحرق ستة وكسرا، ولذلك كانت حرارتها أقل من حرارة الرجل، وحواسها الخمس أضعف من الرجل، فهى لا تستطيع إدراك رائحة على بعد مخصوص إلا إذا كان ضعف ما يدركه الرجل، كما أنها ليست كاملة فى تركيب المخ، وكرات الرجل الحمراء أكثر منها، ونسبة قوته لها ٩ :٥ . وقالوا: إن البنت تساير الولد فى نموها الجسمى والعقلى لغاية سبع سنوات، ثم تفوقه حتى سن الرابعة عشرة، ثم تنحط، وهى تبلغ قبله بسنتين.

كما قالوا: إن نسبة جمجمة المرأة إلى الرجل ٨٥ :١٠٠ ووزن المخ عندها من ١١٠٠ – ١٢٠٠جم، أما الرجل فمن ١٢٠٠ – ١٤٠٠ جم. ومخها بالنسبة إلى جسمها ١ :٤٤، أما الرجل فالنسبة ١ :٤٠، وتلافيف مخه أقوى وأبرز.

وبناء على هذا الاختلاف البيولوجى كان هناك اختلاف فكرى ونفسى، فقد قرر الدكتور الطبيب الفيلسوف «أوتو فينجر» فى كتابه «الجنس والأخلاق» الذى نشر بالألمانية فى شهر مايو سنة ١٩٠٣م، وأعيد طبعه سبعًا وعشرين مرة، ونقل إلى عشر لغات أوروبية، قرر أن المرأة ضعيفة الذاكرة «ص٩٤–١١٦» حيث قال: إن التذكر هو التغلب على ما مضى من الزمن واستحضاره فى الذهن، ولا يمكن للمرأة، لأسباب عضوية ونفسية، السيطرة على هذه الموهبة، لأن حياتها متقطعة، لا تذكر منها إلا اليسير بخلاف الرجل فإنه يمكنه تتبع سلسلة حياته، حلقة فحلقة، ولا يغيب عنه جوهرها فى أى وقت من الأوقات.

بل قرر فى «ص٧٦–٨٤» ضعف قوتها العاقلة فقال: لا يمكن للمرأة التفرقة بين الشعور والتفكير، أى بين حياتها الوجدانية والعقلية، ولكن الرجل يمكنه فصلهما عن بعضهما تمامًا.

وقال فى «ص٨٥–٩٣»: أن النبوغ أحد ميزات الرجل، ولا يمكن أن تصل إليه المرأة مهما بلغت مواهبها «مجلة الأزهر مجلد ١ ص٦٠٤».

كما قال المختصون: إن المرأة أسرع تأثرًا وانفعالاً، وأدق شعوراً بالألم والسرور، وقد تزيد على الرجل فى مقتضيات العاطفة، كالهم والموسيقى والغناء، لكن يندر أن تكون فيلسوفة أو مبتكرة، حتى فى الموسيقى، أو متعمقة فى درس النفس البشرية، فالرجل يفوقها فى الرياضيات والفلسفة العميقة، لكن معلوماتها فى ذلك سطحية، وكذلك يكون بين النساء لغويات وطبيبات ومربيات ومحاميات، لكن لا يكون بينهن فلاسفة أو رياضيات أو مهندسات، إلا فى النوادر، إنها سريعة التصميم والتنفيذ والنكوص، تفتر همتها إذا فشلت أولاً، ووثباتها فى الحياة قصيرة، فهى لا تستطيع أن تحدث انقلابًا عامًا أو ثورة عارمة. نعم فيهن ملكات، لكن كن مستبدات لا مصلحات إن كن يحكمن. أما أمثال فيكتوريا فى الإنجليز، وولهلمن ملكة الفلمنك فى هولندا فهن صاحبات مناصب فقط، أما الحكم فهو بالقانون كما يقال: تملك ولا تحكم. إن الرجل يتحمل أكثر من المرأة وينتج أفضل منها، وهو أمهر فى الانتقاد وأقدر على إدراك الأشياء على حقيقتها.

* * *

وبناء على ذلك أيضا هناك اختلاف بين الجنسين فى السلوك. فقد قال المختصون: إن المرأة قلما جاءت بحجة إلا كانت عليها، لا تنهى [1] عن شئ إلا وتفعله، ولا تنهى [2] إلا أتته، ولمركب النقص فيها تعمد إلى التزين بالحلى، لقد منحت المرأة تناسقا فى الأعضاء أكثر من الرجل، ولهذا لا يليق بها الغضب وتقطيب الوجه، وأودعت التأثر بالدموع والسرور والتألم أكثر من الرجل، وجعل صوتها لينا إشارة إلى عدم مغالبتهن للرجال ومكافحة الأهوال. إنهن بالفطرة أقدر وأصبر على أعمال البيت. أما الرجال الذين يقطعون الصخور ساعات فهم لا يتحملون الجلوس بجوار سرير طفل يبكى، أو انتظار قدر حتى ينضج.

وادعاء المرأة أن المساواة فى تهيئة الفرص للكمال المادى والأدبى تقتضى المساواة فى النشاط وأثره ادعاء باطل، فإن المساواة فى ذلك راجعة إلى المساواة فى الاستعداد والأداء، فعند الاستواء فى ذلك يكون نوع التكليف وبالتالى يكون مقدار الأجر، وعند عدمه لا يكون تساو أبدا، حتى بين الرجال أنفسهم، فللقوى حكم وللضعيف حكم ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْت بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾؟ [النحل: ٧٥، ٧٦]. والقوى خير وأحب إلى الله من الضعيف، فكيف تكون هناك مساواة كاملة فى العمل والأجر بين الجنسين، مع أنها لا تكون فى الجنس الواحد؟

لقد قال محمد قطب فى كتابه «شبهات حول الإسلام»: إن الاستعداد الطبيعى للمرأة فى رعاية أطفالها أساسه العاطفة المشبوبة التى تلبى نداءه دون

---

(١) بضم التاء.

(٢) بفتح التاء.

تفكير، أما الرجل فى عراكه مع الحياة فيحتاج إلى التؤدة والتفكير، لا العاطفة الجياشة التى عند المرأة، ولهذا الاختلاف نرى الرجل يستمر فى عمله طويلا، لكنه فى ناحية العاطفة ضعيف ينتقل بين النساء، ويفكر فى غير زوجته، أما هى فمستقرة العاطفة نحو زوجها، تحبه وتقدسه، وتخطط للاحتفاظ به.

وهى حين تعمل فى التمريض والحضانة قد تستقر بهذه العاطفة، أما عملها فى المتجر مثلا فهو لا يمنعها من التفكير فى الزواج والأسرة والأولاد، فلذلك تترك العمل وتتزوج إن سنحت لها الفرصة.

وجاء فى أهرام ٢١/٩/١٩٦١ كلام للدكتور حسن الساعاتى أستاذ الاجتماع بجامعة عين شمس، فيه: لو أردنا حل مشكلات المرأة العاملة فلن يكون ذلك إلا عن طريق التخصص ... أن تتخصص المرأة فى الوظائف غير الملائمة لطبيعة الرجال كالتمريض والتدريس للبنات، إننا لا ننكر أن المرأة تستطيع أن تقوم بأعمال الرجل، ولكنها فى الوقت نفسه لا تستطيع أن تقوم بكل الأعمال التى يقوم بها، كما أنها تقوم بأعمال يعجز عنها الرجال كالحمل والولادة والرضاعة وحضانة الصغار وتربيتهم، وهذه الأعمال أساسية فى حياة المرأة، إن المرأة عندما تعمل تكون موزعة الولاء بين عملها ومنزلها، والنتيجة دائما هى ضعف إنتاجها ... والمكان المناسب للمرأة، فى رأيى، هو البيت.

واستطرد فقال: إذا كانت الوظائف محدودة والمتقدمون لها من الجنسين فالمنطق يقتضى تشغيل الذكور وتفضيلهم على الإناث، فهم الذين ينفقون على الأسر، وإذا كانت الظروف تحتم وجود نوع من البطالة فبطالة الإناث أخف، لأنها بطالة تؤول بالمرأة إلى البقاء فى البيت مكتفية بلقب «ست بيت» أما بطالة الذكور فهى شلل كامل وتسكع وإدمان المخدرات وتفكك الأسرة والنكبة على المجتمع.

كما نشر فى أهرام ١٤/١١/١٩٦١ بعض أقوال الغربيين عن المرأة، منها ما أثارته دائرة المعارف البريطانية فى وضع تعريف لكلمة «السيدة» خلاصته

تدور حول ثقافتها وحسن إدارتها للمنزل وحسن سلوكها، ولم يرتضوا إطلاق هذا الاسم على «كاترين» ملكة روسيا، لأنها كانت موضع الشبهات. ثم ذكرت الدائرة أقوالا عن المرأة وأثرها فى الرجال، وجاء فى كلام المتزوجين قول شكسبير: إنها غير مخلصة حتى للرذيلة وقال آخر: إنها حيوان بلا عقل. وقال ثالث: إنها لا تساوى أكثر من ثمن ما ترتديه من الملابس.

وقد ثارت جمعية السيدات البريطانيات على هذا التعريف «من كلام إبراهيم عياد المراغى الخبير فى العلاقات العامة ونشر بالأهرام المذكور».

وقال المختصون أيضا: إن الرجل فى الميدان الاجتماعى هو مركز الدائرة، والمرأة تبع له. فهى تستمد وجودها وحياتها منه، وذلك لضعفها بالنسبة له، ولدفاع الرجل عنها غيرة أو توفيرا لأمنها، ولنشاطه الاقتصادى وعدم مزاحمتها له فى العمل، وعدم استقلالها بثماره، ولإجماع الناس على ضرورة المحافظة على عفافها، والتقليل بقدر الإمكان من فرص اجتماع الجنسين على شكل يمسها بسوء. كل ذلك جعل وضعها الاجتماعى فى المنزلة الثانية بعد الرجل، وعلى هذا فهى لن تساويه أبدا فى كل شئ، ولها ميدانها الخاص، تباشر فيه نشاطها الذى يتناسب مع تكوينها، الذى قد تنتج فيه أفضل مما ينتج الرجل، أو ما لا يستطيع أن ينتجه أصلا.

لقد أوردت هذه الأقوال كمعرض أفكار للرجال عن المرأة وهى، وإن كان بعضها فيه تحامل، تؤكد وجود الفوارق الطبيعية والاجتماعية بين الجنسين، تلك الفوارق التى لا يمكن أن تكون معها مساواة تامة أبدا فيما تنادى به المرأة المتحررة اليوم.

● فوارق فى التكليف بين الرجل والمرأة:

وقد جاءت التكاليف الدينية على هذا الأساس، كما يظهر فى الإعفاءات والتخفيفات التى قد مر بعضها فى صفحات سابقة، وإليكم بعض هذه الفوارق فى التكليف المبنية على الفوارق بين الجنسين، مع شرح بعضها شرحا يقتضيه

ما نشاهده اليوم من سلوك بعض النساء فيه، ومع التنبيه على أن بعض هذه الفوارق، وبخاصة فى الفروع الفقهية، ليس متفقا عليه بين الفقهاء، ففيها خلاف يرجع إليه فى كتب الفقه المتخصصة، وجل اهتمامى فى شرح بعضها يرجع إلى الناحية الاجتماعية كما أشرت إليه فى بيان منهجى فى تأليف هذا الكتاب.

١ - تشييع الجنازة:

حث الإسلام على تشييع جنازة الميت [١]، وفاء بحق الأخوة، ومشاركة فى تحمل التبعات عن أهله، وللعبرة والموعظة بالموت وأثره. فقد وردفى الحديث الشريف «حق المسلم على المسلم ست» قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له. وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه» رواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة. وفى الحديث أيضا «من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطا» قيل: وما القيراطان؟ قال «مثل الجبلين العظيمين» رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن عن أبى هريرة. وفيه أيضا «عودوا المرضى، واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة» رواه أحمد والبزار وابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى، «الترغيب والترهيب ج٤ ص١٠٩».

وترغيب الرجال فى تشييع الجنازة أمر مجمع عليه، أما النساء فقد اختلفت آراء الفقهاء فى حكم تشييعهن للجنازة، وخلاصة ما قيل فيه. أنه إذا كانت هناك فتنة فى تشييع المرأة للجنازة حرم عليها الخروج من أجل ذلك. والفتنة تكون إما بفعل محرم كالندب والنياحة واللطم وشق الجيب وما فى معناه من كل ما يدل على الجزع، وإما بفتنة الرجال بها، أو فتنتها بهم، لكشف العورة أو لتصرف غير كريم مثلا. أما إذا لم تكن هناك فتنة فى خروجها فالآراء فيه كما يلى:

---

(١) الجنازة بكسر الجيم وفتحها، وقيل الكسر أفصح .. وحكى صاحب المطالع أنه يقال بالفتح للميت وبالكسر للنعش عليه الميت، ويقال عكس ذلك.

(أ) منعه الحنفية أيضا، وقالوا: إن تشييعها للجنازة مكروه كراهة تحريم، سواء خشيت الفتنة أم لا. ولعلهم استندوا فى ذلك إلى حديث على، قال: خرج النبى ﷺ فإذا نسوة جلوس، فقال «ما يجلسكن»؟ قلن: ننتظر الجنازة. قال «هل تغتسلن»؟ قلن لا. قال «هل تحملن»؟ قلن: لا. قال «هل تدلين فيمن يدلى»؟ قلن: لا. قال «فارجعن مأزورات غير مأجورات» رواه ابن ماجه والحاكم عن محمد بن الحنفية عن على [1].

كما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بينما نحن نمشى مع النبى ﷺ إذ بصر بامرأة، لا نظن أنه عرفها. فلما توجهنا إلى الطريق وقف حتى انتهت إليه. فإذا فاطمة رضى الله عنها. فقال «ما أخرجك من بيتك يا فاطمة»؟ فقالت: أتيت أهل هذا البيت فرحمت إليهم ميتهم وعزيتهم. فقال «لعلك بلغت معهم الكدى» أى القبور. قالت: معاذ الله أن أكون قد بلغتها معهم، وقد سمعتك تذكر فى ذلك ما تذكر. قال «لو بلغتها ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك» رواه أحمد والحاكم والنسائى والبيهقى وأبو داود. قال المنذرى: فى إسناده ربيعة بن سيف، وفيه مقال لا يقدح فى حسن الإسناد.

(ب) قال الجمهور: أنه مكروه كراهة تنزيه. ودليلهم فى ذلك حديث أم عطية، حيث قالت: نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا. رواه البخارى «ج٢ ص ٩٩» ورواه مسلم وأحمد وابن ماجه. قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى: ولم يعزم علينا أى لم يؤكد علينا فى المنع، كما أكد علينا فى غيره من المنهيات، فكأنها قالت: كره لنا اتباع الجنائز من غير تحريم. وقال القرطبى: ظاهر سياق أم عطية أن النهى نهى تنزيه.

(جـ) قال مالك بالجواز، وهو قول أهل المدينة، وإن كان تجويزهم لذلك فى أضيق الحدود، كفقد عزيز، كابن وزوج. كما جوزه ابن حزم، وطعن فى كل

---

(١) ورواه البيهقى عن على، قال ابن الجوزى: جيد الإسناد – وهو ما رمز إليه السيوطى فى الجامع الصغير بالصحة. وروى عن أنس بسند ضعيف «فيض القدير ج ١ ص ٤٧٣».

الأحاديث الواردة فى المنع، غير حديث أم عطية. ودليلهم حديث أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ كان فى جنازة فرأى عمر امرأة، فصاح بها، فقال: «دعها يا عمر» رواه ابن أبى شيبة، وأخرجه ابن ماجه والنسائى، ورجال الإسناد ثقات.

هذا، وخروج النساء لتشييع الجنازة على أكثر الأقوال غير محمود، وقد جاء أن «زحلة» مولاة معاوية كانت تقول: لم يكن يتبع الجنازة امرأة إلا أن تكون نفساء أو مبطونة، تخرج معها امرأة من ثقاتها، حتى يضعوها فى المصلى، فتدخل المرأة يدها تنظر: هل خرج شئ؟ فلا يزال القوم جلوسا أو قياما حتى إذا توارت المرأة قالوا للإمام: كبر «كشف الغمة للشعرانى ص ٢٩٠».

ونقلت الأخبار أن نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان بن عفان ذهبت مع جنازته إلى البقيع ليلا، وبيدها السراج. وقد دلته فى قبره هى وأم البنين بنت عتبة «العقد الفريد ج٢ ص ١٨٥». وما تفعله نساء اليوم يحتم منعهن من تشييع الجنازة، إلى جانب أنهن يعطين صورة سيئة عن المجتمع الإسلامى، يتهم من أجلها الإسلام وهو برئ.

٢ - زيارة القبور:

نهى النبى ﷺ أولا عن زيارة القبور، قطعا لما كان عليه أهل الجاهلية، من زيارتها للتفاخر بأصحابها، كما يشير إليه قوله تعالى ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾ أى كانوا يتكاثرون بأموالهم وأنسابهم حتى زاروا المقابر ليشيروا إلى من فيها من آباء ذوى أمجاد. ثم رخص لهم فى زيارتها بعد ذلك. وقال شاعر فى هذا المعنى:

أرى أهل القصور إذا أميتوا ... بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخرا ... على الفقراء حتى فى القبور

وقد ورد فى زيارتها حديث «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروا القبور، فإنها تزهد فى الدنيا، وتذكر الآخرة» رواه ابن ماجه عن ابن مسعود

بإسناد صحيح. وروى مسلم وغيره عن أبى هريرة قال: زار النبى ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال «استأذنت ربى فى أن أستغفر لها، فلم يؤذن لى، واستأذنته فى أن أزور قبرها، فأذن لى. فزوروا القبور فإنها تذكر الموت».

وظاهر هذا الحديث أن إذن النبى ﷺ للناس بزيارة القبور سببه أن الله أذن له فى زيارة قبر أمه، وقد صرح بذلك فى رواية ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه، فزوروها فإنها تذكر الآخرة» رواه الترمذى وقال: حسن صحيح.

وحكمة الزيارة نص عليها الحديث، وهى أنها تذكر الآخرة، وتزهد فى الدنيا، وتحمل على الاستعداد للموت.

وقد أجمع المسلمون على استحباب زيارتها، بل أوجبها الظاهرية، غير أنهم قالوا: أن ذلك خاص بالرجال دون النساء. وقالوا: إن الإذن بالزيارة بعد النهى كان عاما للرجال والنساء، لكن لما رأى النبى ﷺ ما فى خروج النساء من مفاسد نهاهن عنها، واستمر الإذن للرجال. وقال آخرون: إن النهى عن زيارتهن كان سابقا للنهى العام عن زيارة القبور، ثم جاء الإذن للرجال، وبقى المنع مستمرا بالنسبة إليهن.

ومهما يكن من شئ فإن فى زيارتهن مذاهب تتلخص فيما يلى:

(أ) التحريم مطلقا، ودليله حديث «لعن الله زوارات القبور». رواه الترمذى عن أبى هريرة، وقال حسن [1]. لكن القرطبى قال: يحتمل أن الحرمة منصبة على الكثرة، أخذا من التعبير بلفظ زوارات، وهو من صيغ المبالغة.

(ب) التحريم عند المفسدة كالفتنة والنياحة، ومن هنا كانت حراما على الشواب، وجائزة للقواعد اللاتى لا يفتتن بهن، إلا إذا صاحبها محرم كالنياحة وما إليها مما نهى عنه النبى ﷺ فى قوله «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب،

---

(١) تفسير القرطبى ج٢ ص ٢٧٠، الترغيب ج ٤ ص ١١٨.

ودعا بدعوى الجاهلية » رواه البخارى عن ابن مسعود « ج ٣ ص ١٠٣ » ورواه مسلم وغيره [١]. والنساء لا يستطعن التخلص من هذه العادات الشنيعة إلا بصعوبة، ويؤكد ذلك حديث أم عطية، قالت: أخذ علينا النبى ﷺ عند البيعة ألا ننوح. فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة: أم سليم، وأم العلاء، وابنة أبى سبرة امرأة معاذ. وامرأتان. أو ابنة أبى سبرة، وامرأة معاذ، وامرأة أخرى. رواه البخارى « ج ٣ ص ١٠٦ » وأخرجه مسلم « ج ٦ ص ٢٣٧ ». ولما بكى نساء جعفر بن أبى طالب عليه لما استشهد أمر النبى ﷺ رجلا أن ينهاهن، فلم يطعن الرجل مرتين، فأمره النبى ﷺ أن يحثو فى أفواههن التراب. رواه البخارى ج ٣ ص ١٠٦ ورواه مسلم ج ٦ ص ٢٣٦ .

(جـ) الكراهة، ودليله حديث أم عطية فى النهى عن اتباع الجنائز، المتقدم، وتقاس عليه زيارة القبور.

(د) الإباحة، ودليله حديث عائشة عندما ذهبت إلى البقيع، فوجدت النبى ﷺ هناك، فلم ينكر عليها ذلك، وعلمها ما تقوله عند زيارتها للقبور « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون » أخرجه مسلم « ج٧ ص ٤٤ ». وعن عبد الله بن أبى مليكة أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت: يا أم المؤمنين، من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخى عبد الرحمن. فقلت لها: أليس كان نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، كان نهى عن زيارة القبور، ثم أمر بزيارتها. رواه الحاكم والبيهقى، وقال الذهبى: صحيح. كما أن النبى ﷺ عندما مر على امرأة تبكى عند القبر أمرها بالتقوى والصبر، ونهاها عن البكاء، لأنه سمع منها ما يكره من نوح وغيره، ولم ينهها عن الزيارة كما رواه البخارى ومسلم.

(هـ) الاستحباب، كما تستحب للرجال، ويدل عليه عموم الإذن بالزيارة

---

(١) الترغيب ج ٤ ص ١١٦ .

والأمر بها فى قوله ﷺ «فزوروها» وقد رد البعض ذلك بأن الضمير للذكور، فلا يدخل فيه الإناث على المذهب الصحيح المختار فى الأصول. ولكن هذا الرأى ليس بقوى، لأن الخطاب بهذه الصيغة ورد بتكاليف كثيرة شملت الرجال والنساء، وتخصيص الضمير أو الخطاب بالذكور يحتاج إلى مخصص.

والآراء الثلاثة الأخيرة محلها عند أمن الفتنة والمفسدة، وإلا حرمت زيارتهن.

وإذا جاز للمرأة أن تزور القبور مع الأدب، فلا يجوز لها، كما لا يجوز للرجال المبيت بها، فقد ورد عن ابن عباس أن النبى ﷺ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. وإذا كان اتخاذ المساجد والسرج عليها منهيا عنه مع عدم المبيت، لما فيه من تعظيم القبور والفتنة بها ومشابهة غير المسلمين، فإن المبيت غير جائز، لأنه يستلزم السرج غالبا، ويستلزم أمورا أخرى، كالمشى والجلوس على القبر، واللهو عنده وعدم العبرة بالموت وفى بعض الأحيان يتخذ المبيت ذريعة للفساد. وقد ورد أن النبى ﷺ قال «لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر» رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة (١). وفى حديث عقبة بن عامر عن النبى ﷺ «لأن أمشى على جمرة أو سيف، أو أخصف نعلى برجلى أحب إلى من أن أمشى على قبر» رواه ابن ماجه بإسناد جيد، وخصف النعل بالرجل أى والنعل فيها حيث تتعرض لوخز الإبرة، أو المعنى أن تخاط النعل مع الرجل.

هذا، واتخاذ النساء مواسم معينة يحرصن على الخروج فيها إلى المقابر،

---

(١) الترغيب ج ٤ ص ١٢٧، لكن اختلف فى المراد بالجلوس. فقال أكثر العلماء هو الجلوس المعروف وقال مالك: هو التغوط عليها، وروى فى الموطأ أن عليا كان يتوسد القبور ويضطجع عليها وأن ابن عمر كان يجلس على القبور، وإن عثمان بن حكيم قال: أخذ خارجة بن زيد بيدى فأجلسنى على قبر وأخبرنى عن عمه يزيد بن ثابت أنه قال: إنما كره ذلك لمن أحدث عليها (صفحة ٨٣ من كتاب تسلية أهل المصائب للمنبجى الحنبلى المتوفى فى أواخر القرن الثامن الهجرى).

كرجب والعيدين، لا أصل له من الدين. وأولى بالمرأة أن تنفع الميت إن كانت تحبه، بتقديم قربات لا تتوقف على زيارتها، كالدعاء والاستغفار والصدقة وقراءة القرآن على اختلاف في بعض ذلك مذكور بتوضيح في بحث بر الوالدين.

تنبيهان :

الأول : في البكاء على الميت وما يلابسه. البكاء على الميت إذا كان مجردا من النياحة المحرمة جائز، فقد بكى النبي ﷺ على ابنه إبراهيم، وقال «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون» رواه البخاري عن أنس.

ودخل النبي ﷺ على عثمان بن مظعون، وهو ميت، فأكب عليه، وقبله حتى سالت دموعه على وجنتيه. رواه الترمذي. وفي رواية أنه قال عند زيارته لسعد بن عبادة «إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا، وأشار إلى لسانه، ويرحم» رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر. وقد بكى على ابن بنته، وهو يجود بنفسه. ولما سئل قال «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» رواه البخاري ومسلم عن أسامة ابن زيد.

وروى أحمد عن ابن عباس قال: ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ فبكت النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، وقال «مهلا يا عمر» ثم قال «إياكن ونعيق الشيطان» ثم قال «إنه مهما كان من العين والقلب فمن الله عز وجل ومن الرحمة، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان» والتعبير باليد كناية عن اللطم والشق، والتعبير باللسان كناية عن النياحة.

وعن جابر بن عتيك أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت، فوجده قد غلب، فصاح به فلم يجبه، فاسترجع وقال «غلبنا عليك يا أبا الربيع» فصاح النسوة وبكين، فجعل ابن عتيك يسكتهن. فقال رسول الله ﷺ «دعهن، فإذا وجب فلا تبكين باكية» قالوا: وما الوجوب يا رسول الله؟ قال «الموت» رواه

أبو داود والنسائى [1]. ومعنى غلب أى تحكم المرض فيه ولم يعد هناك أمل للشفاء، وقرب من الموت. ومعنى «استرجع» قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وجاء فى «أسد الغابة» فى ترجمة جعفر بن أبى طالب: أن النبى ﷺ دخل على امرأته أسماء بنت عميس، فعزاها فيه، ودخلت فاطمة وهى تبكى وتقول: واعماه!! فقال رسول الله ﷺ «على مثل جعفر فلتبك البواكى» وقد مر أنه أمر رجلا أن يحثو [2] فى أفواه النساء التراب عندما بكين على جعفر. فالإذن بالبكاء يدل على جوازه إذا لم يصاحبه ما كان من عادات الجاهلية، والنهى إنما هو عن هذه الأمور الخارجة عن الدين. جاء فى الإصابة لابن حجر وفى سيرة ابن هشام عند الحديث عن «كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة الأنصارية» أنها ندبت سعد بن معاذ لما احتمل نعشه، فقالت:

ويل أم سعد سعدا صرامة وجدا وسؤددا ومجدا وفارسا معدا
وسيد سد به مسدا يقدها ما قدا

فنهاها عمر، فقال النبى ﷺ «دعها يا عمر، كل باكية مكثرة إلا أم سعد ما قالت من خير فلن تكذب» «المواهب اللدنية ج ١ ص ٤١٨». وجاء فى المطالب العالية لابن حجر ج ١ ص ٢٢٣ ذكر هذا الحديث. وفيه هذا القول:

ويل أم سعد سعدا براعة ومجدا بعد أياد ياله ومجدا مقدم سد به مسدا

وجاء فى التعليق: رواه الطبرانى فى الكبير بإسنادين فى أحدهما مسلم الملائى وهو ضعيف، والآخر عن محمد بن إسحاق. وقال البوصيرى رواه إسحاق ابن راهويه بسند صحيح.

---

(١) أورد ذلك ابن الأثير فى ترجمة جابر بن عتيك فى كتابه «أسد الغابة». وفى ترجمة ثابت بن الربيع أنه كان مريضا فعاده النبى، ولما ناداه لم يجبه، فبكى وبكى النساء، فنهاهن أسامة ابن زيد.

(٢) الفعل حثا، يجئ مضارعه يحثو من باب عدا يعدو عدواً، ويجئ مضارعه أيضا يحثى من باب رمى يرمى رميا. «انظر المواهب اللدنية – خصائص النبى ص ٤١٨ ج ١».

والنياحة، كما تقدم، محرمة. وقد أخذ الرسول ﷺ البيعة من النساء على تركها، غير أنه ورد أنه رخص لأم عطية فيها. فقد روى مسلم «ج ٦ ص ٢٣٨» عنها قالت: لما نزلت هذه الآية «يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئا .... ولا يعصينك فى معروف» قالت: كان منه النياحة، قالت: فقلت يا رسول الله إلا آل فلان، فإنهم كانوا أسعدونى فى الجاهلية فلا بد لى من أن أسعدهم [1] فقال رسول الله ﷺ «إلا آل فلان».

قال النووى تعليقا على هذا الحديث: هذا محمول على الترخيص لأم عطية فى آل فلان خاصة، كما هو ظاهر. وللشارع أن يخص من العموم ما شاء. فهذا صواب الحكم فى هذا الحديث، واستشكل القاضى عياض وغيره هذا الحديث، وقالوا فيه أقوالا عجيبة، ومقصودى التحذير من الاغترار بها، حتى أن بعض المالكية قال: النياحة ليست بحرام بهذا الحديث وقصة نساء جعفر. قال: وإنما المحرم ما كان معه شئ من أفعال الجاهلية كشق الجيوب وخمش الخدود ودعوى الجاهلية. والصواب ما ذكرناه أولا، وأن النياحة حرام مطلق، وهو مذهب العلماء كافة، وليس فيما قاله هذا القائل دليل صحيح لما ذكروه «المرجع السابق».

هذا، وقد ورد أن النبى ﷺ – كما رخص فى النياحة لأم عطية – رخص لخولة بنت حكيم، كما فى حديث ابن عباس عند ابن مردويه، ولأم سلمة أسماء بنت زيد الأنصارية، كما عند الترمذى. والعجوز. كما عند أحمد والطبرانى. فإنهن قلن لرسول الله ﷺ عند المبايعة نحوا مما قالته أم عطية، فلا خصوصية فيها لأم عطية كما قاله النووى.

يقول الشرقاوى فى شرح مختصر الزبيدى «ج ٣ ص ٣١٤»: الظاهر أن النياحة كانت مباحة ثم كرهت كراهة تنزيه، ثم تحريم، فيكون الإذن لمن ذكرن وقع لبيان الجواز مع الكراهة، ثم لما تمت مبايعة النساء وقع التحريم، فورد حينئذ

---

(١) الإسعاد هو المشاركة بالبكاء.

الوعيد الشديد. وفى حديث ابن مالك الأشعرى عنه عند أبى يعلى أن رسول الله ﷺ قال «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة عليها سربال من قطران ودرع من جرب» رواه مسلم ج ٦ ص ٢٣٥.

التنبيه الثانى: فى زيارة قبر النبى ﷺ.

لقد ثبت النهى عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، ففى الحديث «قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة.

ومن هنا قال أكثر العلماء: لا يمكن أن يلعن الرسول ﷺ من فعل ذلك من الأمم، ثم يحث على زيارة قبره، لكن بعضهم استند فى جواز زيارته بل فى استحبابها إلى ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال «من حج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى» رواه الدارقطنى والطبرانى فى الكبير والأوسط من طريق حفص بن سليمان القارى عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر. وحفص قد وثقه أحمد. وحديثه الآخر «من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى».

لكن هذه الأحاديث فى درجتها لا تعارض الأحاديث القوية المروية فى النهى عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد. وقد يقال: إن المنهى عنه هو اتخاذها مساجد يصلى إليها، أما الزيارة كزيارة أى قبر لأى ميت فلا نهى عنها، وقد يرد بأن زيارتها مظنة لاتخاذها مساجد.

لكن: هل كان قبر النبى ﷺ معروفا له أو للناس عندما قال هذا الكلام مستحثا لهم على زيارته؟ لقد اختلف الصحابة بعد موته فى المكان الذى يدفن فيه حتى عرفوا أنه قال «يدفن الأنبياء حيث يموتون [1]، فدفنوه فى حجرة

---

(١) رواه يحيى عن ابن أبى مليكة بلفظ (ما هلك نبى إلا دفن حيث تقبض روحه) وفاء الوفا ج ١ ص ٣١٩ تحقيق محيى الدين. وفى ص ٣٣ أن أبا بكر حين سألوه أين يدفن النبى قال: فى المكان الذى قبض الله تعالى روحه فيه، فإن الله لم يقبض روحه إلا فى مكان طيب. =

عائشة، فكيف يحثهم على زيارة قبره، وهو حي، مع جهلهم به؟ اللهم إلا إذا كان القصد أنهم سيدفنونه ولا بد أنهم يعلمون مكان قبره فندبهم إلى زيارته وإن كان بعيدا [1].

٣ - الجهاد المسلح :

لا شك أن الجهاد في سبيل الله لنشر كلمة الحق وتوطيد دعائم الأمن وحماية الحريات وصيانة الحقوق من أفضل القربات عند الله، إن لم يكن أفضلها، وقد فرضه الله ورغب فيه، وأعد للشهداء منزلة لا تدانيها منزلة، وحذر من التهاون فيه تحذيرا شديدا. والنصوص في ذلك كثيرة في القرآن والسنة.

وعلى كل من يستطيعه بالبدن أو المال أو اللسان أو غير ذلك أن يكون مستعدا لتلبية ندائه، وأكثر الأئمة على أنه فرض كفاية، بمعنى أنه إذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقين، فإذا قصروا أثموا جميعا. وقال سعيد بن

= رواه الترمذي في شمائله، والنسائي في الكبرى وإسناده صحيح. ورواه أبو يعلى الموصلي ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه». اهـ كما جاء في الصفحة نفسها أن عليا هو الذي قال، لما اختلفوا: لا يدفن إلا حيث توفاه الله عز وجل.

(١) عقد الشيخ السمهودي في كتابه «وفاء الوفا» فصلا خاصا في باب زيارة النبي ﷺ للأحاديث الواردة فيها وهي ١٧ حديثا. منها حديث الدارقطني والبيهقي «من زار قبري وجبت له شفاعتي». وهو مناقش وقال الذهبي: طرق هذا الحديث كلها لينة يقوى بعضها بعضا لأنه ما في رواتها متهم بالكذب. قال: ومن أجودها إسنادا حديث حاطب «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي» اهـ ومنها حديث الدارقطني والطبراني «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي» وهو معلول أيضا. ومنها حديث «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني» وهو معلول أيضا اهـ أقول: وقد يحمل على زيارته حيا وكثير من الأحاديث التي ساقها يمكن حملها على زيارته وهو حي.

وزيارة النساء لقبره الشريف متفق عليها، وليس في جوازها خلاف، كالخلاف في زيارة القبور العادية، بل قالوا: إنها مستحبة، كما استحبت للرجال» وفاء الوفا ج ٤ ص ١٣٦٢، تحقيق محيي عبد الحميد».

وجاء في نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في فقه الشافعية «ج ٣ ص ٣٦»: ومحل هذه الأقوال في غير زيارة سيدنا محمد ﷺ، أما هي فلا تكره، بل تكون من أعظم القربات للذكور والإناث.

المسيب: إنه فرض عين. وعند الشافعية تفصيل في ذلك، فقالوا: إنه فرض كفاية في عهد رسول الله ﷺ بعد الهجرة، أما بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فللكفار حالان، أحدهما أن يكونوا ببلادهم وحدث ما يستوجب قتالهم، فالجهاد حينئذ فرض كفاية على المسلمين. والثانية أن يدخل الكفار بلاد المسلمين، أو ينزلوا قريبا منها، فالجهاد حينئذ يكون فرض عين على أهل تلك البلدة وعلى من كان دون مسافة قصر منها إن كان في أهلها كفاية، وعلى من كان بمسافة القصر إن احتاجوا إليها بقدر كفايتهم. لإنقاذهم من التهلكة، فهو يلزم الكبار والصغار من أهل ذلك البلد، وكذا النساء، ولهن أن يخرجن بدون إذن من أوليائهن، فالدفاع عن النفس والحرمات واجب لا يتوقف على إذن من أحد.

ولعل مما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة: ٤١]، وهي في غزوة تبوك حين نمى إلى رسول الله ﷺ أن العدو يستعد للهجوم على المسلمين.

ويلاحظ في تفصيل الشافعية أن البلاد الإسلامية كلها متضامنة في رد العدوان، وأن الفواصل السياسية فواصل مصطنعة، لا ينبغي أن تكون ذات أثر إلا في مثل دقة الإشراف والتنظيم فقط، دون أن تمس وحدة الأمة الإسلامية وتعاونها في جميع المجالات، وبخاصة ما كان منها خطيرا.

وقد أعفى الله من وجوب الجهاد من لا يستطيعه من أمثال من ورد فيهم قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ [التوبة: ٩١].

وقوله ﴿ **لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ** ﴾ [الفتح: ١٧] والآية الأولى وردت في سياق الكلام على غزوة تبوك، والثانية في غزوة خيبر. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قرره الأصوليون.

أما النساء فإن الجهاد لم يفرض عليهن حين يكون فرض كفاية، أما إن كان فرض عين فهن داخلات فى هذا التكليف، والنفر واجب عليهن كالرجال. وقد راعى الإسلام فى عدم فرضه عليهن التخفيف أولا، لأن الجهاد يحتاج إلى قوة الجسم والأعصاب، وهن فى ذلك لسن كالرجال، وثانيا صيانتهن عن التعرض للأخطار بمثل السبى وما يتبعه من تصرفات تهين كرامة المرأة والرجل على السواء، وكذلك بما قد يكون أثناء القتال من الأضرار كانكشاف العورات والتزاحم والنوم فى العراء وما إلى ذلك. وقد قال الحنابلة: يكره دخول النساء الشواب أرض العدو، ولا بأس بالمرأة الكبيرة الطاعنة فى السن إن كان فيها نفع، ويجوز للأمير أن يخرج زوجته معه إلى أرض العدو عند حاجته، ولا يرخص فى ذلك لسائر أفراد الجيش (١)، ولعل مستندهم فى ذلك خوف الفتنة عليهن، وما حدث من الرسول فى اصطحاب بعض زوجاته فى بعض الغزوات، كعائشة فى الغزوة التى ضاع فيها عقدها وكانت حادثة الإفك المشهورة.

والدليل على عدم فرضية الجهاد على النساء: أن السيدة عائشة رضى الله عنها سألت النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال «لكن أفضل الجهاد حج مبرور» رواه البخارى. وفى رواية لابن ماجه عنها، قالت: يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ قال«نعم، جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة».

وهذا الجهاد هو لتخليص النفس من عدوها، ولتقوية الإيمان وعمارة بيت الله، وهو جهاد يناسب المرأة، وحاجتها إليه أشد، وكما ورد فى حديث وافدة النساء، من فضل قيام المرأة بواجباتها الزوجية.

روى أبو يعلى والبزار عن أنس قال: أتت النساء رسول الله ﷺ فقلن: يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل، بالجهاد فى سبيل الله، فما لنا عمل ندرك به عمل الجهاد فى سبيل الله. فقال «مهنة إحداكن فى بيتها تدرك عمل المجاهدين

(١) معجم الفقه الحنبلى «ص ٢٠٩» طبعة أوقاف الكويت.

فى سبيل الله» ورواه أبو بكر بن شيبة [1]. فى سنده روح بن المسيب، وثقه بعضهم وضعفه بعضهم الآخر، وتوضيح ذلك الحديث فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة.

وخروج المرأة أيام النبى ﷺ وبعده للجهاد لا يدل على فرضيته عليهن فى كل الأحوال، بدليل حديث عائشة. غاية الأمر أن الوقائع التى حدثت فى أيامه عليه الصلاة والسلام لها ظروفها الخاصة، وهى لا تدل على الوجوب المطلق، بل على الجواز أو الوجوب فى حال معينة، كالهجوم على الوطن الذى يشترك فى الدفاع عنه كل المسلمين والمسلمات، كما حدث فى غزوة أحد، وإذا جاز للمرأة اشتراكها فى الحرب فإن عدم اشتراكها أولى.

وكان النبى ﷺ لا يأذن فيه لهن، خصوصا بعد فرض الحجاب، إلا فى أضيق الحدود، ومع احتياطات مشددة، وكان لمزاولة أعمال خفيفة ليس فيها مخاطرة بالحرمات، وكان خروجهن إذ ذاك استصحابا للأصل، على عادة نساء العرب فى صحبتهن للجيش أحيانا، للمساعدة والتشجيع بالأناشيد لحمل الرجال على الاستماتة فى الدفاع عن الحرمات، التى لو فرطوا فيها وقعن فى الأسر وكان العار الذى لا يقبله العربى.

ذكروا أن حليمة بنت الحارث بن أبى شمر الغسانى «ملك عرب الشام» كانت تخلق قومها بالعطر وتحرضهم على القتال. وإن شابا مر عليها فخلقته بالخلوق فقبلها، فشكت ذلك إلى أبويها، فقالا لها: اسكتى فإنه ليس هناك أشجع منه، فإن قتل فى المعركة فبها، وإلا فأنت زوجته. فأبلى بلاء حسنا، فزوجوه حليمة. ونسب إليها اليوم الذى قتل فيه «المنذر ابن ماء السماء» ملك العراق، لأنها حضرت المعركة تحض عسكر أبيها، وقد طيبتهم بعطر أخرجته لهم. وفى المثل «ما يوم حليمة بسر» وفيه أيضا «أعز من حليمة» [2].

---

(١) المطالب العالية لابن حجر ج ٢ ص ٣٩.

(٢) أعلام النساء لعمر كحالة.

ونظرا لما فى خروجهن من مخاطرة كان بعض كبار العرب لا يشجعون اشتراك المرأة مع الرجل فى الحروب، حدث عام أحد أن المشركين عندما أرادوا أن يخرجوا من مكة لقتال المسلمين فى المدينة أن قال بعض زعمائهم: نخرج معنا نساءنا، فإنه أقمن أن يحفظنكم – أى أجدر أن يثرن حفيظتكم وغضبكم – ويذكرنكم قتلى بدر، ونحن قوم مستميتون لا نرى أن نرجع إلى ديارنا حتى ندرك ثأرنا أو نموت دونه. وقال البعض معارضا للفكرة: يا معشر قريش ليس هذا برأى أن تعرضوا حرمكم لعدوكم، ولا آمن أن تكون الدبرة عليكم، فتفضحوا فى نسائكم.

غير أن هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان صاحت ضده قائلة: إنك والله سلمت يوم بدر فرجعت إلى نسائك، نعم نخرج فنشهد القتال، ولا يردنا أحد كما ردت الفتيات فى سفرهن إلى بدر حين بلغوا الجحفة، فقتلت الأحبة يومئذ إن لم يكن خرج معهم من يحرضهم.

وعلى نحو هذا الاختلاف فى الرأى بخصوص خروج النساء للمعركة، اختلف دريد بن الصمة ومالك زعيما هوازن عند خروجهم لقتال النبى ﷺ يوم حنين. وكانت حجة مالك فى إخراجهن وإخراج الأطفال والبهائم أن يكون خلف كل رجل أهله وماله ليدافع عنهم بحمية، وكانت حجة دريد ما جاء فى قوله لمالك: هل يرد المنهزم شئ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك [1].

وكانت هند فى أحد تتزعم خمس عشرة امرأة، منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام مع زوجها عكرمة بن أبى جهل، وريطة بنت منبه السهمية زوجة عمرو بن العاص، وهى أم عبد الله بن عمرو.

وذكر الزرقانى على المواهب غيرهما «ج٢ ص ٢٦» وهؤلاء كن ينشدن الأشعار الحماسية التى منها:

---

(١) شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ج ٣ ص ٨.

نحن بنات طارق نمشى على النمارق إن تقبلوا نعانق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق . ومنها :

ويها بنى عبد الدار ويها حماة الأديار ضربا بكل بتار [1]

وقد استنتج بعض الكتاب من هذه الأشعار أن المرأة العربية كانت لا تمانع فى بذل عرضها لأى رجل يعجبها فى موقف كبير، كالشجاعة فى الحرب، ولكن هذا الاستنتاج غير قوى، فالنساء حين ينشدن هذا يعدن أزواجهن ببذل كل ما يسرهم إذا انتصروا، سواء منهم من حضرت مع زوجها، أو انتظرت عودته من المعركة، فالكلام للشان والجميع، والنساء حين يعانقن المقاتلين الذين انتصروا فإنما يعانقن أزواجهن أو أقاربهن، على أن المعانقة بوجه عام هى عادة قديمة بين الأحبة لا عيب فيها إذ ذاك فى الجاهلية، وكان أكثر الخارجات إلى المعركة يصحبن الأزواج والأقارب .

وعند هزيمة المشركين فى أول المعركة، معركة أحد، ولى النساء الأدبار يدعون بالويل والثبور، روى ابن إسحاق عن الزبرقان قال : والله لقد رأيتنى أنظر إلى خدم – خلاخيل – هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير « الزرقانى على المواهب ج ٢ ص ٤٧ » .

وكلنا يعرف خبر هند التى أغرت وحشيا أن يقتل حمزة، فلما قتله بقرت بطنه ولاكت كبده متشفية . وكذلك خبر سلافة بنت سعد، التى نذرت أن تشرب الخمر فى رأس عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح الأنصارى، أخى عمرو بن عوف « وعاصم هو حمىُ الدَّبر الذى قتله بنو لحيان من هذيل يوم الرجيع » . وكان عاصم قد قتل بعض ولدها من طلحة بن أبى طلحة أحد بنى عبد الدار يوم أحد، أراد القاتلون أخذ رأسه لبيعها فى مكة، لكن الله حماه بالدبر – النحل – فلم يجدوا إليه سبيلا « زهر الآداب ج ١ ص ٢٠٠ طبعة الحلبى » .

---

(١) النمارق جمع نمرقة وهى الوسادة الصغيرة، والوامق هو المحب .

ومما يذكر من أثر النساء فى تشجيع المحاربين، وأن الخوف على الحرمات يدفع إلى الاستماتة فى حمايتها: أن قُزْمان بن الحارث العبسى. ويكنى: أبا الغيداق، وهو من بنى ظفر بطن من الأنصار [1]، كان قد تخلف عن أحد، فعيره نساء بنى ظفر بأنه امرأة، فغضب ولبس عدة الحرب، وكان فى الصف الأول، ورمى بنفسه أول من رمى من المسلمين. وفى آخر النهار آثر الموت على الفرار، بعد أن أصاب من قريش سبعة رجال فى سويعة، غير من قتل منهم فى بدء المعركة. ومر به قتادة بن النعمان، وهو يسلم الروح، فقال له: هنيئا لك الشهادة يا قزمان، فقال: إننى والله ما قاتلت عن دين، ما قاتلت إلا على الحفاظ أن تسير قريش إلينا فتقتحم حرمنا وتطأ سقفنا، والله إن قاتلت إلا عن أحساب قومى، ولولا ذلك ما قاتلت [2].

وجاء فى زاد المعاد «غزوة أحد» أن عمرة بنت علقمة الحارثية رفعت لواء المشركين لما قتل المسلمون حامله، فالتفوا حوله واستمر قتالهم. وذلك يدل على أثر المرأة فى المعركة.

والمرأة المسلمة خرجت مع المجاهدين فى غزوة أحد، ويعلل خروجها بما يأتى:

(أ) استصحاب الأصل، وهو العادة العربية القديمة قبل الإسلام، كما سبق ذكره.

(ب) أن العدو كان مهاجما لأرض الوطن الإسلامى، والدفاع حينئذ واجب على الجميع كما تقدم.

(جـ) أن الحجاب لم يكن قد فرض إذ ذاك على النساء فكانت المرأة تختلط

---

(١) الزرقانى على المواهب ج ٢ ص ٢٢٦ . وقيل: أنه هو الذى قال فيه الرسول «أن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» كما جاء فى هامش تفسير القرطبى ج ٤ ص ٢٢٦ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٣٨ وشرح الزرقانى على المواهب فى غزوة خيبر ج ٢ ص ٢٢٦ وزاد المعاد لابن القيم فى أحكام غزوة أحد «ج٢ ص ٩٧» .

بالرجل، وتشارك فى كل عمل تستطيعه لبناء المجتمع الجديد، الذى بدأ تكوينه منذ نحو سنتين، أى بعد الهجرة والجهود كلها لا بد أن تتعاون فى هذا المضمار.

(د) أن خروج المرأة كان للمساعدة فقط بالوسائل السلمية التى تستطيعها، كسقى العطاش ونقل المرضى وإسعافهم وإعداد ما يلزم للمقاتلين، ولم تكن تباشر القتال بالسلاح إلا عند الدفاع الضرورى، وكانت غزوة أحد كلها دفاعا: فالعدو هو الذى هاجم الوطن.

وقد شارك فى هذه الغزوة فاطمة بنت النبى ﷺ، وعندما أصيب جاءت بقطعة حصير من سعف النخل وحرقتها، ووضعت ترابها على الجرح « زاد المعاد ج ٢ ص ٩٥ ».

وكذلك خرجت صفية بنت عبد المطلب عمة النبى ﷺ، وأرادت أن ترى ما حدث لأخيها حمزة، فقال النبى ﷺ لابنها الزبير: دونك أمك فامنعها، لئلا يروعها ما سترى، ولكنها صممت على أن تراه لأنها سمعت أنه مثل به، فأذن لها الرسول ﷺ. ولما رأته استرجعت وقالت للزبير: قل للنبى: ما أرضانا بما كان فى سبيل الله، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.

وممن خرجن فى أحد عائشة زوج النبى ﷺ وأم سليم والدة أنس: ففى البخارى « ج ٤ ص ٤٠ » عن أنس، فى غزوة أحد وكانت سنة ثلاث من الهجرة، أنه قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم، وأنهما لمشمرتان أرى خدم – خلاخيل – سوقهما، تنقزان – تنقلان – القرب على متونهما – ظهورهما – ثم تفرغانه، أى الماء فى أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم. ورواه مسلم « ج ١٢ ص ١٨٩ » وقال النووى معلقا على هذا الحديث: وهذه الرؤية للخدم لم يكن فيها شئ، لأن هذا كان يوم أحد، قبل أمر النساء بالحجاب وتحريم النظر إليهن.

وجاء فى البخارى أيضا « ج ٤ ص ٤٠ » أن أم سليط، من نساء الأنصار،

كانت تَزْفِر القرب – تخيطها أو تحملها – يوم أحد. وقد أعطاها عمر قرطا جديدا آثَرها به على زوجته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب.

وفى هذه الغزوة أبلت أم عمارة، نَسيبة[1] بنت كعب المازنية الأنصارية. بلاء حسنا، وهى امرأة زيد بن عاصم، إذ كانت فى أول المعركة تدور بالسقاء على المسلمين ليشربوا، وبعد أن انهزموا استلت السيف وقاتلت، مدافعة عن النبى ﷺ حتى أصابها ابن قمئة بجرح أجوف له غور، فضربته ثلاث ضربات كادت تقضى عليه لولا أنه كان عليه – كما تقول هى – درعان. وقد جرحت أحد عشر مشركا. وروى أنها شهدت حنينا، وكانت تحرض المسلمين على القتال لما رأت انهزامهم وانصرافهم عن النبى ﷺ. وذكر صاحب إمتاع الأسماع «ص٤٠٨» أنها كانت مسلحة بسيف صارم، وقتلت رجلا من هوازن، وسيأتى خبر اشتراكها فى حروب الردة.

كما جاء فى «إمتاع الأسماع» ص ١٤٧: أن أم خلاد حضرت أحدا وأصيب أخوها عبد الله وابنها خلاد وزوجها عمرو بن الجموح، وحملتهم على بعير لتدفنهم فى المدينة، وقابلتها عائشة وسألتها، فقالت: أما رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده هينة.

ويقال: إن البعير استعصى عليها وهو متوجه إلى المدينة، ولما وجهته إلى أحد أسرع، فدفنهم النبى هناك. ثم قال: يا هند، ترافقوا فى الجنة. فقالت: ادع الله أن يجعلنى معهم.

وروى مسلم أيضا أن رسول الله ﷺ كان يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى، «ج ١٢ ص ١٨٨».

وكانت رفيدة الأسلمية تقوم فى غزوة الخندق بمداواة الجرحى فى خيمة أشبه ما تكون بالمستشفى العسكرى، نصبت فى المسجد النبوى، وفيها عولج سعد بن معاذ «الزرقانى على المواهب غزوة الخندق».

---

(١) تقدم ضبط اسمها بفتح النون، أما بضم النون فهى نسيبة أم عطية الأنصارية.

وهذه الصورة تبين لنا أن النسوة المسلمات سبقن بنحو اثنى عشر قرنا من الزمان « فلورنس نيتنجيل » [1] صاحبة فكرة التمريض فى الميدان، التى بدأتها فى حرب القرم سنة ١٨٥٤م التى نشبت بين بريطانيا وفرنسا وتركيا من جهة، وروسيا من جهة أخرى، حيث أقامت مستشفى فى أحد المبانى العسكرية فى « سكوتارى » بألبانيا، وكان لها بيت صغير افتتحته للتمريض فى لندن [2].

ولكن مع جواز خروج النساء لهذه المهمة كان عدمه أولى، ولا يكاد يسمح به إلا فى حالات قليلة، وذلك، كما قدمنا، خوفا عليهن. كما أن المسلم يترفع عن الاستعانة بامرأة فى موقف يبين فيه عن شجاعته وبأسه، ويدفعه إلى الثبات فيه قوة الإيمان التى تجعله كفئًا لعشرة أو أكثر من الكفار. أخرج الطبرى من طريق سفيان بن وكيع بسنده عن عائشة قالت: خرجت يوم الخندق، وكانت سنة أربع أو خمس من الهجرة، أقفوا آثار الناس. فقال عمر: إنك لجريئة، ما جاء بك؟ ما يدريك لعله يكون تجوز أو بلاء؛ فوالله ما زال يلومنى حتى وددت أن الأرض تنشق لى فأدخلها.

ولهذا المعنى اعترض المتدينون فى إسرائيل على تجنيد النساء، مبررين اعتراضهم بأن فى خروجهن تعريضا لطهارتهن للخطر « أهرام ٢٠/٩/١٩٥٢ » غير أنها خرجت للقتال بالسلاح المادى، وبأسلحتها الماضية الأخرى التى هى أشد فتكا من سلاح الرجال. وقد سبق فى ص ٤٦٢ اعتراض دريد بن الصمة على خروج النساء للحرب، وهو معنى جرى فى نفس الرجل مجرى الدم فى العروق على تطاول الأزمان، قال عمر بن أبى ربيعة، وهو المعروف بشعوره نحو المرأة، حين قتل مصعب بن الزبير عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية سنة ٦٧ هـ، وكان المختار الثقفى قد تزوجها:

---

(١) ولدت فى ٥ من مايو سنة ١٨٢٠م من أبوين من أثرياء لندن، وتوفيت سنة ١٩١٠، بعد فقد بصرها.

(٢) العربى الصغير فبراير ١٩٦٤، ١٩٧١. ومجلة العربى يونيه ١٩٧٢ ص ٧٢، وكتاب نساء شهيرات.

إن من أعجب العجائب عندى قتل بيضاء حرة عُطْبول [1]

قتلت هكذا على غير جرم إن لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

والفارعة بنت طريف بن الصلت الشيبانى الخارجى «قيل: اسمها فاطمة» لما قتل أخوها الوليد سنة ١٧٩ هـ فى خلافة هارون الرشيد، جمعت جيشا تقاتل به من قتله، وهو مزيد بن زائدة الشيبانى، فعقر فرسها وقال لها: أغربى غرب الله عينيك، قد فضحت العشيرة، فاستحيت وانصرفت، واكتفت برثاء الوليد بعدة مرثيات منها ما جاء فى إحدى القصائد:

فيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تحزن على ابن طريف

حليف الندى ما عاش يرضى به الندى فإن مات لا يرضى الندى بحليف [2]

لقد اشتدت الغيرة على النساء بعد فرض الحجاب، الذى يحد من ظهور المرأة واختلاطها بالرجال، ولم يؤذن فى القتال إلا لقلة منهن على كره، خصوصا أن المسلمين صارت فيهم شوكة لا يحتاج معها إلى النساء فى هذا الميدان، إلا عند اشتداد الأزمة، على أن خروجهن كان مع الاحتياط لصيانتهن، فكن يخرجن مع المحارم أو الرفقة المأمونة، ويباشرن الأعمال السلمية التى كان لبعضهن خبرة بها، كأم عطية التى كانت تغسل الموتى وتخفض النساء، ولها دراية بالتطبيب والخدمات العامة، وقد شاركت فى عدة غزوات [3]. تقول: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلفهم فى رحالهم، فاصنع لهم الطعام، وأداوى الجرحى، وأقوم على المرضى «مسلم ج١٢ ص ١٩٤».

وعن الربيع بنت معوذ الأنصارية قالت: كنا نغزو مع النبى ﷺ، فنسقى

---

(١) العطبول هى الجميلة الفتية الممتلئة الطويلة العنق.

(٢) أعلام النساء.

(٣) سبق أن أسمها نسيبة بنت كعب، أو بنت الحارث الأنصارية، ولها فى البخارى خمسة أحاديث. «الزبيدى وشرحه ج ١ ص ١٧٥».

القوم ونخدمهم، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة «البخارى ج ٤ ص ٤١». وقولها «إلى المدينة» دليل على أن هذه الغزوات كانت لرد الهجوم الواقع على المسلمين فى المدينة وما يقرب منها، والمرأة كانت تشترك فيه كالرجل.

وكان النبى ﷺ يصحب معه بعض نسائه فى الغزوات، لا للقتال، بل للقيام بمصالحه وللخدمة العامة إن احتيج إليها، تقول عائشة: كان النبى إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه، فأيتهن يخرج سهمها خرج بها النبى، فأقرع بيننا فى غزوة غزاها، فخرج فيها سهمى، فخرجت مع النبى بعدما أنزل الحجاب «البخارى ج ٤ ص ٤٠».

وذكر الواقدى أن أم سنان الأسلمية قالت: لما أراد النبى ﷺ الخروج إلى خيبر «سنة ٧ هـ» قلت: يا رسول الله أخرج معك أخرز السقاء، وأداوى الجرحى. فقال لها النبى ﷺ «إن لك صواحب قد أذنت لهن، فكونى مع أم سلمة» «نيل الأوطار ج ٧ ص ٢٥٣».

وفى سيرة ابن هشام «ج ٢ ص ٢٤٣» عن أمية بنت أبى الصلت عن امرأة من بنى غفار، يقال لها «ليلى»، ويقال: إنها امرأة أبى ذر [١] قالت: أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من بنى غفار، فقلنا: يا رسول الله قد أردنا الخروج معك إلى وجهك هذا، وهو يسير إلى خيبر، فنداوى الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال «على بركة الله» قالت: فخرجنا معه، وكنت جارية حدثة، فأردفنى رسول الله ﷺ على حقيبة رحله. فإذا دم منى، وكانت أول حيضة حضتها، قالت: فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله ما بى ورأى الدم قال «مالك، لعلك نفست»؟ قلت: نعم. قال «فأصلحى من نفسك، ثم خذى إناء من ماء فاطرحى فيه ملحا، ثم اغسلى ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودى إلى مركبك» قالت: فلما فتح خيبر رضخ لى من الفيء. قال: وكانت لا تطهر من

---

(١) فى مقال للدكتور على عبد الواحد وافى بمجلة «الأصالة» الجزائرية ص ١٠٥ من العدد الثانى للسنة الأولى أن اسمها: أمية بنت قيس الغفارية.

حيضة إلا جعلت فى طهورها ملحا، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت. رواه أبو داود [1].

ويتابع ابن هشام قوله فيقول: فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر رضخ لنا من الفئ، وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنقى فأعطانيها، وعلقها بيده فى عنقى. فوالله لا تفارقنى أبدا. قالت: فكانت فى عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها [2].

وكان النبى ﷺ يعطيهن من الغنيمة نصيبا، لكنه لا يساوى نصيب الرجال، ويسمى ذلك رضخا لا إسهاما. فقد سأل نجدة بن عامر الحرورى ابن عباس رضى الله عنهما عما إذا كان الرسول ﷺ يغزو بالنساء، ويضرب لهن سهما. فكتب إليه: أن النبى ﷺ كان يغزو بهن، فيداوين الجرحى، ويحذين، أى يعطين، من الغنيمة، وأما بسهم فلم يضرب لهن «مسلم ج ٢ ص ١٩٠» وتقول أم عطية، كنا نغزو مع النبى ﷺ فنداوى الجرحى، ونمرض المرضى، ويرضخ لنا من المغنم «ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٩».

وفى شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٣٧ فى قتال بنى قريظة: أن النبى ﷺ أعطى من الغنائم صفية بنت عبد المطلب، وأم عمارة، وأم سليط، وأم العلاء، وأم سعد بن معاذ، والسميراء بنت قيس. حضرن ولم يسهم لهن.

ومع خروجهن فى الغزو كن يتسلحن للدفاع عن أنفسهن عند الخطر. روى مسلم وغيره عن أنس قال: اتخذت أم سليم «والدته» خنجرا عام حنين «سنة ٨ هـ»

---

(١) حسن الأسوة.

(٢) إن تقليد النبى ﷺ لهذه المرأة بالقلادة أصل لتقليد القادة والحكام، الأنواط والنياشين والأوسمة وغيرها لمن يريدون تكريمهم لأى معنى من المعانى، وليست هناك شبهة سوء لتقليده إياها، مما قد يظن عند مباشرة الرجال لهذا العمل مع النساء أو النساء مع الرجال. فإن الأدب كان متوافرا، والأغراض الدنيئة كانت مأمونة، كما أن فى إرداف النبى لفتاة خلفه دليل تكريم ومساعدة، وهو إن جاز للنبى ﷺ، لأن الآثار السيئة مأمونة، فلا أراه يجوز لغيره ممن ليس فى عصمته وأدبه وعفته، كما أنه كان فى جمع من الناس وعلى مرأى منهم ولا يظن مع ذلك سوء.

وكان معها فقال أبو طلحة: ما هذا؟ قالت: إن دنا منى بعض المشركين أبعج بطنه. فقال أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم؟ فضحك ﷺ. فقالت: يا رسول الله أقتل الطلقاء، انهزموا عنك، فقال «إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم» صحيح مسلم شرح النووى ج ١٢ ص ١٨٧.

والمرأة ما دامت متعرضة للخطر وجب عليها أن تتسلح للدفاع عن نفسها، والعدو إذا هاجم كان للإنسان أن يتخذ أية وسيلة يقاوم بها الهجوم. ورد أن صفية بنت عبد المطلب كانت فى حصن حسان بن ثابت يوم الخندق، فطلبت منه أن يقتل يهوديا كان يطوف متجسسا حول حصنهم، فأبى، وكان عنده خوف، فأخذت هى عمودا، ونزلت من الحصن، فضربت به اليهودى حتى قتلته «الزرقانى ج ٢ ص ١١٢».

قال فى الروض الأنف - كما نقله الزرقانى - محمل هذا الحديث على أن حسان كان جبانا شديد الجبن. وأنكره بعض العلماء، منهم ابن عبد البر فى «الدرر» لأنه حديث منقطع الإسناد، ولو صح لهجى به حسان، فإنه كان يهاجى الشعراء، كضرار وابن الزهراء، وكانوا يناقضونه ويردون عليه، فما عيره أحد منهم بجبن، ولا وسمه به. فدل ذلك على ضعف حديث ابن إسحاق، وإن صح فالأولى أنه كان معتلا ذلك اليوم بعلة تمنعه من شهود القتال. اهـ.

يقول الزرقانى عقب ذلك. وإنما كان أولى لأن ابن إسحاق لم ينفرد به، بل جاء بسند حسن متصل كما علم، فاعتضد حديثه. وقد قال ابن السراج: سكوت الشعراء عن تعييره بذلك من أعلام النبوة، لأنه شاعره ﷺ.

ومما يدل على كراهة النبى ﷺ لخروج النساء إلى الغزو وخوفه عليهن من السوء ما رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن أبى عاصم عن حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة خيبر ست نسوة، فبلغ النبى أن معه نساء، فأرسل النبى ﷺ فدعانا، فرأينا فى وجهه الغضب. قال «ما أخرجكن، وبأمر من خرجتن»؟ قلنا: خرجنا نناول السهام، ونسقى السويق،

ومعنا دواء للجرحى، ونغزل الشعر، فنعين به فى سبيل الله. قال «فمرن» فانصرفن [1]. وقد حكم العلماء بضعف هذا الحديث لأن حشرج مجهول. وإن صح فإن إنكار النبى عليهن كان لعدم الاستئذان. وجاء فى كتاب «حسن الأسوة» ص ١٢٦، ١٢٧: أن النبى ﷺ قال لهن «أقمن إذن» فلما فتح الله تعالى خيبر أسهم لنا، كما أسهم للرجل. قال: فقلت: يا جدة ما كان ذلك؟ قالت: تمرا. قال الخطابى إسناده ضعيف لا تقوم به حجة، وقد حمل السهم هنا على الرضخ، جمعا بين الأحاديث، وبه قال الجمهور.

وكان من الخارجات فى الغزو: أم حكيم، وتعرف بأم حكيم بنت الزبير بن عبد المطلب، أخت ضباعة. وأم رمثة، بحينة بنت الحارث، حمنة بنت أبى طالب، حمنة بنت جحش، أم الزبير، ضباعة بنت الزبير، أم طالب، أم حبيب بنت جحش، عاتكة بنت عبد المطلب، كانت مع ابنها عبد الله بن أمية المخزومى فى حصار الطائف سنة ٨ هـ، واستشهدت ضمن ١٢ رجلا من المسلمين «ابن الأثير ج ٢ ص ١٨٢».

وجاء فى الإصابة لابن حجر «ج ٨ ص ٢٧٠» وطبقات ابن سعد «ج ٨ ص ٣٠٨»: أن أم كبشة القضاعية قالت: يا رسول الله ائذن لى فى أن أخرج فى جيش كذا وكذا، وكان ذلك فى حنين، قال «لا» قالت: يا رسول الله إنى لست أريد أن أقاتل، إنما أريد أن أداوى الجرحى والمرضى، وأسقى الماء. قال «لولا أن تكون سنة، ويقال: فلانة خرجت لأذنت لك، ولكن اجلسى» أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة والطبرانى وغيرهما من طريق الأسود بن قيس عن سعد بن عمر القرشى. قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح «المطالب العالية ج٢ ص ١٦٩».

وقد ذكر القسطلانى فى هذا الحديث فى شرحه للبخارى فى باب خروج

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٢٠٤، ٢٠٥ والإصابة لابن حجر ج ٥ ص ٤٥٤ والفتح الربانى ج ١٤ ص ٥٣ وأبو داود ج ٢ ص ٦٨.

النساء فى الغزو « كتاب الجهاد » وفى رواية لابن سعد عن ابن أبى شيبة أنه قال « اجلسى لا يتحدث الناس أن محمدا يغزو بامرأة » وعلق عليه ابن حجر فى « الإصابة » بأن عدم الإذن كان ناسخا للإذن، ولم يرتضه بعض الناس.

وموقف النبى ﷺ، وهو فى حنين سنة ٨ هـ، من أم كبشة (امرأة من عذرة كما فى المطالب العالية ج ٢ ص ١٦٩) هذا الموقف وتعليله لمنعها يدل على عدم رضاه عن خروج المرأة مع المجاهدين، خصوصا بعد أن نصر الله الإسلام على أكبر قوة كانت تناوئه فى الجزيرة العربية، وذلك بفتح مكة مركز تدبير المؤامرات ضد الدعوة، فلم يعد هناك مكان للمرأة فى الميدان المكشوف، وجهادها فى الجبهة الداخلية يعدل جهاد الرجل فى هذا الميدان.

وتأكد عدم رضاه عن خروجهن للغزو فى السنوات الأخيرة التى فرض فيها الحج، وكان سنة تسع على المشهور، بعد فتح مكة، ولم يجب عائشة لطلبها حين سألته عن الجهاد كما سبق. ولذلك رأى بعض المحققين أن الإذن بخروجهن للغزو قد نسخ بحديث عائشة فى الجهاد والحج، وبحديث أم كبشة.

وممن رأى ذلك ابن حجر، حيث قال فى الإصابة تعليقا على حديث أم كبشة، ويمكن الجمع بين هذا وبين ما تقدم فى ترجمة أم سنان الأسلمية بأن هذا ناسخ لذاك. لأن ذلك كان بخيبر، وقد وقع قبله مثله فى أحد، كما فى الصحيح من حديث البراء بن عازب، وهذا كان بعد الفتح فى حنين « ج٤ ص ٤٩٧ ».

ورأى البعض إبقاء خروجهن على الجواز، مع الاشتراطات والاحتياطات المقررة، على أن عدمه أولى، ولا يسمح به إلا فى حالات فردية، أو لحاجة ملحة.

هذا، ولم يعرف بعد ذلك أن النبى ﷺ أذن لامرأة بالخروج مع الغزاة اللهم إلا لأم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، توفيت ودفنت فى قبرص سنة ٢٧ أو ٢٩ هـ، وهى أخت أم سليم، التى كانت تخرج مع النبى ﷺ، فقد دعا لها – أم حرام – أن يجعلها الله من الغزاة الذين يركبون البحر كالملوك على

الأسرة. فركبت البحر مع زوجها عبادة بن الصامت، فى زمن معاوية، إلى قبرص، ثم وقعت من فوق دابة فماتت «مسلم ج ١٣ ص ٥٧ وما بعدها».

وكان إذن أبى بكر رضى الله عنه للسيدة نسيبة بالاشتراك فى حرب مسيلمة للوفاء بنذرها، ولكبر سنها، فقد ورد أنه قال لها: ما مثلك يحال بينه وبين الخروج، قد عرفناك وعرفنا جراءتك فى الحرب، فاخرجى على اسم الله.

وذلك أن النبى ﷺ كان قد بعث ابنها حبيب بن زيد بن عاصم إلى مسيلمة الكذاب برسالة منه، فأوثقه وقطعه عضوا عضوا حتى مات، دون أن يرجع عن دينه، فنذرت أمه أن تشهد مقتل مسيلمة، ولما سار جيش خليفة الرسول إلى بنى حنيفة خرج معه عبد الله بن زيد بن عاصم، ومعه أمه أم عمارة نسيبة، مخدرة فى هودجها، ومع ذلك أصيبت باثنى عشر جرحا، وقطع ذراعها «ابن هشام ج١ ص ٢٧٥، ٢٨٣».

ولا يعتد بمن خرجن بعد النبى ﷺ للقتال، فعملهن أولا ليس بتشريع، وثانيا كن يلتزمن الحجاب، وثالثا كن يخرجن مع المحارم أو الرفقة المأمونة، ورابعا كان عملهن قاصرا على الخدمات والأمور السلمية، ولم يباشرن القتال بالسلاح إلا عند الضرورة، كدفاع عن النفس أو تخليص أسير، أو ما شاكل ذلك. ومن حوادث خروجهن للقتال ما يأتى:

١ - ذات العقال:

هى زوجة أحد الشهداء فى معركة «مؤتة» التى وقعت فى حياة النبى ﷺ. وقد طلبت من أسامة بن زيد أن تنضم إلى جيشه الذى عقد له الرسول ﷺ لواءه قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى. وقالت له: لعل الله أن يكتبنى فى سجل الشهداء، فألحق بزوجى وألقاه، فقال لها أسامة: عودى إلى دارك، والزمى خدرك، بارك الله فيك. فلدينا من الأبطال ما يبلغنا النصر إن شاء الله، ولسنا فى حاجة إلى النساء. فحسرت عن رأسها، وجزت ضفيرتيها الطويلتين، وألقت بهما قائلة: خذ هاتين، اعقل بهما مطيتك، وستعرف غدا أى امرأة أنا. ومن هنا سميت: ذات العقال.

وبعد أن غابت لم تمض ساعة حتى أرسلت ابنها الشاب إلى أسامة، طالبا أن ينضم إلى الجيش ليلحق بأبيه، فأراد أن يرده، ولما عرف أنه ابن ذات العقال قبله. ولما تحرك الجيش بأمر أبى بكر، وسار نحو يوم، لمح القائد على الميمنة فارسا يمتشق حساما، ويركب جوادا أدهم يعدو به حذاء الجيش، ولما عرفها أسامة رغب إليها أن تكون فى مؤخرة الجيش، فأبت إلا أن تكون فى الطليعة، ووافق على جعلها فى الميمنة بعد أن عرف خبرتها الحربية.

وقد استشهد ابنها فى المعركة، وأما هى فقد أبلت بلاء حسنا، واشتبكت مع أحد فرسان العدو ويقال له «طلحة» وأطاحت برأسه، وواصلت القتال إلى نهاية المعركة.

٢ - عائشة يوم الجمل:

خرجت السيدة عائشة بعد مقتل عثمان تشارك فى المعركة التى عرفت بيوم الجمل، ولم يكن خروجها فى الحقيقة جهادا فى سبيل الله، فقد علمت جواب الرسول لها وهى تسأله عن الجهاد، بل كان تدخلا فى سياسة الدولة، ومطالبة بدم عثمان.

وقد جاء فى تفسير القرطبى «ج ١٤ ص ١٨١»: أنها لم تخرج للحرب، بل للصلح، بعد إلحاح الناس عليها، نزولا على قوله تعالى: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [النساء: ١١٤]، وقوله: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** ﴾ [الحجرات: ٩] ومع هذا فقد كانت محجبة.

على أن خروجها كان باجتهاد منها، وكانت مخطئة فيه. ولهذا لم يوافقها على الخروج بعض أزواج النبى ﷺ. فقد ورد أن أم سلمة رضى الله عنها أرسلت إليها كتابا جاء فيه: قد علم رسول الله ﷺ مكانك لو أراد أن يعهد إليك، وقد علمت أن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن انصدع «العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٦». وفى بعض الروايات: جهاد النساء غض الأطراف وضم

الذيول .. وأقسم لو قيل لى: يا أم سلمة ادخلى الجنة لاستحييت أن ألقى رسول الله ﷺ هاتكة حجابا ضربه على. وكذلك لم يوافقها كثير من الصحابة، كعبد الله بن عمر، وسعيد بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وأبو الأسود الدؤلى، وجارية بن قدامة الذى قال لها: لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، إنه كانت لك من الله حرمة وستر، فهتكت سترك، وأبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك فقد رأى قتلك، فإن كنت يا أم المؤمنين خرجت مستكرهة فاستعتبى الله «المصدر السابق».

يقول الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى: أخرج عمر بن شبة من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن: أن عائشة أرسلت إلى أبى بكرة تدعوه إلى الخروج معها، فقال: إنك لأم، وإن حقك لعظيم، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يفلح قوم تملكهم امرأة» ولم يخرج معها أبو بكرة.

وقد كتب إليها على يلومها على خروجها قبل أن يلتقى الجيشان، وروى أنها ندمت وقالت: ليت كان لى من الرسول بنون عشرة وثكلتهم ولم يكن يوم الجمل. وكانت تبكى عندما يخوض الناس فى حديث الجمل حتى تبل خمارها.

وأخرج أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه ابن حيان، وسنده على شرط الصحيح: أن قيس بن أبى عاصم قال: لما أقبلت عائشة فنزلت ببعض مياه بنى عامر نبحت عليها الكلاب، فقالت: أى ماء هذا؟ فقالوا: الحوأب. فقالت: ما أظننى إلا راجعة. فقال لها بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم. فقالت: إن النبى ﷺ قال لنا ذات يوم «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب»؟ وورد من طريق عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لنسائه «أيتكن صاحبة الجمل الأدبب أى ذى الشعر الكثير، تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة، وتنجو بعد ما كادت» رواه البزار وابن أبى شيبة بسند رجاله ثقات «المطالب العالية ج ٤ ص ٢٩٧».

وأخرج أحمد والبزار بسند حسن من حديث أبى رافع أن رسول الله ﷺ قال لعلى بن أبى طالب «إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر» قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال «لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها».

وروى الطبرانى بسند صحيح عن أبى يزيد المدينى قال: قال عمار بن ياسر لعائشة، لما فرغوا من الجمل، ما أبعد هذا المسير من العهد الذى عهد إليكن!! يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فقالت: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قالت: والله إنك ما علمت لقوال بالحق، قال: الحمد لله الذى قضى لى على لسانك [1] .. فهى تعترف بخطئها، وتقر عمارا على إنكار صنيعها [2].

٣ - النساء فى صفين:

معركة صفين كانت بين على ومعاوية، أو بين جيش العراق وجيش الشام، أو بين بيتين كانا يتنافسان السيادة فى الجاهلية. وقد خرجت فيها بعض النسوة لتشجيع المقاتلين على المعهود عندهم من قبل، وأكثر من ذكر التاريخ اشتراكهن فى المعركة كن فى صف على. ومنهن أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية، والزرقاء بنت عدى الهمدانية، وعكرشة بنت الأطرش وغيرهن ممن ذكرتهن كتب الأدب والتاريخ فى الوافدات على معاوية، كأروى بنت الحارث بن عبد المطلب وغيرها «العقد الفريد وثمرات الأوراق لابن حجة».

٤ - نساء فى الفتوح الإسلامية:

لقد شاركت بعض النساء فى الفتوح الإسلامية الأولى. ففى الشام حضرت معركة اليرموك: هند بنت عتبة، زوجة أبى سفيان، ومعها جويرية بنته مع زوجها. وكانتا تثيران الحماس فى نفوس المجاهدين. تقابل معهما أبو عبيدة وحثهما على ما هما فيه.

---

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره ج ١٤ ص ١٧٩.

(٢) هذه الأحاديث من بيان لجنة الفتوى بالأزهر عن حكم الشريعة الإسلامية فى اشتراك المرأة فى الانتخاب للبرلمان، الصادر فى يونيه ١٩٥٢م.

وكذلك حضرت اليرموك: أم عبد الله بنت يزيد الكلبية مع زوجها حبيب [1]. وأم موسى اللخمية زوج نصير اللخمي ووالدة موسى بن نصير، وقتلت أحد الروم وأخذت سلبه، وكان عبد العزيز بن مروان يستحكيها ذلك، فتقول: كنت في جماعة من النساء، فأبصرت علجا «روميا» يجر رجلا من المسلمين، فأخذت عمود الفسطاط «الخيمة» فشدخت رأسه، وأعانني الرجل على سلبه. «الإصابة لابن حجر ج ٨ ص ٢٨٥، وأعلام النساء ج ٢ ص ١٥٠٨».

ومنهن أسماء بنت أبي بكر مع زوجها الزبير، وكان معها خنجر من سعيد ابن العاص، في الفتنة، لتبقر به بطن من يدخل عليها.

وكذلك أم حبيبة بنت العاص القرشية، كانت تحض الرجال على القتال لما شد طرف الروم على عمرو بن العاص، فانكشف هو وأصحابه، فنزلت النساء من التل يضربن وجوه الرجال بالعُمُد [2] ومنهن أسماء بنت يزيد بن السكن، وهي بنت عم معاذ بن جبل، قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاط، كما في الإصابة لابن حجر، أخرجه الطبراني عن مهاجر، وقال الهيثمي (ج ٩ ص٢٦٠): ورجاله ثقات «حياة الصحابة ج ١ ص ٥٨٢».

ومنهن أم حكيم بنت الحارث مع زوجها خالد بن سعيد، وجاء في سيرة ابن هشام «ج ٢ ص ٢٧٨»: أنها كانت زوجة لعكرمة بن أبي جهل، فلما استشهد خطبها خالد، فلما أراد البناء بها وجموع الروم قد احتشدت، قالت: لو أمهلت حتى يفض الله جمعهم!! قال: إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم، فقالت: دونك. فابتنى بها. فلما أصبح التقت الجموع فقتل، وقاتلت أم حكيم يومئذ وعليها الخلوق، وقتلت سبعة من الروم بعمود من الفسطاط بقنطرة تسمى إلى اليوم بقنطرة أم حكيم، وذلك في موقعة أجنادين.

---

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٣٨٤.

(٢) أعلام النساء لعمر كحالة.

وشاركت خولة بنت الأزور الكندى وجماعة من نساء قريش فى حرب أجنادين أيضا مع خالد بن الوليد، وقد أبلت بلاء حسنا لاستخلاص أخيها ضرار من الأسر، ولم يكن يعرفها أحد لأنها كانت ملثمة، حتى ظن بعضهم، من شدة بأسها، أنها خالد. وقد أسرت بعد ذلك هى وزميلاتها، فشرن على الحراس، وضربنهم بأعمد الخيام حتى نجون وهن ينشدن:

نحن بنات تبع وحمير وضربنا فى القوم ليس ينكر لأننا فى الحرب نار تسعر اليوم تسقون العذاب الأكبر

وفى فارس حضرت فتوحها جماعة من النساء منهن: خزانة بنت خالد بن جعفر، مع سعد بن أبى وقاص. وتقول أم كثير، امرأة همام بن الحرث (١) «الحارث» النخعى: شهدنا القادسية مع سعد بن أبى وقاص وأزواجنا، فلما أتانا أنه فزع شددنا علينا ثيابنا، وأخذنا الهراوى، ثم أتينا القتلى. فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه، وما كان من المشركين أجهزنا عليه، وتبعنا الصبيان نوليهم ذلك، ونصرفهم فيه. وكانت سلمى بنت حصفة زوجة سعد بن أبى وقاص معه فى حروب فارس، وكانت من قبله تحت زوجها المثنى بن حارثة بطل حروب الردة وفارس. وهى التى فكت وثاق أبى محجن الثقفى عندما قيده سعد، وعاد بعد بلاء عظيم فى الحرب توفيت سنة ٦٠ هـ. ومعنى فزع استغاث، يقال فزع إلى ففزعته، أى استغاث فأغثته.

ومنهن أروى بنت الحرث بن كلدة، وذكرت فى بعض الكتب باسم «أزدة». وقد شجعت النساء على الخروج للغزو مع المغيرة بن شعبة ضد أهل «ميسان» وهى كورة واسعة بين البصرة وواسط، خرجت بهن حاملات للرايات التى اتخذنها من خمرهن، وهن يهتفن – على عادة العرب الأولى:

يا ناصر الإسلام صفا بعد صف إن تهزموا أو تدبروا عنا نخف
أو يقلبوكم يغمزوا فينا القلف

---

(١) الحارث أيضا تكتب بدون ألف: الحرث.

أى ينتهكوا أعراضنا. فخاف المشركون من جموعهن وظنوها مددا، فانهزموا.

وقيل: كانت عند عتبة بن غزوان الذى قاتل أهل الفرات لما استعمله عمر، فكانت امرأته «أزدة» تحرض الناس على القتال وتقول: إن يهزموكم يولجوا فينا القلف (١).

تقول الروايات: لقد استعدت القبائل بكل ما تستطيعه فى غزوة القادسية، حتى خرج النساء كلهن، فكان من قبيلة النخع سبعمائة لا أزواج لهن، ومن قبيلة بجيلة مائة أو ألف، تزوجن جميعا فى هذه الحرب، وكانت النخع تسمى أصهار المهاجرين.

ومعروف أن الخنساء شهدت موقعة القادسية، وشجعت أولادها على القتال، فاستشهدوا، فلم تجزع وطلبت من الله أن يلحقها بهم فى مستقر رحمته. وكذلك جاء فى كتب التاريخ أن صالح بن على، والعباس بن محمد كانا فى غزو بلاد الروم سنة ١٣٩ هـ، وكان مع صالح أختاه أم عيسى ولبابة (٢).

ونساء الخوارج معروفات بشدة البأس والخروج مع الرجال فى المعارك، يحكى عن شبيب الخارجى أنه كان يقود فرقة تضم مائة وخمسين امرأة مسلحة بالسيوف والرماح، وإن كان خروجهن للثورة، لا للجهاد والفتوح الإسلامية. ومن الشهيرات منهن أم شبيب الخارجى، التى اتخذت لقب خليفة، وقدمت لها الفرقة الشبيبية الطاعة. ومنهن غزالة التى ولدت فى الموصل بالعراق وعشقت الفروسية وحاربت مع شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى، وتزوجته، ووقفت معه ضد عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ هـ أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى على

---

(١) تاريخ الطبرى، وفتوح البلدان للبلاذرى، ومعجم البلدان لياقوت وأعلام النساء والقلف جمع قلفة وهى رأس الذكر.

(٢) تاريخ التربية لأحمد شلبى.

العراق، واستمرت تقاتل معه شهرا كاملا، حتى أن الحجاج فر من وجهها خشية أن تهزمه فيلحقه العار، وذمه عمران بن حطان بقوله:

أسد على وفى الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر

وانتهت غزالة على يد خالد بن عتاب الرياحى فى معركة على أبواب الكوفة قبيل غرق زوجها، بعد أن خطبت الناس وصلت صلاة الصبح «ابن خلكان». وكذلك كانت منهن «بلجاء» الشهيرة فى العلم واللاهوت (١).

هذه صور من اشتراك المرأة المسلمة فى القتال، وهذا هو حكم الإسلام فى ذلك، وهو يتلخص فى أن الجهاد المسلح لم يفرض عليها إلا عند الهجوم علينا، وأن خروجها قبل فرض الحجاب كان مأذونا فيه لممارسة الأعمال التى تناسبها، وبعد الحجاب قل الإذن لهن جدا، مع الحفاظ على الحجاب، والخروج مع المحارم أو الرفقة المأمونة، ومع ذلك كان خروجهن غير مرغوب فيه. وبعد أن فتحت مكة، وقويت شوكة الإسلام، وفرض الحج الذى مهد طريقه منع الإذن لهن أو ندر، فلم يعرف إلا فى حالات فردية لها اعتبارات خاصة، وإن ما حدث من خروجهن بعد الرسول ﷺ لا يعد تشريعا.

هذا. وإذا قلنا بعدم وجوب الجهاد بالنفس على المرأة فى غير الضرورة فلا يمنع ذلك أن تشترك فيه بغير النفس كالرأى والمال، فلن يترتب على ذلك ضرر، بل فيه فائدة، وكان النساء فى التبرع بما استطعن يضربن أروع المثل، وقد سبق فى ص ٤٧٤ ما تبرعت به ذات العقال، وجاء فى «صفة الصفوة» لابن الجوزى ج ٤ ص ١٧٠: أن الروم سبوا نساء مسلمات. فبلغ ذلك هرون الرشيد، وكان بالرقة، فقام منصور بن عمار يحرض الناس على الغزو، على مقربة من هارون، فطرحت إليه صرة مختومة، فيها كتاب يقول: إنى امرأة من أهل بيوتات العرب، بلغنى

---

(١) الوعى الإسلامى عدد مايو ١٩٥٦ بقلم إيلى سالم.

ما تحرض به على حرب الروم، فعمدت إلى أكرم شئ فى بدنى، وهما ذؤابتاى، فقطعتهما وصررتهما فى هذه الخرقة، وأنشدك الله لما جعلتهما قيد فرس غاز فى سبيل الله، فبكى منصور وأبكى الناس، وأمر هارون بالنفر لحرب العدو.

وما دام للمرأة اشتراك ما فى الحرب وقد تلجأ إلى حمل السلاح، فإن تدريب الفتاة على فنون القتال إلى جانب تدريبها على التمريض وما يلزم للمعركة أمر لا بأس به أبدا، وذلك للحاجة إليه، وبخاصة عند الهجوم علينا، والوطن الإسلامى كله معرض للخطر، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة: ٢١٧] على أن تكون الفتاة فى حشمة وأدب، مراقبة لله الذى لا ينصر فى المعركة إلا المتقين ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٧]. وقد حذر عمر رضى الله عنه فى وصيته لسعد بن أبى وقاص من المعصية عند الجهاد، لأنها أخطر على الجند من عدوهم، ولا يليق بمن هو فى سبيل الله أن يطلب النصر بمعصية الله.

وكان بعض النساء فى العصر الحديث يتطوعن للقيام بأعمال تخدم المعركة، ولكن بدون دراية لفنون القتال، قانعات برتب وملابس عسكرية مغرية، يستعرضن بها جمالهن، فكانت الفتنة بهن شديدة، والذى تطوعن من أجله لم يلق الاهتمام منهن كما اهتممن بالناحية المظهرية. على أنهن فى ذلك الوقت لم تكن الحاجة إليهن ماسة، فالرجال كثيرون، والمدربون فيهم الكفاية، ولكنه التقليد الذى يعمى ويصم، أو الشهوة التى لا تأبه بالآداب والتقاليد.

٤ – ومن التشريعات التى جاءت مبنية على أساس الفوارق بين الرجل والمرأة ما يأتى، وسأغفل الدليل عليها إلا قليلا منها حتى لا يطول الحديث، مع التنبيه على أن بعضها فيه خلاف فقهى يرجع إليه فى مظانه:

١ – لا تؤذن المرأة للرجال ولا تؤمهم فى الصلاة. روى أبو داود والحاكم وابن خزيمة وصححه: أن النبى ﷺ جعل لأم ورقة مؤذنا، وأباح لها أن تؤم أهل

بيتها[1]. وهذا خاص بنساء أهل بيتها، وروى ابن ماجه عن جابر أنه سمع النبى ﷺ على المنبر يقول: «لا تؤمن امرأة رجلا، لا فاجرا ولا مؤمنا».

٢ ـ ليس عليها جمعة ولا جماعة، ولكن يصح أن تصلى الجمعة وتغنى عن الظهر، كما يصح لها أن تصلى جماعة أى مأمومة، أما أن تكون إماما فذلك للنساء خاصة، ومنعه بعض الأئمة مطلقا. وقد كانت نساء الصحابة يصلين خلف الرسول جماعة وذلك معروف.

٣ ـ لها عورة خاصة غير عورة الرجل، فى الصلاة وفى غيرها، على التفصيل الذى تقدم فى هذا الجزء.

٤ ـ إذا نابها شئ فى الصلاة تصفق ولا تسبح كما يسبح الرجل، ودليله ما مر فى ص ١٦٣.

٥ ـ لها إحرام خاص فى الحج بملابسها، محافظة على عورتها، وقد مر ذلك فى ص ٩٦ وما بعدها.

٦ ـ لا تبدأ الرجل بالسلام، ولا تشمت عاطسا كما مر فى ص ١٦٥، ١٦٦.

٧ ـ عليها أن تطيع زوجها، وليس عليه أن يطيعها، تطبيقا لمبدأ قوامته عليها، وإن كانت المعاشرة بالمعروف تقتضى مشاورتها فى بعض ما تقوم عليه سياسة المنزل بنوع خاص، وإطاعتها فى مشورة معقولة تحقق الخير. جاء فى الحديث «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» رواه الترمذى عن أبى هريرة، وقال: حسن صحيح. وروى الحاكم والبزار بإسناد

---

(١) هى أم ورقة بنت عبد الله الحارث. كان رسول الله يزورها ويسميها الشهيدة، لأنها طلبت الخروج معه فى بعض الغزوات لمداواة الجرحى، فقال لها: إن الله مهد لك شهادة، وقد غمها غلام لها وجارية كانت دبرتهما، أى علقت عتقهما على موتها، فقتلاها فى خلافة عمر، وهربا، فأتى بهما عمر فصلبهما، فكانا أول مصلوبين فى المدينة، وقال عمر: صدق رسول الله، كان يقول: انطلقوا بنا نزور الشهيدة.

حسن عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ: أى الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال «زوجها» قلت: وأى الناس أعظم حقا على الرجل؟ قال «أمه». فلو كان عليه أن يطيع زوجته لأرشد إليه، لكنه أرشد إلى طاعة الأم، ولا يقال: إن ذلك حديث عن الأولوية أما أصل الطاعة فمسكوت عنه، لأن قوامة الرجل عليها تفرض طاعتها إياه.

٨ – لا يجوز لها السفر وحدها، على ما مر تفصيله فى ص ٢٥٥.

٩ – شهادتها على النصف من شهادة الرجل، وعدم قبول شهادتها فى بعض الأمور، كما سيأتى تفصيله.

١٠ – اشتراط الولى عند زواجها، على ما مر بيانه فى موضعه من الجزء الأول.

١١ – الطلاق بيد الرجل لا بيدها، على ما هو مقرر فى بحث الطلاق.

١٢ – النسب للرجل لا لها، على التفصيل المذكور فى الجزء الرابع من هذه الموسوعة.

١٣ – تحد هى على زوجها، ولا يحد هو عليها، على توضيح مذكور فى بحث الطلاق. وكذلك أمر العدة.

١٤– عدم خروجها من البيت إلا بإذنه، ولا يشترط لخروجه هو أن يستأذنها. انظر ص ٢٤٣.

١٥ – لا تتزوج المرأة أكثر من رجل واحد فى وقت واحد، أما الرجل فله التعدد، كما هو مفصل فى موضعه.

١٦ – يباح لها التحلى بالذهب والحرير بخلاف الرجل، على ما مر فى الجزء الأول.

وهناك أمور أخرى ذكرها صديق حسن خان فى كتابه حسن الأسوة، أكثرها مبنى على تفريعات فقهية فيها خلاف بين المذاهب لا داعى لذكرها هنا،

وما ذكرته فهو نماذج كافية فى المقارنة بين الرجل والمرأة فى التشريع الذى جاء على أساس الفوارق بينهما.

٥ – هذا، وإذا كان الباحثون الاجتماعيون يقررون الواقع، وهو الفرق بين الرجل والمرأة فى الاستعدادات والمواهب، وبالتالى فى الآثار المترتبة عليها، فإن هذا الحكم هو للمجموع لا للجميع، أو للأغلب من الجنسين، وهذا لا ينفى أن تكون هناك استثناءات فى كل منهما، فقد تكون هناك امرأة أقوى عقلا ونفسا وجسما من الرجل، كما يقول المتنبى:

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

غير أن هذه الاستثناءات، كما يقول الكاتبون، دليل صدق القاعدة العامة، على أن التفوق فيهن إذا بحثت حقيقته يرجع فى الغالب إلى ما تفوقن فيه من مواهب هن جديرات بها. يقول العقاد عن «مدام كورى» مكتشفة الراديوم [١]: إن نبوغها أمر شاذ، وهذا الشذوذ يؤيد القاعدة العامة ولا ينقضها، ومع ذلك فهى مكتشفة لا مخترعة، والاكتشاف حدث كثيرا بمصادفة لا غير. أما الاختراع والابتكار فهو من عمل الرجال فى جميع عصور التاريخ يحتاج إلى قريحة وعارضة قوية وخيال جبار، أما الاكتشاف فهو مشاهدة لحادثة ومراقبة تطورها، فهو عمل الحس لا الفكر الباطنى الاختراعى.

ثم يقول: بل الفرق بين الجنسين حتى فى «الطيبة» التى يظن أنها نسوية، ومن شواهدها عطف الرجل على أبناء زوجته من رجل آخر، دون عطفها على أبنائه من زوجة أخرى، فإن ٩٠٪ من هذه الظاهرة الرجل فيها أطيب من المرأة.

ويقول أيضا فى مجلة «الكاتب يوليه ١٩٥١» فى بيان أن الرجل له المنزلة الأولى على المرأة فى كل العصور، إن استبداده بها دليل على قوة جسمه وعقله،

---

(١) ١٨٦٧ – ١٩٣٤ م.

ودليل عجزها عن حياة المجتمع يوم أن كان محدود المزايا والكفايات، فكيف تستطيع أن تقود المجتمع العصرى المعقد المتشعب، الذى تعذر على الرجال، بله النساء؟.

ويقول أيضا: إنها فى كل عمل تتولاه تقصر عن شأو الرجل فيه. حتى فى الأعمال الخاصة بالنساء كالطبخ والتزيين والغناء لو وكلت هذه الأعمال إليه، كما يقول: إن عدم نبوغها لا ينبغى أن يعزى إلى قسوة الرجال عليهن. فإن الشدة عليهن لم تبلغ مبلغ شدة السادة على العبيد. ومع هذا نبغ منهم فى كل أمة عدد لا بأس به، لم تلحقهم فيه النساء (١).

٦ – إن المساواة التى تطالب بها المرأة قد نعى عليها العقلاء، وذلك من واقع التجارب المريرة التى مرت بالمجتمعات المنكوبة بشيوع روح المساواة بين الجنسين بغير تعقل. تقول الكاتبة «لا ثي ماتن»: إن النساء أعداء أنفسهن بطلبهن المساواة بالرجال. فما بالك بمن تعتقد أنها أفضل من الرجل؟ ولا يستطيع أحد أن يحدث النساء حديثا إلا حولن موضوعه العام إلى موضوع خاص بهن. فإذا قال رجل لامرأة مثلا: إن جسم الذكر أقرب إلى معانى الجمال من جسم المرأة أخذت تصيح قائلة إنى آسفة لأنك لا تحب شكلى وقوامى، فالمرأة لا يمكن أن يتحدث معها فى موضوع دون أن تخرج عنه لما هو عائد عليها. ومن تكون كذلك كيف يمكن أن تصدق فى دعواها المساواة؟.

---

(١) من النابغات فى التاريخ الحديث «هيلين كيلر». ولدت فى ٢٧ يونيه ١٨٨٠م بولاية «ألاباما» الأمريكية، وهى بكماء، وأصيبت فى الشهر التاسع عشر من عمرها بالحمى القرمزية التى فقدت بها حواس السمع والبصر والشم، وتولت رعايتها وتعليمها الآنسة «آن سوليفان» فتعلمت القراءة والكتابة والكلام واستعمال الآلة الكاتبة وهى فى الثامنة من عمرها. والتحقت سنة ١٩٠٠م بكلية «راد كليف» فحصلت على إجازتها العلمية بمرتبة الشرف عام ١٩٠٤م. وتعلمت أكثر من لغة، وحصلت على قدر كبير من الثقافة، ووضعت عدة كتب فى الفلسفة والآداب، وتوفيت فى أول يونية ١٩٦٨م عن ٨٨ عاما «الأهرام ٣/٨/١٩٦٨».

وهذا النبوغ ليس نبوغ جنس، بل هو من أكبر المعجزات أو الأمور الغريبة سواء أكان ذلك من رجل أو امرأة، فالغرابة فى الوصول إلى هذه المرتبة العلمية مع فقدان الحواس.

والمودودى ينقل عن العالم الروسى الطبيعى «أنطون نيميلاف» فى كتابه «المأساة الحيوية للمرأة» أنه قال: ينبغى ألا نخدع أنفسنا بزعم أن إقامة المساواة بين الرجل والمرأة فى الحياة العملية أمر هين ميسور، الحق أنه لم يجتهد أحد فى الدنيا لتحقيق هذه المساواة بين الصنفين مثل ما اجتهدنا فى روسيا السوفييتية، ولم يوضع فى العالم من القوانين السمحة البريئة من التعصب فى هذا الباب مثل ما وضع عندنا، ولكن الحق مع ذلك كله أن منزلة المرأة قلما تبدلت فى الأسرة ... إلى أن قال: لا يزال تصور عدم المساواة بين الرجل والمرأة، ذلك التصور العميق، راسخا، لا فى قلوب الطبقات ذات المستوى الذهنى البسيط، بل فى قلوب الطبقات السوفييتية العليا أيضا، بل النساء أنفسهن قد بلغ من تأثير هذا التصور فى نفوسهن أنهن إذا عوملن معاملة المساواة الكاملة مع الرجال يعددن ذلك حطا من مكانة أولئك، ويجدن لهم فيه معانى التخنث. اهـ

يقولون هذا الكلام مع عدم اتباعه، فالإنسان عدو نفسه، متناقض معها، يميل مع هواه، ويطرح حكم العقل والتجارب الحية جانبا، وذلك هو سبب الفوضى والاضطراب.

وقالت العالمة الانجليزية «مس فرنسيس لو» منذ نصف قرن تقريبا فى مجلة القرن التاسع عشر، تندد بالمؤتمر النسائى المطالب بالمساواة، إن مؤتمرا كهذا يؤدى إلى زرع العداوة بين الجنسين المتألف منهما المجموعة الإنسانية، كل وهب مزايا خاصة، وخلق لعمل خاص، فكل سعى لسعادة أحد الجنسين دون النظر إلى سعادة الآخر هو سعى خبيث يؤيده رأى فاشل، فالمؤتمر يدل على ضيق مداركه وخطل آرائه، لخلطه الحابل بالنابل، وتشويش نظام البشرية، وقلب شرائعها الإلهية والمدنية [1].

وجاء فى أهرام ١٠/٧/١٩٦٣م من «أوسلو»: واجهت البحرية التجارية

---

(١) أهرام ٩ سبتمبر سنة ١٨٩٩م فى أهرام ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٩ (منذ ٥٠ سنة).

فى النرويج مشكلة جديدة بسبب المساواة التامة بين الرجل والمرأة لم تكن موجودة فى الماضى عندما كان العمل فى البحرية يقتصر على الرجال وحدهم. فقد اضطرت البحرية خلال العام الماضى إلى إرسال ٢٢٥ من الفتيات اللاتى يعملن فى السفن، على نفقتها، إلى بلادهن، بعد أن اكتشفت أنهن حوامل، ويطلبن حقهن المشروع فى الحصول على إجازة الوضع.

والمعروف أن أربعة آلاف من الفتيات اللاتى تتراوح أعمارهن بين ٢٠، ٦٥ سنة يعملن فى السفن النرويجية جنبا إلى جنب مع ٥٥ ألف بحار من الرجال، وأن ٩٠٪ من السفن النرويجية لا تمر إطلاقا بموانئ النرويج.

٧ - مطالب المرأة :

كانت مطالب المرأة أولا اجتماعية، فلما تحقق بعضها تمادت فى مطالبها حتى نادت بحقوق سياسية واسعة، بل زادت فى تماديها حتى طالبت بالحرية المطلقة من كل قيد، وبخاصة فى أحوالها الشخصية.

أولا - المطالب الاجتماعية :

المطالب الاجتماعية للمرأة كثيرة نذكر أهمها فيما يلى:

١ - فتح باب التعليم على مصراعيه، وقد مر الحديث وافيا على هذا المطلب..

٢ - العمل الحكومى والحر، وقد تقدم الحديث عنه، مع ملاحظة أن هناك أعمالا لا يجوز أن تباشرها، وهى المناصب القيادية الكبرى التى فيها ولاية عامة، وكذلك وظيفة القضاء على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، وسأتحدث عن ذلك فيما بعد، والمرأة حين تطالب بحق العمل تطالب فى الوقت نفسه بالمساواة مع الرجل فى الأجر، وقد سبق الحديث على أن الأجر مرتبط بكمية العمل وكيفيته ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ [الأحقاف: ١٩] ومعروف أن جهد المرأة بوجه عام ضعيف وإنتاجها قليل، وإجازاتها كثيرة،

وليس من حقها شرعا المطالبة بالمساواة فى ذلك، كما سبق توضيحه فى عدم مشروعية هذه المساواة حتى بين الرجال أنفسهم.

وهناك مقارقات واضحة بين طلبها المساواة فى الأجر، وبين عدم مساواتها له فى العمل بظروفه المختلفة، وكثيرا ما ترفض المرأة عملا بعيدا عن مقر سكنها مع شدة حاجة العمل إليها فى المكان البعيد، والرجل يقبله ولا يرفضه، وترفض كذلك العمل بالليل والرجل يقوم به ويحسنه. وترفض العمل الشاق والرجل يؤدية بحكم قوته وإحساسه بواجبه نحو عمله ووطنه، ومن هنا نعرف شطط المرأة فى طلبها المساواة فى هذا المجال، وهو أمر يحدث التذمر فى نفوس الرجال، وبالتالى يوهن من عزيمتهم، ويغريهم بالكسل والتهاون، وفى ذلك ضرر كبير لا يجهله أحد. وقد مر نهى العقلاء على تهافت المرأة على العمل خارج منزلها، وبيان مقدار الفساد المترتب على ذلك.

٣ – انخراطها فى سلك الجندية، وقد مر الحديث عنه وافيا ص ٤٥٨.

٤ – حرية الاختيار فى الزواج. وقد مر ذلك واضحا فى الجزأ الأول من هذه الموسوعة.

٥ – منع تعدد الزوجات. وله بحثه الخاص فى هذه الموسوعة.

٦ – تقييد الطلاق، وهو أيضا له بحث خاص فى هذه الموسوعة.

٧ – إلغاء بيت الطاعة:

إلغاء بيت الطاعة هو فى حقيقته يرتبط باستقرار المرأة فى بيت الزوجية، وطاعتها لزوجها، فإذا عصته أو خرجت من البيت بدون إذنه سقطت نفقتها شرعا. فهى لا تلزم إلا حيث تكون طائعة لزوجها، إما إساءة المعاشرة للزوجة عند النزاع، وحبسها فى مسكن غير لائق بها، وذلك لإضرارها حتى تفتدى نفسها بكل ما تستطيع، فهو ينافى حسن العشرة التى أمر بها الإسلام فى قوله سبحانه ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [النساء: ١٩]، والله يقول فى المطلقات ﴿ **أَسْكِنُوهُنَّ**

مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ * لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٦، ٧].

فالأمر هنا بإسكانها في مسكن يليق بها وبه حسب الاستطاعة، والنهي عن المضارة نهي صريح، وفيه بيان للغرض منها وهو الغالب على الناس.

وإذا كانت هذه المعاشرة بالمعروف في المطلقات فكيف في الزوجات؟ إن العنف وما يلازمه في معاملة المرأة التي شكت زوجها لا يقره الشرع «فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» وهذا الموضوع مفصل في الجزء الثالث، من هذه الموسوعة، وفي بحث الطلاق أيضا.

٨ - المساواة في الميراث:

تطالب المرأة بجعل نصيبها في الميراث كنصيب الرجل، وهذا أمر لا يقره الدين أبدا، فالمواريث مقدرة في القرآن الكريم بالنص على أن الذكر مثل حظ الأنثيين، فريضة من الله لا يجوز تغييرها، وقد بينها لنا حتى لا نضل في تقسيم التركة وتوزيع الأنصباء على الذكور والإناث. وقد وضح العلماء حكمة هذا التشريع فقالوا: إن مجرد اشتراك المرأة مع الرجل في حق الإرث من المتوفى هو عدل وتسوية، بعد أن كانت محرومة تماما في الشرائع والقوانين غير الإسلامية. وحكمة تمييز الرجل عليها أنه يتحمل تبعات الأسرة بحكم رياسته عليها، حتى لو كانت الزوجة غنية فإن نفقتها على زوجها. على أنه قد توجد صور تتساوى فيها المرأة مع الرجل في الميراث، بل قد تفوقه، كالبنت مع الأعمام، لها النصف ولجميع الأعمام النصف الآخر.

إن الإسلام فى جعل المرأة على النصف من الرجل فى الميراث سلك طريقا عادلا يتبين من الإشارة إلى وضع المرأة فى الشرائع الأخرى من هذه الجهة، وهو ملخص من مذكرة الشيخ «أبو دقيقة» فى التوحيد لكلية أصول الدين، الجزء الثالث:

كان الميراث عند قدماء اليونان والرومان لمن يصلح للقيام بشئون الأسرة ومباشرة الحروب، وللمورث أن يختار فى حياته من يقوم مقامة فى الحقوق القومية ورياسة الأسرة، سواء أكان من أبنائه أم من أقاربه أم من الأجانب. وقبيل ظهور الإسلام أشركوا المرأة مع الرجل على التساوى.

والأمم الشرقية كان الميراث فيها لأرشد الذكور من الأولاد ثم الإخوة ثم الأعمام، فليس للمرأة نصيب عندهم فى الميراث. وعند قدماء المصريين كانوا يورثونها على التساوى مع الرجل. واليهود كانوا يخصون الولد الذكر بالميراث ويحرمون الأنثى، وإن تعدد الأولاد الذكور ورث أكبرهم وحرم الباقون. وجاء فى سفر التثنية إصحاح ٢١ : ١٥ – ١٨ أن الابن البكر له نصيب اثنين. فإن لم يكن هناك ذكر فالميراث لابن ابنه، ولا شئ لبنته (١).

وعند عرب الجاهلية كان الميراث للذكور لأنهم هم الذين يدافعون عن الأسرة والقبيلة. على ما هو، مفصل فى الجزء الرابع من هذه الموسوعة، وهو فى بحث حقوق الأولاد.

ورأينا من مفكرى الغرب «بنتام» أحد علماء القانون أنه يسوى بين الذكور والإناث فى الميراث، إذا كانوا أولادا للمتوفى، وحرم منه الأصول أى الآباء والأمهات، لأن السبب فى الميراث عندهم هو الميل والحب والمحافظة على الجيل الجديد.

---

(١) جاء فى سفر العدد أن بنات «صلحفاد بن حافر» طالبن أمام موسى والعازار والكاهن أن يكون لهن نصيب فى ملك أبيهن، فقدم موسى دعواهنَّ أمام الرب، وانتهى الأمر إلى إعطائهن من الميراث. إصحاح ٢٧ : ١–١١.

والإسلام لم يحرم المرأة من الميراث، سواء أكانت من أصول الميت أم من فروعه أم من حواشيه، وسواء أكانت ترتبط به برابطة الدم أم برابطة المصاهرة أى الزوجية، ولم ينظر إلى كون الوارث يستطيع القيام بمهام رب الأسرة أو لا يستطيع، ففى ذلك ظلم للمرأة وحرمان لها من خير من تتصل بهم، غير أنه جعل للذكر مثل حظ الأنثيين، لأنه كما سبق هو الذى يعول الأسرة بما فيها المرأة التى لا يمس نصيبها المفروض لها بسوء، فالتسوية بينهما ليست من العدل، كما أن حرمانها أصلا ليس من العدل، فقد تكون المرأة غير ذات زوج ينفق عليها فتكفى بما ورثته من الميت.

وبهذا كان الإسلام فى تشريعه وسطا وعدلا. وبعض الأديان ترتضى عند التنازع أن تحتكم إليه فى الميراث، والله سبحانه حين شرع ذلك كان أدرى وأعلم بما يصلح الفرد والجماعة، قال تعالى ﴿ **آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء: ١١].

ومن المؤسف أن بعض الدول الإسلامية الحاضرة جرت وراء التقليد واستجابت لصيحات النساء المتحررات فقضت بمساواة المرأة مع الرجل فى الميراث [١] وهو خروج على أمر الله ليس له فيما أعلم أية شبهة يمكن الاستناد إليها، وقد مرت قرون طويلة على المسلمين وهم لا يبغون بشرع الله بديلا (يراعى أن المفاضلة عند اتحاد الدرجة، وإلا فقد تساوى الرجل بل قد تفوقه).

ثانيا: المطالب السياسية :

المقصود بمطالب المرأة السياسية أن يكون لها رأى فى توجيه سياسة الدولة عن طريق الأجهزة الحكومية الرسمية، وذلك بنقد الأوضاع الفاسدة، والإرشاد

---

(١) منها تركيا، وتونس، وفى العراق حيث جاء فى تقرير منظمة غرب آسيا التابعة للمجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع لهيئة الأمم المتحدة (ص ١٩) أن العراق عدلت قانون الأحوال الشخصية فجعل الفتاة الوحيدة ترث بالتساوى مع الولد الوحيد.

إلى الأوضاع الصحيحة، ومن صور ذلك الاشتراك فى إبداء الرأى فى اختيار الحاكم وفى تمثيل الأمة فى المجالس التشريعية، والإسهام بطريق رسمى فى وضع القوانين أو تعديلها، وما يماثل ذلك من الأمور الهامة.

ومن مطالبها السياسية، أيضا تولى المناصب والوظائف القيادية العليا، كأن تكون رئيسة دولة، أو وزيرة، أو قائدة جيش أو قاضية على مستوى عال. وغير ذلك مما هو مخول للرجال.

إن العقلاء بوجه عام من الرجال والنساء لا يستحسنون للمرأة أن تزاول هذا النشاط الدقيق، الذى لا بد له من حصافة وروية وقوة أعصاب وتركيز ذهن ومتابعة عمل، والمرأة فى هذا المجال ليست بذاك، وأمثلة التاريخ قديما وحديثا تشهد بذلك، وإن كانت هناك بعض حالات فردية نادرة فهى لا تعطى حكما عاما على استحسان ذلك لها، فقد تكون الضرورة هى التى قضت بذلك، أو قد تكون هناك اعتبارات أخرى، ومع ذلك فإن ندرة توليها لذلك يعطى حكما بأن الأفضل لها أن تنصرف عن هذا المجال، وما حدث فهو ليس تشريعا سماويا يؤخذ به.

وروى التاريخ لنا أخبار بعض ملكات عرفنا منها أنهن لسن جديرات بهذه المناصب، وإلى جانب من سيذكر بعد من الملكات أذكر هذا المثل القديم ليعطينا صورة عن مدى أهليتهن لهذا العمل الكبير.

جاء فى كتاب «معالم تاريخ الإنسانية. تأليف هـ. ج. ويلز ج ٢ ص ٣٥» عن أوليمبيا» زوجة «فيليب» أم الإسكندر الأكبر المقدونى، ابنة ملك غربى مقدونيا أنها ولدت الإسكندر بعد زواجها من فيليب بثلاث سنوات، ثم دب الخلاف بينهما، لغيرتها من فتوحاته، وإيمانها بخرافات حملتها على إقامة حفلات متهتكة، وكرهت ابنه فيه، كما يقول «بلوتارك» فى كتابه «السير». وظهرت عداوتها له لما تزوج سنة ٣٣٧ من كليوباترة المقدونية الأصل، فقتلت أول مولود لها، وهو بين ذراعى أمه، خشية أن يرث الملك بدل ابنها، فكان

الإسكندر يحتقر أباه، ثم دبرت هى قتل فيليب فى حفلة زواج بنته من خالها شقيق أوليمبيا، فطعنه أحد الحراس. ولما تولى ابنها كان لها الرأى فى العزل والتولية، وقتلت سنة ٣٢٣ ق.م بعد موت ابنها الذى قتل جميع أسرته.

إن التدخل فى الأمور السياسية لا يليق بالمرأة، وقد تورط فيه بعض النساء المسلمات الأوليات كاللائى انحزن إلى صف الإمام على فى صفين، وكنساء الخوارج اللائى شاركن بقوة فى المعارضة، ومن هؤلاء:

(أ) الوافدات على معاوية بعد انتصاره على على، كأروى بنت الحرث ابن عبد المطلب وغيرها..

(ب) ومن نساء الخوارج:

١ – أم شبيب الخارجى، وقد تقدم خبرها.

٢ – أم القمة الخارجية، أتى بها إلى الحجاج، وقيل لها: وافقيه على ما هو عليه، فقد يظهر الشرك بالمكر، فقالت: قد ضللت إذن وما أنا من المهتدين. فقال لها الحجاج: قد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط عشواء، فقالت: لقد خفت الله خوفا صيرك فى عينى أصغر من ذباب.

وكانت منكسة رأسها فقال لها: ارفعى رأسك وانظرى إلى. فقالت: أكره أن أنظرر إلى من لا ينظر الله إليه. فقال: يا أهل الشام ما تقولون فى دم هذه؟ قالوا: حلال. فقالت: لقد كان جلساء أخيك فرعون أرحم من جلسائك، حين استشارهم فى أمر موسى فقالوا: ارجه وأخاه فقتلها [١].

٣ – غزالة زوجة شبيب، كان لها نشاط بارز ضد الحجاج الذى عيروه بقولهم:

أسد على وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

---

(١) محاضرات الأدباء للأصفهانى. نقل عمر كحالة فى كتابه أعلام النساء.

هلا برزت إلى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر

٤ – آمنة بنت الشريد، زوجة عمر بن الحمق الخزاعى. قتل معاوية زوجها وأودعها فى السجن، وجئ إليها برأس زوجها، فسبت معاوية ولعنته جهارا ولم تخش بأسا (١).

ومن قبل هؤلاء، تدخلت السيدة عائشة فى سياسة الدولة فقامت ضد على كما سبق ذكره، ولم يحمد كثير من المسلمين عملها.

نعم للمرأة حق الاشتراك فى توجيه الرأى العام ونقد سياسة الدولة، فى نطاق النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لا أن يتخذ ذلك صبغة سياسية بالمعنى المتعارف عليه اليوم، وقد نقدت العجوز عمر فى اتجاهه إلى منع المغالاة فى المهور، ولم توافق أيضا عائشة على سياسة على، لكن عيب عليها أن تقود حملة مضادة وتخرج من بيتها لميدان قتال مكشوف، وجاء فى كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر أن «سمراء بنت نهيك» كانت من ربات الوعظ، أدركت النبى ﷺ، وعمرت طويلا، وكانت تمر بالأسواق وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتضرب الناس بسوط كان معها إذا خالفوا تعاليم الدين «أعلام النساء».

وتدخل المرأة بوجه عام فى السياسة محاولة منها لمزاحمة الرجل فى هذه المجالات الخطيرة، وهى مجالات تحتاج إلى رأى حصيف وأعصاب قوية وعمل شاق مرهق، وفيها تعرض إلى خلافات كثيرة لا يليق بالمرأة أن تزج بنفسها فيها، فهذه الخلافات لها أثرها الكبير على حياة الأسرة بالذات، قرأنا فى انتخابات الرياسة الأمريكية أن زوجة قتلت زوجها، لأنها كانت تتحمس لمرشح غير مرشح الحزب الذى ينتمى إليه الزوج (٢).

---

(١) بلاغات النساء لأحمد بن أبى طاهر طيفور، نقل عمر كحالة.

(٢) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعى ص ١٢٨.

وإنى مورد هنا بعض حوادث تدل على أن مجال السياسة لا يليق بالمرأة وأن الرأى العام السليم يمقت ذلك :

١ – روى البخارى ومسلم عن عائشة أن النبى ﷺ لما قال فى مرضه « مروا أبا بكر فليصل بالناس » أرادت عائشة أن تنحى والدها عن هذا المقام، لأن الناس لا يحبون من يقف موقف النبى ﷺ فى إمامة الصلاة، ولكنه عليه الصلاة والسلام أصر على رأيه، وأشار إلى أن المرأة تقودها عواطفها كثيرا، ولا ينبغى أن ينساق الناس مع عواطف المرأة فى هذه المواقف الخطيرة، فاختيار النبى ﷺ لأبى بكر ليؤم الناس تقدير كبير له قد تكون فيه إشارة إلى الناس لاختيارهم له بعد أن يلحق النبى ﷺ بالرفيق الأعلى، فهو إجراء سياسى كبير، وأولى بالمرأة ألا تقحم نفسها فى هذه المجالات، فقال عليه الصلاة والسلام « إنكن صواحبات يوسف » أى تؤثر فيكن العاطفة فتخطئن فى الأحكام، فقد بهر نساء المدينة جمال يوسف عندما خرج عليهن، فقلن « حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم » . ولقد كان لإعجابهن الشديد بجماله أثر واضح فى الحكم عليه بأنه ليس بشرا، وفى تصرفهن أيضا فقطعن أيديهن بالسكاكين غافلات عما كن بصدده من تناول الطعام بها . فانسياقهن مع العاطفة أخذ بفكرهن وسلوكهن عن طريق الجادة .

٢ – لما دخل أبو سفيان على فاطمة بنت النبى ﷺ لتساعده فى التوسط عند أبيها حتى يوافق على مد الهدنة التى وقعت بين المسلمين وقريش فى الحديبية، قالت له : إنما أنا امرأة، وإنما ذلك إلى رسول الله ﷺ ذكره فى البداية والنهاية نقلا عن ابن إسحاق .

لكن الذى فى سيرة ابن هشام « ج٢ ص ٢٦٥ » أن أبا سفيان قال لها : يا ابنة محمد، هل لك أن تأمرى بنيك الحسن، هذا فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت : والله ما بلغ بنى ذاك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ . فليس فى هذا الخبر إذن شاهد على الموضوع، والإسلام قد قبل إجارة المرأة بحديث « يجير على المسلمين أدناهم » كما رواه

أبو داود ويدخل فيه المرأة، لكنهم قالوا: لا يجوز للمرأة أن تجير على الإمام قوما يريد الإمام أن يغزوهم ويحاربهم، وهذا هو ما أرادته فاطمة «السهيلى فى الروض الأنف ج ٢ ص ٢٥٧». ومع هذا فإن العلماء قالوا فى هذا الحديث، وفى إجازة جوار أم هانئ: إن قبول الإجارة هو فى الحالات الفردية، أما الإجارة العامة فهى من حق الإمام وحده.

٣ – سبق فى ص ٤٧٥ من قول أم سلمة فى كتابها إلى عائشة عند خروجها لمعركة الجمل: وقد علمت أن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن انصدع. «نهاية ابن الأثير – مادة: بدح».

٤ – ذكر ابن الجوزى فى سيرة عمر بن الخطاب «ص ٨٥» عن ابن شيبة أن عمر لما عاتب بعض عماله كلمته امرأته فى ذلك، فقال: يا عدوة الله، وفيم أنت وهذا؟ إنما أنت لعبة يلعب بك ثم تتركين. وإذا عد بعض الناس هذا الأسلوب عنيفا فإن عمر كان يقدر الموقف حق قدره.

٥ – لما أراد عبد الملك بن مروان أن يولى مصعب بن عمير نهاه بعض نسائه، فقال: كفى، لا يجتمع فحلان فى شول، ولا قمران فى سماء، ولا سيفان فى غمد «محاضرات الأدباء ج ١ ص ١١٥» والشول جمع شائلة، وهى الناقة التى جف لبنها، وارتفع ضرعها، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية [١]. والشاهد هنا فى نهى عبد الملك امرأته عن التدخل فى هذا الشأن.

٦ – تقدم فى هذا الجزء: أن الخليفة المهدى العباسى لما توفى تدخلت الخيزران مع ابنه الهادى فى شئون الدولة، فنهاها عن ذلك، وجاء فى كلامه لها:

---

(١) جاء فى كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميرى، مادة: شول: أن عبد الملك بن مروان تمثل بهذا المثل «لا يجتمع فحلان فى شول» عند قتله عمرو بن سعيد الأشدق، والمعنى يشير إلى قوله تعالى ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾.

فالظاهر أن الذى فى نقل الأصبهانى فى كتابه محاضرات الأدباء هو عمرو بن سعيد لا مصعب بن عمير، لأن مصعبا توفى فى غزوة أحد، انظر ابن هشام ج ٢ ص ١٥٥ وزاد المعاد ج ٢ ص ٩٧.

أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك، وعمل على التخلص منها بدس السم لها فى طعام، لكنها عرفت هذه المؤامرة، فدبرت هى قتله، كما ذكر.

٧ – ذكر المسعودى أن بعض الناس أمروا زبيدة زوجة هارون الرشيد، عقب قتل ابنها الأمين، أن تخرج طلبا للثأر، كما خرجت عائشة تطلب ثأر عثمان، فقالت. أخسأ، لا أم لك، فما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الأبطال؟ (١).

ويروى أنها كانت عاتبت الرشيد على تولية «الأمين» العراق، وتولية «المأمون» شئون الحرب، فقال لها: وما أنت وتمييز الأعمال وأخبار الرجال؟

٨ – وحديثا نصحت العاقلات من النساء بنات جنسها بعدم الاشتغال بالسياسة، ففى أهرام ٨ / ٦ / ١٩٦٠: أن «ليدى راى ميللور» زوجة عضو مجلس العموم السابق لاحظت أن المشتغلات بالسياسة يفقدن الكثير من الأنوثة والرقة، المفروض توافرهما فى المرأة مهما نزلت إلى ميدان العمل، ومهما كان عملها، وتقول: إنها رأت كلا من المرأة السياسية التى تطبعت بطباع الرجال، والمرأة السياسة التى احتفظت بأنوثتها، وقالت: إن الاثنتين أضحكتاها كثيرا، لأن وضعهما كان شاذا للغاية، فالأولى لا تصلح أن تكون امرأة، والثانية لا تصلح أن تكون سياسية. اهـ.

(أ) حق المرأة فى التصويت:

هذا الحق الذى تطالب به يعنى إعطاء صوتها فى اختيار شخص يمثل قطاعا من الناس، ليكون عضوا فى جهاز التشريع الديموقراطى.

وليس فى إعطائها هذا الحق أو فى ممارسته ما يمنعه شرعا، وبخاصة إذا طلب منها ذلك، فهو لا يعدو أن يكون شهادة بصلاحية شخص أو عدم صلاحيته، وقضية التواصى بالحق والتناصح تؤكد هذا الحق.

لكن العلماء اشترطوا فيمن يختارون الخليفة: العدالة الجامعة لشروطها،

---

(١) مجلة النذير عدد ١٥٤.

والعلم الذى يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها، والرأى والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو أصلح للإمامة، وبتدبير المصالح أقوم وأعرف.

وإذا كانت هذه الشروط لم تتحقق حتى فى الرجال، حيث إن الانتخاب فى الدساتير المعمول بها فى كثير من البلاد الإسلامية لا تحتم وجودها، فهل يمكن أن تتحقق فى النساء، وإذا أمكن أن تحقق فهل يوجد ذلك فى عالم الواقع؟ ذلك فيه شك كبير. انظر الأحكام السلطانية للماوردى ص ٦.

أقول هذا، لأن الدساتير الحالية تعطى حق الترشيح لمن أعطى حق التصويت، فلو أن الأمر اقتصر على حق إعطاء صوتها إذا وجدت فيها المواصفات التى ذكرها الماوردى، لما كان فى ذلك اعتراض، لكن الذين ينادون بإعطائها هذا الحق يربطون بينه وبين حق الترشيح لتمثيل الأمة فى المجالس النيابية، وبالتالى إذا اشتركت فى انتخاب الإمام أو الحاكم جاز لها الترشيح لهذا المنصب، فالتصويت سلم للترشيح. والقوانين الوضعية لا تلتزم حدود الدين فى الوقوف عند منح امتياز معين، فلو أن علماء الدين أفتوا بجواز إبداء رأيها بالتصويت لكان ذلك تكأة للوصول إلى ما قرره القانون من ثبوت حقها فى الترشيح أيضا، ومن هنا لا يجوز القول بجواز تصويتها لأنه وسيلة إلى ممنوع، كما قررته لجنة الفتوى بالأزهر، ونشر ذلك فى المجلة فى يونيو ١٩٥٢. ونصها.

أما الأمر الثانى، وهو اشتراكها فى انتخاب من يكون عضوا فيه – أى البرلمان. فاللجنة ترى أنه باب تريد المرأة أن تنفذ منه إلى تلك الولاية العامة التى حظرتها عليها الشريعة، ذلك أن من يثبت له حق الاشتراك فى الانتخاب فإنه يثبت له حق ترشيح نفسه لعضوية البرلمان متى توافرت فيه الشروط القانونية لهذه العضوية. وبعيد أن ينشأ للمرأة قانون يبيح لها الاشتراك فى التصويت ثم يمنعها – لأنوثتها – من ترشيح نفسها للعضوية، وهى التى لا تقنع بأن الأنوثة تمنعها من شئ، ولا ترضى إلا بأن تكون مساوية للرجل فى كل شئ.

وإذن لا يصح أن يفتح لها باب التصويت، عملا بالمبدأ المقرر فى الشريعة والقانون: إن وسيلة الشئ تأخذ حكمه، فالشئ الممنوع لسبب ما يلازمه أو يترتب عليه من ضرر أو مفسدة، تكون الوسيلة إليه ممنوعة لهذا السبب نفسه، فإنه لا يسوغ فى عقل ولا شرع أن يمنع شئ لما يترتب عليه أو يلازمه من مضار، ويسمح فى الوقت نفسه بالوسائل التى يعلم أنها تتخذ طريقا إليه .. اهـ

وقد ذكرت اللجنة أيضا أن حركة عائشة ضد على لا تعد تشريعا، وقد خالفها فيها كثيرون، كما ذكرت أن احتجاج أنصار المرأة فى حقها فى الانتخاب، بأن النساء بايعن رسول الله ﷺ كما بايعه الرجال مردود بأن البيعة لا تثبت زعامة ولا رياسة ولا حكما للرسول. فذلك من الله له قبل أن يبايعنه. وإنما هى رمز للدخول فى الإسلام والالتزام بتكاليفه، ولا تؤثر شيئا على مركز الرسول عليه الصلاة والسلام، وهى تأكيد من الرسول للنساء بالمحافظة على تعاليم الدين، فهى عهد بين المعلم وتلاميذه أن ينفذوا ما أمروا به، ويطبقوا ما تعلموه.

(ب) ترشيحها للنيابة :

أما ترشيحها فى المجالس النيابية، فإن النيابة فى حقيقتها تمثيل لجماعة يفرض عليهم رأى النائب، أو يكون رأيه ممثلا لآرائهم جميعا، حيث ارتضوه نائبا عنهم. وفيه معنى الولاية العامة.

والنواب الآن يمثلون النقباء عن القبائل فى المبايعات والمعاهدات وغيرها، وفى غزوة حنين طلب الرسول ﷺ الرأى من الناس فى رد سبى هوازن. فلم يعرف بالضبط من وافق منهم ومن لم يوافق، فأمر باختيار نقباء منهم يمثلونهم ويلتزمون برأيهم «زاد المعاد ج ٢ ص ١٨٩».

وقد رأت لجنة الفتوى بالأزهر «يونيه ١٩٥٢» أن عضوية البرلمان. وهى ولاية سن القوانين والهيمنة على تنفيذها، من الولايات العامة التى قصرتها الشريعة الإسلامية على الرجال إذا توافرت فيهم شروط معينة.

وقد جرى التطبيق العملى على هذا من فجر الإسلام إلى الآن، فإنه لم يثبت

أن شيئا من هذه الولايات العامة – التى منها سن القوانين، والفصل فى الخصومات، وتنفيذ الأحكام، والهيمنة على القائمين بذلك – قد أسند إلى المرأة، لا مستقلة ولا مع غيرها من الرجال. وقد كان فى نساء الصدر الأول مثقفات فضليات. وفيهن من تفضل كثيرا من الرجال كأمهات المؤمنين.

ومع أن الدواعى لاشتراك النساء مع الرجال فى الشئون العامة كانت متوافرة لم تطلب المرأة أن تشترك فى شئ من تلك الولايات، ولم يطلب منها الاشتراك. ولو كان لذلك مسوغ من كتاب أو سنة لما أهملت مراعاته من جانب الرجال والنساء باطراد. وهذا الصنيع يعتبر بمثابة الإجماع.

أما الدليل الشرعى الذى استندت إليه لجنة الفتوى فهو ما رواه البخارى. وأخرجه أحمد فى مسنده والنسائى والترمذى عن أبى بكرة قال: لقد نفعنى الله بكلمة أيام الجمل، لما بلغ النبى ﷺ أن فارس ملكوا ابنة كسرى قال «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»(١).

قالوا: فالظاهر أن المقصود به النهى عن مجاراة الفرس فى إسناد شئ من الأمور العامة إلى المرأة، وذلك بأسلوب فيه قطع بأن عدم الفلاح ملازم لتولية المرأة أمرا من أمورهم.

وهذا هو ما فهمه أصحاب الرسول ﷺ وجميع أئمة السلف، ولم يستثنوا من ذلك امرأة ولا قوما ولا شأنا من الشئون العامة، فهم جميعا يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولى المرأة الإمامة الكبرى والقضاء وقيادة الجيوش وما إليها.

وهذا الحكم معلل باعتبارات ومعان لا يجهلها الواقفون على الفروق

---

(١) اسمها بوران بنت أبرويز بن هرمز، كما فى الروض الأنف للسهيلى على سيرة ابن هشام «ج١ ص ٢٢». وقيل: هى بوران بنت شيرون بن كسرى بن برويز «مجلة الأزهر مجلد ٢١ ص ٦٩٢».

وقد ملكت سنة ثم ماتت، وكان أخوها شيرويه قبلها، وقد ملك ستة أشهر، وأخوه سابور ملك قبله نحو شهرين فى مدة النبى ﷺ.

الطبيعية بين نوعى الإنسان، الذكر والأنثى، فهو حكم لم ينط بشئ وراء الأنوثة، فهى وحدها العلة فيه، وواضح أن الأنوثة ليس من مقتضاها الطبيعى عدم العلم والمعرفة، ولا عدم الذكاء والفطنة، حتى يكون شئ من ذلك هو العلة، لأن الواقع يدل على أن للمرأة علما وذكاء كالرجل، بل قد تفوقه فى ذلك، لكن المرأة بمقتضى تكوينها مطبوعة على غرائز تناسب المهمة التى خلقت من أجلها، وهى الأمومة وتربية النسل، جعلتها ذات تأثير خاص بدواعى العاطفة، وهى مع هذا تعرض لها عوارض طبيعية متكررة، من شأنها إضعاف قوتها المعنوية، وتوهين عزيمتها فى تكوين الرأى والقدرة على الكفاح والمقاومة فى سبيله، وهذا ما لا تنكره المرأة من نفسها، والأمثلة الواقعية تؤيد تغلب العاطفة فى المرأة على مقتضى العقل والحكمة، حتى فى أسمى بيئة نسوية. وقد بنت الشريعة الإسلامية على هذا الفرق الطبيعى بين الرجل والمرأة التفريق بينهما فى كثير من الأحكام التى لا تتعلق بالشئون العامة.

هذا ما قالته لجنة الفتوى، وقررت بناء عليه منع المرأة من الولايات العامة، وفى مقدمتها ولاية سن القوانين التى هى مهمة أعضاء البرلمان وما فى معناه من التنظيمات.

ثم قالت اللجنة :

وبهذا يتبين أن حكم الشريعة فى اشتراك المرأة فى انتخاب عضو البرلمان هو كحكمها فى اختيارها لتكون عضوا فيه، كلاهما ممنوع. وذكرت أن الحكم فى المسألة بشقيها على هذا الوجه لم ينظر فيه إلى شئ آخر وراء طبيعة هذين الأمرين. أما إذا نظرنا إلى ما يلازم عملية الانتخاب المعروفة والترشيح لعضوية البرلمان، من مبدأ التفكير إلى نهايته، فإنا نجد سلسلة من الاجتماعات والاختلاطات والأسفار للدعاية والمقابلات وما إلى ذلك، مما تتعرض فيه المرأة لأنواع من الشر والأذى، ويتعرض لها فيه أرباب القلوب المريضة الذين ترتاح أهواؤهم، وتطمئن نفوسهم لمثل هذا الاختلاط بين الرجال والنساء، فهذه مواقف

لا ينبغى للمرأة أن تزج بنفسها فى معتركها غير المأمون، ويجب عليها أن تنأى بنفسها عنها، حفظا لكرامتها، وصونا لسمعتها، ويجب تقدير الأمور وتقرير الأحكام على أساس هذا الواقع الذى لا ينبغى إغفاله أو التغافل عنه.

يقول أحد الشعراء المعاصرين:

أخت الغـــزالة إننى لك وامق ... وعليك من حَسَك السياسة أَحْدب
روض السياسة شائك وطريقها ... وعر، ومركبها، فديتك، أصعب
صونى جمالك واحفظيه فإنما ... حق الجمال من السياسة أوجب
البيت أفضل، لو علمت، رعاية ... وأجل فى مجد الفتاة وأهيب
فابنى به الأخلاق صرحا شامخا ... تتخرب الدنيا ولا يتخرب
وارعى بنيك فهم عماد مكارم ... وسداد عادية وغرس طيب
ما الشعب إلا بالبيوت فإن هوت ... غشى شوارقها المضيئة غيهب (١)

الغزالة إما هى الظبية وإما هى الشمس، فهى أختها فى الحسن والجمال، الحسك = الشوك، أحدب = أعطف. الغيهب = الظلام.

لقد اعترض جماعة على حديث «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» بأنه ليس نصا فى منع المرأة من الولايات العامة وما فى معناها، وقرروا أن المرأة من الوجهة النظرية، أو من وجهة المبدأ لها أن ترى ما تشاء من الآراء السياسية، وأن تشترك فى النصح العام، وفى كل ما يحقق معنى الشورى التى قام عليها الحكم الإسلامى.

لكن ذلك يكون للمرأة المؤمنة حقا، المحافظة على آداب الإسلام، والتى تبغى الخير لوجه الله، لا لمصلحة شخصية أو ما شابهها، إنه يكون للمرأة التى على شاكلة النساء الفضليات فى العصور الأولى، فقد كانت إحداهن تدخل

---

(١) مجلة الأزهر مجلد ١٨ ص ٨٧٦ بإمضاء: شاعر رجعى.

المساجد، وتغشى دروس العلم، وتلم بأندية المشاورة والتعاون على الصالح العام الذى ندبت إليه، وليس البرلمان فى صورته الإسلامية إلا أحد هذه الأندية.

لقد قال أحد هؤلاء المتحمسين للمرأة فى تقرير حق اشتراكها فى الأمور السياسية: إن ذلك هو بيان للحكم الشرعى فقط، أما مزاولته والأخذ به فإن المجتمع عندنا لم يتهيأ له بعد، وحين تشيع الثقافة بين الرجال والنساء. ويرتفع مستوى الخلق، ويتطور العرف والوعى، وتوجد المرأة الفاضلة المنشودة فلا حرج أن تباشر ما قرر لها الإسلام من حق (١).

فكأن صاحب هذا الرأى يقول: إن منع المرأة من الانتخاب والنيابة ليس ذاتيا مأخوذا من نص، بل عرضيا لأمور خارجة، وهى الظروف والبيئة والأوضاع التى تلابس مزاولة الحكم وتطبيقه، والمرأة الآن فى هذه البيئة وبتلك الأوضاع المعروفة لا يجوز لها أن تمارس هذا الحق.

ونخلص من هذا إلى أن المرأة فى عصرنا لا يجوز لها الانتخاب والنيابة بإجماع الآراء الصحيحة، حتى فى الأديان الأخرى لا يجوز لها أن تباشر هذا الحق. فقد صرح البابا «كيرلس السادس» بأن المجمع المقدس برياسته قرر بالإجماع منع المرأة من الانتخاب والترشيح لعضوية المجالس الملية، لأن هذا يخالف طقوس الكنيسة وتقاليدها «أهرام ٣٠ / ٦ / ١٩٦١» وإذا كان هذا فى المجالس الملية، وهى خاصة، فكيف بالمجالس العامة؟

(جـ) الولاية العامة أو رياسة الحكومة:

إن الولاية العامة بمسمياتها المختلفة، من ملك وسلطنة ... قاصرة على الرجال دون النساء، وذلك للحيثيات التى ذكرت من قبل فى حق المرأة فى النيابة، وهو أمر تقتضيه طبيعة المرأة واستعداداتها، وما فطر عليه الرجل، من قوى جسمية وفكرية ونفسية، تجعله يختص بهذه المهمة الخطيرة ذات المسئوليات الكبيرة.

---

(١) المرأة بين البيت والمجتمع للبهى الخولى ص ١٥١.

فحين أهبط الله آدم وحواء من الجنة لمباشرة مهمتهما فى خلافة الأرض. جعل الشقاء لآدم وحده، لأنه هو الذى يتحمل العبء الأكبر منه، فقال ﴿ **فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ** ﴾ [طه : ١١٧]، وليس للضعيف أن يكون حاكما على القوى، ولا للمخلوق الثانى التابع أن يكون سيدا على المخلوق الأول المتبوع، فقد خلق منه ومن أجل سكنه وراحته.

وإجماع العقلاء على تقرير هذا الحكم، وهو أن رياسة الدولة تكون للرجال، ولأمر ما جعل الله الرسالة خاصة بالذكور، لأنهم هم الذين يستطيعون الاضطلاع بمهمة التبليغ، وبتنفيذ الأحكام وإصلاح المجتمع من نواحيه المختلفة، وقد تقدم القول فى ذلك.

وقد جرى العرف من قديم الزمان على قصر منصب الرياسة على الرجال، وما حدث أحيانا من تولية المرأة فإنما هو شذوذ لا يعتد به، أو كانت لظروف خاصة، على أنهن أو أكثرهن لم يوفقن فى سياسة بلادهن، إلا بمعاونة الرجل معاونة فعالة بصورة تجعل المرأة رمزاً فقط، والعمل هو للرجل.

والمسلمون أجمعوا على منع المرأة من رياسة الدولة. ودليلهم فى ذلك هو الحديث السابق الذى رواه أبو بكرة فى شأن تولية بوران حكم الفرس، قال الشوكانى، بعد إيراد هذا الحديث: فيه دليل على أن المرأة ليست من أهل الولايات، ولا يحل لقوم توليتها، لأن تجنب الأمر الموجب لعدم الفلاح واجب.

وقد رد جماعة الاحتجاج بهذا الحديث، فقالوا: إنه ليس نصا فى منع ولايتها، لأن عدم الفلاح المذكور، راجع إلى أمور الدنيا، وكثير من الدول ملكوا أمرهم امرأة فأفلحوا، فالنبى لا يكذب فى خبره، فكلامه إذن منصب على قوم مخصوصين، وهم أهل فارس، بدليل خراب ملكهم بعد، وهو على كل حال إرشاد وتوجيه للأفضل الذى أجمع العلماء على وجوبه.

ورد بأن كلام النبى ﷺ عام، لأن لفظ « قوم » نكرة جاءت بعد نفى، والنكرة فى سياق النفى تعم، كما هى قاعدة الأصوليين. وكلام النبى ﷺ

صادق، لأن من تولت أمرهم امرأة ما أفلحوا بعد قوله هذا الكلام، وسيأتى الحديث عن بعض هؤلاء الملكات.

وما يقال عن ملكات أفلحن حديثا فهو مردود، لأنهن مالكات لا حاكمات، منصبهن رمزى والحكم بيد غيرهن، كما سبق ذكره، وليس فى الإسلام مثل هذا النظام، فالملك حاكم مسئول.

يقول البهى الخولى فى كتابه «المرأة بين البيت والمجتمع» ص ١٤٣: إن ملك الانجليز أو ملكتهم لا يملك من أمر نفسه شيئا، فضلا عن أن يملك أمر شعبه، إن ملك الانجليز لا يملك أن يتزوج المرأة التى يريدها، ولا يملك أن ينفرد باختيار المكان الذى يعالج فيه، أو يقضى أيام نقاهته. وملكة الانجليز يوضع لها نظام المآدب والزيارات والرحلات قبل موعدها بعام كامل دون أن تستشار أو يكون لها رأى تخالف به رئيس الوزارة، أو تخالف فيه رجل البلاط. هذا الملك أو تلك الملكة لا يجوز أبدا أن يرد لها ذكر فى مقام الاحتجاج على ما نقول. اهـ

وعلى الرغم من مناقشة بعض العلماء لحجية هذا الدليل، وهو الحديث المذكور، فإنهم قالوا: إن المرأة لا تتولى ولاية عامة، ودليل ذلك هو الإجماع. فهم مسلمون بالحكم، معارضون فى الاستدلال بالحديث فقط.

ومن هذا يعرف أن المرأة لا يجوز لها أن تتولى منصب الرياسة مطلقا. وكل ما حدث فهو مخالف للدين، ولا يعد تشريعا. فالنص والإجماع وعمل الصحابة الذين يعد عملهم تشريعا قضى بذلك، وما سواه فهو مخالف.

وقد عاب الخليفة العباسى «المستعصم بالله» على أهل مصر حين ولوا «شجرة الدر» ملكة عليهم، وقال: إن لم يكن عندكم رجل تولونه نرسل إليكم رجلا [1]، وقال أحد الشعراء يعيب ولاية المرأة أو بسط نفوذها على الوالى:

---

(١) محاضرات الأدباء للأصبهانى ج ١ ص ١١٤.

إن ملكا تسوسه أم موسى وفاطمة
لجدير بأن يرى ربة البيت لاطمة [1]

ولعل مما يؤيد هذا الحكم قول النبى ﷺ «وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها» رواه الترمذى عن أبى هريرة، وقال: حديث حسن غريب. أى رواه راو فقط حسب اصطلاح رجال الحديث.

وبهذه المناسبة سأسرد هنا أسماء بعض ملكات أو ذوات نفوذ فى التاريخ الإسلامى، مع ترجمة موجزة لهن، وكما قدمت يعد تمليكهن دليلا على جوازه، فذلك بعد عصر التشريع.

نساء شهيرات فى الملك والسياسة فى تاريخ الإسلام:

١ – الخيزران، زوجة المهدى العباسى وأم هرون الرشيد، وقد تقدم شئ عنها.

٢ – زبيدة، زوجة هارون الرشيد، وهى بنت أبى جعفر المنصور، وقد تقدم شئ عنها.

٣ – شغب، أم المقتدر بالله العباسى، كانت تتصرف فى شئون الدولة، تصرف الملك، وذلك لضعف ابنها، وبلغ بها الأمر فى سنة ٣٠٦ هـ أن أمرت قهرمانة لها تعرف باسم «ثومال» أو «ثملى» أن تجلس مجلس القاضى، كما تقدمت الإشارة إليه فيما سبق، واستنكر الناس منها ذلك، فثاروا عليها سنة ٣١٧ هـ، ومات المقتدر مقتولا سنة ٣٢٠ هـ. فحزنت عليه حتى كادت تموت، وقد أهانها القاهر بالله «محمد بن المعتضد» إهانة بالغة، لتظهر الأموال التى كانت تخفيها، وماتت متأثرة بهذا التعذيب فى جمادى الآخرة سنة ٣٢١ هـ. «أعلام النساء».

---

(١) بدائع الزهور لابن إياس المجلد الأول ص ٧٣ طبعة الشعب.

٤ – علم، أم فاتك بن منصور، الملكة الحرة، كانت جارية مغنية، فاشتراها منصور بن فاتك سنة ٥١٧ هـ، وكان ملكا على «زبيد» باليمن، وما حولها. فولدت له «فاتكا»، وحظيت عنده، فجعل لها تدبير ملكه، ولما مات تولى ابنها «فاتك» وهو طفل، فاستوزرت عدة رجال، حتى مات ابنها «فاتك» سنة ٥٣١ هـ، فاستمرت تملك ولا تحكم إلى أن توفيت فى زبيد، وهى آخر من ولى ملكا فى اليمن من آل نجاح «أعلام النساء».

٥ – أسماء بنت شهاب، الملكة الحرة، زوجة الملك على بن محمد الصليحى، عدها من ملكات اليمن إسماعيل قربان حسين الهندى فى رسالة عن الشاعر الخطاب اليمنى، وأشار إليها عمر كحالة فى كتاب «أعلام النساء».

٦ – سنية، وهى الحرة بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحى، زوجة الحاكم «أحمد المكرم»، ولدت سنة ٤٤٠ هـ، وربتها أسماء بنت شهاب والدة المكرم، فتزوجها، وهو ابن على الصليحى سنة ٤٦١ هـ، وولاها الأمر فى حياته بعد وفاة والدته، فقامت بتدبير المملكة وشن الحروب، وانصرف هو إلى ملذاته حتى مات، وتولى بعده ابن عمه «سبأ» فاستمرت هى فى حكمها حتى مات «سبأ» فاستبدت هى بالملك، ثم تولى ابن نجيب، وبقيت فى سياستها حتى توفيت سنة ٥٣٢ هـ. «أعلام النساء».

وكان المفضل أبو البركات بن الوليد الحميرى يحكم بين يديها، وهى من وراء الحجاب «خطط المقريزى ج١ ص ٢٨١ مطبعة النيل» وتاريخ اليمن لعمارة اليمنى، ومعجم البلدان لياقوت وتاريخ ابن خلكان.

٧ – أروى بنت أحمد زوجة الملك المكرم الصليحى، التى تولت تدبير الملك ٦٥ عاما، وكانت تدعى الحرة كغيرها من زوجات الملوك. وقيل: إنها هى «سنية» المذكورة قبل.

٨ – الدار الشمسى بنت السلطان عمر بن على بن رسول. لما توفى أبوها حافظت على الملك حتى حضر أخوها إلى «زبيد» فملكها، ومن آثارها مدرسة الشمسية فى مدينة «تعز» وتوفيت سنة ٦٩٥ هـ «أعلام النساء».

٩ – فاطمة بنت الحسن بن محمد بن على الزيدية. ملكت صنعاء وظفار وصعدة ونجران، وتزوجت الإمام صلاح الدين بن على بن أبى القاسم، واستقرت بصعدة، وانتهى ملكها سنة ٨٦٠ هـ، وتوفيت بصنعاء «أعلام النساء».

١٠ – غالية الوهابية، من عرب «البقوم». كانت أرملة رجل من أغنياء البقوم من سكان «تربة» على مقربة من الطائف من جهة نجد، قادت حملة ضد الترك سنة ١٨١٢م وأشار إليها الجبرتى فى حوادث صفر ١٢٢٢ هـ. وكذلك فى حوادث جمادى ١٢٢٩ هـ «أعلام النساء».

هؤلاء ملكات ظهرن فى الجزيرة العربية فى اليمن، بعد النساء اللائى ظهرن فى الدولة العباسية، وقد ظهر فى مصر والشام نساء أيضا لهن سلطان عظيم منهن ما يأتى:

١١ – ست الملك، أخت الحاكم بأمر الله الفاطمى، وهى، وإن لم تكن ملكة، كانت المدبرة للدولة، وقد نقم عليها الحاكم تدخلها فى الشئون السياسية، وكان يتهمها بسوء السلوك، فدبرت قتله مستعينة بسيف الدولة «ابن دواس» فقتله فى جبل المقطم، ودفنته فى بيتها سرا. ثم قتلت ابن دواس وكل من علم بتدبيرها لقتله.

ثم ولت بدل الحاكم ابنه «الخليفة الظاهر الفاطمى» حوالى سنة ٥٤٩ هـ. وكان عمره ست سنوات. وكان الوزير طلائع بن زُرِّيك الذى دبرت قتله بالشام بحيلة لما قتل ابن أخيها الخليفة الظاهر. وكثرت الفتن فى أيامها، ثم انتحرت بالسم تخلصا من حكم حاكم القصر «قراقوش». وكانت هى نصرانية، وأمها أيضا نصرانية، وكان لهاتين المرأتين أكبر الأثر فى تمتع المسيحيين بميزات كثيرة فى أيام الحاكم بأمر الله. توفيت سنة ٤١٤ هـ أو ٤١٥هـ (١٠٢٣م) وسنها ٦٥ سنة «اقرأ، لعلى الجارم، تراجم إسلامية لمحمد عبد الله عنان».

١٢ – صفية بنت الملك العادل بن أبى بكر بن أيوب. ولدت بقلعة حلب سنة ٥٨١ أو ٥٨٢ هـ. وملكت مدينة «حلب» بعد وفاة ابنها الملك العزيز وتوفيت بحلب ليلة الجمعة ١١ من جمادى الأولى سنة ٦٤٠ هـ ودفنت بقلعة حلب. «أعلام النساء».

١٣- شجرة الدر. جاء فى خطط المقريزى «ج١ ص ٣٨٥»: أنه لما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ هـ قامت بالأمر أم ولده خليل «شجرة الدر» حتى قدم ابنه «توران شاه» فتولى الملك. ولما أساء إلى المماليك قتلوه بعد سبعين يوما سنة ٦٤٨ هـ، وولوا بدله «شجرة الدر» وأخذت لها البيعة فى ١٠ من صفر ٦٤٨ هـ «مايو ١٢٥٠م» فدبرت الملك، ووقعت على الأمور برسم «والدة خليل» ونقش اسمها على السكة «العملة»، ولم يوافق أهل الشام على سلطنتها، وهددوها. فتزوجت «عز الدين أيبك» مقدم العسكر فى ١٩ من ربيع الثانى ٦٤٨ هـ، ونزلت عن السلطة آخر الشهر. وكانت مدتها ثمانين يوما «من ١٠ صفر إلى آخر ربيع الثانى».

وتقدم أن خليفة بغداد «المستعصم بالله» عاب على مصر توليتها، واستعد أن يرسل إليهم رجلا يولونه بدلها إن لم يوجد عندهم رجال.

وعلى الرغم من تنازل شجرة الدر عن الملك إلى زوجها «عز الدين أيبك» ظلت هى المسيطرة الحقيقية على الشئون، وأرغمت عز الدين على طلاق زوجته الأولى، ومنعته من زيارتها، واستمر الشقاق بين الطرفين مدة طويلة، فأراد التخلص من شجرة الدر، وخطب بنت صاحب الموصل، فعملت هى على التخلص منه، وأرسلت إلى الملك الناصر صاحب دمشق ليساعدها على قتله وتتزوجه، فأبى فاحتالت عليه ودبرت قتله وهو فى الحمام، فى ١٣ أو ١٤ من ربيع الأول سنة ٦٥٥ هـ. ولكنها قتلت فى السنة نفسها بعد ثلاثة أيام أو سبعة عشر يوما على الخلاف فى ذلك، وهذا من أقوى الأمثلة التى تدل على عدم صلاحية المرأة لتولى أمور على هذا المستوى العالى «تراجم إسلامية لمحمد عبد الله عنان».

وفى غرب الدولة الإسلامية الكبرى، أى فى بلاد المغرب والأندلس، كانت هناك نساء أيضا برزن فى الحقل السياسى كملكات أو ما يشبههن، ومنهن:

١٤ - صبح، أو صبيحة، وهى لم تكن ملكة، لكنها تدخلت فى الحكم

كما تدخلت نساء الدولة العباسية، ظهرت فى بلاط «قرطبة» فى أوائل عهد الحكم المستنصر بالله من ٣٥٠ -٣٦٦ هـ (٩٦١ - ٩٧٦م) وكانت زوجة حرة للحكم، لا محظية كما يقول بعض المؤرخين، وكانت تتمتع بمركز الملكة الشرعية قربت محمد بن عبد الله بن أبى عامر، الكاتب الجميل المنظر، وعشقته على الرغم من كره الحكم له. ولما مات الحكم سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦م) كانت وصية على ابنه هشام الوارث الجديد، وسلمت الأمر لابن أبى عامر، وكانت تحبه على الرغم من زواجه من أسماء بنت غالب سنة ٣٦٧ هـ. ولما علمت نيته فى انتزاع الملك له دبرت ضده مؤامرة، لكنه تغلب عليها، ثم ماتت سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠م) «المرجع السابق».

١٥ - أم بلال، وهى السيدة بنت المنصور بن يوسف الصنهاجى، التى تأدبت بفنون العلم حتى فاقت أخاها نصير الدولة «باديس» فأشركها فى تدبير الملك. وفى خلال عام ٤٠٦ هـ خرج باديس لقمع بعض الثورات فمات بالمسيلة «مدينة بالمغرب تسمى المحمدية، اختطها أبو القاسم محمد بن المهدى سنة ٣١٥ هـ»، فمات بعيدا عن أهله، فتولى الملك بعده ابنه «المعز بن باديس» ولم يبلغ التاسعة من عمره، فكانت عمته «أم بلال» وصية عليه حتى بلغ سن الرشد. توفيت فى رجب ٤١٤ هـ، ودفنت بالمهدية، ثم نقلت إلى مقبرة امراء «صنهاجه» فى بلدة «المنستير» «أعلام النساء».

وهناك نساء مثلهن فى العراق وفارس ووسط آسيا، منهن:

١٦ - قطلغ خاتون، ملكة «كرمان» تولت سنة ٦٥٥ هـ فى أيام ضعف الدولة السلجوقية فى فارس.

١٧ - عابش بنت سعد، من ملكات فارس فى الدولة السلجوقية، تولت سنة ٦٨٢ هـ، وثار عليها شريف الدين قاضى قضاة فارس، لأنها امرأة، فادعى المهدية وشرع يدعو ضدها، وقاتل جيشها فى «شيراز» فقتلته، وتوفيت سنة ٦٨٦ هـ. «أعلام النساء».

١٨ – ساقى بيكم بنت محمد خدابندا «ملكة أذربيجان والعراق» اعتلت العرش سنة ٧٣٩هـ، وهى من أصل مغولى، ذكر اسمها فى الخطب، وضربت السكة باسمها، ثم حرض الأمير حسن الصغير أهل تبريز عليها: بحجة عدم موافقة الشرع على تولية النساء مع وجود رجال كثيرين من أصل مغولى، فنادى بخلعها، ثم جلس على الكرسى «السلطان سليمان خان» «المرجع السابق».

١٩ – تندو بنت حسين بن أويس، تزوجها الظاهر «برقوق» ثم ابن عمها «شاه ولد» فدبرت قتله، وتسلطنت بعده، وخرجت إلى «واسط» وملكت «تستر» واستقلت تماما بالملك، وتوسعت فيه حتى بلغ ملكها الجزيرة وواسط، ودعى لها على المنابر، وضربت السكة باسمها، توفيت سنة ٨٢٢ هـ «المرجع السابق».

٢٠ – كوردجين بنت «مانجو تيمور» من ملكات فارس ١٣١٦م. «المرجع السابق».

٢١ – جوهر شاد بيكم أغا، هى التى بنت مسجد «جوهر شاد» جنوبى المشهد الرضوى فى مدينة «مشهد» بخراسان، شرقى بلاد إيران، قتلت فى «هراة» بأمر السلطان أبى سعيد بن محمد بن ميرانشاه بن تيمور لنك «أعلام النساء، نقلا عن أعيان الشيعة للعاملى».

٢٢ – فاطمة سلطان، تولت إمارة «قاسموف» فى مقاطعة ريازان إلى الجنوب الشرقى من موسكو، وذلك بعد ابنها «برغان» بن السيد «أرسلان» ثالث عشر أمراء قاسموف، ولقبت بقيصرة قاسموف، وبقيت على كرسى الإمارة حتى توفيت سنة ١٦٨١م. «أعلام النساء نقلا عن مجلة المقتطف مجلد ٥٧».

وفى الهند والجزر القريبة منها كان نساء ملكن وعلا شأنهن، منهن:

٢٣ – السلطانة رضية، بنت السلطان «التمش» [١] تولت الملك فى ١٨

---

(١) فى مهذب رحلة ابن بطوطة ج٢ ص ٣٣: للمش.

من ربيع الأول سنة ٦٣٤ هـ، بعد خلع أخيها «ركن الدين فيروز شاه» خامس ملوك دولة المماليك بالهند، خلعت ملابسها النسائية، ولبست الحلة الملكية، وركبت بالقوس والتركش، كنانة السهام، والقربان، نديمها، نظرت القضاء بنفسها، وكثيرا ما قادت الجيوش، فحسدها أخوها «بهرام شاه سناء» ودبر خلعها بثورة مسلحة فانهزم، ولما قربت إليها عبدها الحبشى: «جمال الدين ياقوت» اتهمها الأمراء بالسوء، لأنها كانت إذا أرادت ركوب الجواد تقدم هو ورفعها من تحت إبطها، فثاروا ضدها سنة ٦٣٧ هـ، وتعاون جيشها مع الثائرين، فحبسوها وزوجوها من بعض أقاربها، وولوا أخاها «بهرام شاه» [١]. وقد استمالت عدوها وهى فى السجن، فتزوجته وحاولت استرداد ملكها، فحاربت أخاها هى وزوجها وبعض الأتباع، ففشلت وهربت، واستجدت حراثا لقمة عيش، فقتلها وباع ثيابها المرصعة بالجواهر، وكانت متخفية فى زى رجل، فعرفها قومها عن طريق الثياب المبيعة، فأخذوها ودفنوها على شاطئ نهر الجوز «جمنة» على مسافة فرسخ واحد من المدينة فى ٢٥ من ربيع الأول سنة ٦٣٧ هـ، بعد أن دام ملكها ثلاث سنوات ونصفا تقريبا، وقبرها يزار ويتبرك به.

٢٤ – ملكة، ذكرها ابن بطوطة [٢] «المهذب ج٢ ص ٢٤٦» فقد رأى فى «مرسى كيلو كرى» بالهند ملكة شجاعة [٣] ووزيرات وجيشا فيه عدة نساء، وهى تقاتل وتنتصر، وجعلت سلطانة لشجاعتها، وخطبت للزواج، فاعتذرت وقالت: من أراد أن يتزوجنى فليبارزنى، فإن غلبنى تزوجنى.

٢٥ – خديجة بنت عمر بن صلاح الدين البنجالى، كانت من أبرز النساء أدبا وكمالا، لما توفى والدها خلفه أخوها شهاب الدين، فخلعه الشعب لسوء سلوكه سنة ٧٤٠ هـ وتولت هى العرش، وتولى زوجها «خطيب الدولة جمال

---

(١) فى مهذب ابن بطوطة: لقبه ناصر الدين.

(٢) قام برحلته سنة ٧٢٥ هـ، وتوفى سنة ٧٥٤ هـ.

(٣) يقال للمرأة شجاع وشجاعة.

الدين» الوزارة، وكان سلطانها يمتد إلى جزر «ذيبة المهل» وكثر الخير فى زمانها، وكان الخطباء يذكرونها بقولهم: اللهم انصر أمتك التى اخترتها على العالمين، وجعلتها رحمة لكافة المسلمين، ألا وهى خديجة بنت السلطان جلال الدين بن السلطان صلاح الدين، توفيت سنة ٧٧٠ هـ. «أعلام النساء».

٢٦ – نور جيهان، وهى ملكة هندية نقش اسمها على النقود بجوار اسم زوجها، كان من إصلاحاتها منع الهنود من تقديم الضحايا البشرية، وحرق الزوجات أحياء مع أزواجهن الموتى. قادت الجيوش لاستخلاص زوجها حين أسره «مهابه خان». ولما توفى زوجها فى سنة ١٦٤٦م اعتزلت الحكم، ثم توفيت بعده بقليل «المرجع السابق».

٢٧ – اسكندر بيكم [١]، حاكمة «باهوبال» بالهند، تولت بعد موت زوجها الأمير «جهان كير محمد خان» سنة ١٨٤٤م، وتوفيت فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٦٨ م، ولما حجت فى سنة ١٨٦٣ م أنابت عنها بنتها جهان بيكم «المرجع السابق».

٢٨ – شاه جيهان بيكم، تولت إمارة باهوبال بعد وفاة أمها اسكندر بيكم، وتوفيت فى ١٦ يونيه سنة ١٩٠١م «المرجع السابق».

٢٩ – جيهان بيكم، أميرة ولدت فى ٩ أغسطس ١٨٥٨م، وتزوجت سنة ١٨٧٤م من الأمير أحمد على خان. وفى ١٦ يونيه ١٩٠١م اعتلت عرش إمارة «باهوبال». ثم تنازلت سنة ١٩٢٦م لابنها الأمير حميد الدين خان، لتقدم سنها، توفيت فى ١٢ مايو (آيار) سنة ١٩٣٠ م. «المرجع السابق».

ومثل هؤلاء ظهرت ملكات فى أندونيسيا، منهن ما يأتى:

٣٠ – صفية الدين تاج العالم، تولت سلطنة «آتشيه» بسومطرة سنة ١٦٤١م، وتوفيت سنة ١٦٧٥م «المرجع السابق».

---

(١) لفظ بيكم يعنى سيدة أو هانم، وقد يكتب: بيجوم.

٣١ – السلطانة تقية الدين نور العالم، تولت بعد وفاة السلطانة صفية الدين تاج العالم، وتوفيت سنة ١٦٧٨م، «مجلة المقتطف سنة ١٩٢٠م».

٣٢ – السلطانة عنايت شاه، تسلطنت على آتشيه وتوفيت سنة ١٦٨٨م «أعلام النساء».

٣٣ – السلطانة كمالات شاه، تولت سلطنة آتشيه بعد وفاة السلطانة عنايت شاه، ثم ثارت الرعية ضدها بحجة أن الشرع يحرم تولية المرأة، فخلعوها سنة ١٦٩٩م، وولوا الملك «الشريف جمال الدين».

هذه نماذج من النساء اللاتى حكمن أو تسلطن فى التاريخ الإسلامى، وكيف كان موقف الرجال منهن، وهناك غيرهن كثير فى بطون الكتب.

ولعل من تكملة الموضوع أن أذكر نماذج منهن فى التاريخ السابق على الإسلام، وفى الأوساط غير الإسلامية ممن برزن فى عالم الملك والسياسة، لنرى كيف كان تصرفهن وما آل إليه أمرهن مما يشهد بصدق الحديث فى عدم فلاح من ولوا أمرهم امرأة.

لقد كان فى مصر القديمة:

١ – حتشبسوت وقد تقدم الحديث عنها.

٢ – نفرتيتى.

٣ – كليوباترا «٦٩ – ٣٠ ق.م» وقد حكى التاريخ تنافس الناس على جمالها، وكيف تخلصت أخيرا من حياتها بالانتحار عن طريق الحية السامة «نساء شهيرات، سلسلة اقرأ رقم ١١٩».

وكان فى اليونان أيضا:

٤ – تيودورا، «٥٠٨ – ٥٤٨م» كانت ممثلة سيئة السلوك، أحبها «جوستنيان» وتزوجها فملكت عليه قلبه، وأتقنت فن المكيدة، وقتلت رجلا كبيرا كان يريد الملك. وهو «فيتاليان» فى حفل فيه خمر، أسرفت فى حكمها

وظلمت الشعب حتى جاع وثار عليها، ففكرت فى إقامة حفل للثائرين، ثم أمرت بقتلهم فيه، وأخيرا مرضت ثم ماتت «نساء شهيرات».

وكان فى فارس :

٥ – بوران، وقد تقدم الحديث عنها.

وفى الجزيرة العربية كان هناك قبل الإسلام:

٦ – بلقيس ملكة سبأ، والقرآن قص علينا بعضا من أخبارها، فى اعتمادها على مجلس الشورى. وفى اتصال سليمان بها ودعوتها لعبادة الله وحده وترك عبادة الشمس، ثم مجيئها إلى سليمان على ما حكاه القرآن، وليس ذكرها فى القرآن دليلا على صلاحيتها لتولى الملك، ولكن لأمور أخرى تكمل قصة سليمان عليه السلام. «اقرأ سورة النمل».

٧ – وهناك ملكة اسمها «زنوبيا» وقد اختلف فى اسمها هذا وفى نسبها، فقيل: إنها من سلالة كليوباترا، وقيل: من سلالة سليمان الحكيم، وكانت بارعة الجمال شديدة البأس، تزوجها «أُذَينه» سيد الشرق الرومانى. ولما قتل تسلمت الملك باسم ابنها «وهب اللات» وكانت حياتها فى أواخر القرن الثالث الميلادى «أعلام النساء».

٨ – ومن ملكات العرب قبل الإسلام أيضا «الزباء بنت عمرو» سميت بذلك لطول شعرها، واسمها مختلف فيه وكذلك نسبها، وقيل: إنها هى زنوبيا. وكانت ملكة على الشام والجزيرة من قبل الروم بعد قتل أبيها «عمرو بن ظرف» الذى قتله «جذيمة» والى «أزدشير» الفارسى [1]. «تاريخ الطبرى، والحيوان للجاحظ، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والأغانى للأصبهانى، وغيرها».

ومن شهيرات النساء فى هذا المضمار، فى غير المجتمع الإسلامى ما يأتى:

---

(١) وقصتها طويلة وطريفة لخصها من عدة كتب، الدميرى فى كتابه حياة الحيوان (عقاب).

٩ – مارى ستيوارت، ملكة اسكتلندة «١٥٤٢ – ١٥٨٧م» تزوجت ولها ست سنوات، من «هنرى الثانى» ملك فرنسا، ومات بعد عشر سنوات، فتزوجت فى بريطانيا «درانلى إيريل لنوكس» ولها علاقات حب مع عدد كبير من الشخصيات على الرغم من هذا الزواج، ثم تخلصت من زوجها فى حفل راقص أقامته فى ١٩ من فبراير ١٥٦٧م على يد «إيرل بوثول» الذى تزوجته على الرغم من معارضة النبلاء، ونفست على «اليزابيث» عرش بريطانيا. وبحيلة أعدمت فى ٩ من فبراير ١٥٨٧ م لاتهامها بمحاولة اغتيال «اليزابيث» «نساء شهيرات، سلسلة اقرأ».

١٠ – كريستينا، ملكة السويد «١٦٢٦ – ١٦٨٩م» سعت لإنهاء حرب الثلاثين بإمضاء معاهدة «وستفاليا» سنة ١٦٤٨م، كرهت الخضوع لحياة الزوجية، فتنازلت عن العرش سنة ١٦٥٤م، وولت ابن عمها «شارل كريستيان» لتعيش هى حرة، وتنقلت بين بلاد أوربا فى أوضاع مختلفة وسلوك شاذ، وغيرت من مذهبها الدينى، وعزمت بعد تطوافها على العودة إلى السويد، مطالبة بالعرش. وطالبت بعرش «نابولى» وحاولت أن تقود جيش «بولندة» ضد الروس، فمنعوها، وحاولت قيادة جيش من أتباعها فى الحروب الصليبية ضد الترك، ففشلت، وماتت بروما بعد علاقة حب برجل دين. «نساء شهيرات».

١١ – مدام دى منتنون «١٦٣٥ – ١٧١٩م» تزوجت لويس الرابع عشر فى يناير ١٦٤٨م بعد أن كانت مربية لأطفاله، اشتغلت بالتمثيل، ثم تحولت إلى الدير، ثم كرهها الشعب هى والملك، وذلك لكثرة الحروب وشدة البؤس. ولما مات لويس أقبلت على الخلوة والعبادة، وعند موتها شوهدت وهى تضحك، ولما سئلت عن ذلك قالت: أضحك على الأقدار «المرجع السابق».

١٢ – كاترين الثانية «١٧٢٩ – ١٧٩٦م» تزوجت ولى عهد روسيا، وكان معتوها لم يقدر على الإنجاب منها، فأكرهتها القيصرة «اليزابيث» على الاتصال بمن تشاء من الرجال لتنجب. وكان هذا أمرا مألوفا عندهم، فأحبت أحد الحرس

« جريجور » وأمرته بقلب الملك، وتولت هى زمامه وصارت « قيصرة » فأدخلت الحياة البرلمانية، وألغت الرق على الرغم من معارضة النبلاء، وأوفدت « جريجور » لحرب تركيا سنة ١٧٦٨م، فعشقت فى غيابه رجلا من القصر، ولما علم بذلك جريجور رجع، ولكنها حبسته. ثم تضارب العشاق عليها فى جلسة لعب الكرة، وأحبت أحد اللاعبين « بونمكين » وطمعت فى امبراطورية شرقية، فبعثت « بونمكين » لحرب تركيا فى عام ١٧٨٦م، ونعمت بعده بعاشق آخر اسمه « زبوف الصغير ». ولما عاد بونمكين طلب منها أن تصرف الشبان من حولها، فرفضت، فعاد إلى الحرب وتركها، ولما بلغت سن الخامسة والستين فى عام ١٧٩٤م تذكرت عشاقها الاثنى عشر. والثالث عشر الأخير، وكأنها ندمت على ماضيها المخزى. « المرجع السابق، وكتاب الفاتنات لحبيب جاماتى ».

١٣ – فيكتوريا ملكة بريطانيا « ٢٠ من يونيه سنة ١٨٣٧م » تولت وسنها ١٩ سنة، وأحبت « لورد ملبورن » ثم أرغمها خالها « ليوبولد » ملك بلجيكا على الزواج من ابنه « البرت » وقد سعدت به أخيرا بعد تمنع وكبرياء، ثم مات فقربت إليها من تشاء من الرجال، ومنهم « دزرائيلى »، « جلادستون » وماتت بعد أكثر من ٨٠ عاما.

ومن أخبارها أنها أحبت فيمن أحبت « براون » سائس أحد الاصطبلات وشاع غرامها به نحو ٣٤ سنة، ودفنته فى مقبرة عليها عبارات تقدير وثناء منها، وقيل: إنها تزوجته بعد وفاة زوجها الأمير « ألبرت ». وحذرها ابنها أمير « ويلز » من هذه العلاقة. وكانت قد تعرفت على « براون » عندما كان صبيا فى اصطبل بمزرعة « بالمورال » التى اشتراها الملك لها، وأعجبت بذكاء براون، وذلك سنة ١٨٤٨م فاتخذته سائسا خاصا لحصان الملكة سنة ١٨٥١م. وزاد إعجابها به لما تعثر جوادها فحملها هو على ذراعيه وهى تحيط عنقه بذراعيها حتى انتهى من الطريق الوعر.

وفى سنة ١٨٥٨م أصبح هو المرافق الخاص لها فى جولاتها داخل

اسكتلنده. ولما غار ابنها من هذه العلاقة وعاكسه كانت أمه فى صف براون. وكانت بنتها على نقيض أخيها تميل إلى براون، واسمها «أليس» لكن أمها منعتها من مشاركتها فيه.

ولما فارقت الملكة قصر «بالمورال» إلى قصر «وندسور» فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٥٨م، لم تعد تراه منذ ذلك الحين، ولما مات زوجها فى ديسمبر من العام نفسه حنت إلى «براون».

وفى صباح من ربيع سنة ١٨٦٣م لمحته من قصرها بجوار جوادها. وكانت الأميرة «أليس» قد استدعته من اسكتلنده دون علم أمها بذلك، فهشت له. ومنذ هذه اللحظة ولمدة ٢٠ سنة قويت علاقتها به. حتى توفى فى مارس ١٨٨٢م وعمره ٥٦ سنة، وتوفيت بعده بعشرين سنة [١] أى فى سنة ١٩٠٢م واليزابيث الأولى ملكة بريطانيا (١٥٣٣ - ١٦٠٣م) ماتت ولم تتزوج.

هذه نماذج من الملكات تعطينا صورة حياتهن يقينا بأنهن لا يصلحن للولاية العامة، وما يقال من نجاح بعض النساء اللائى هن الآن على قيد الحياة، فإن ذلك مجاب عليه بما ذكره البهى الخولى فى كتابه الذى أشير إليه من قبل.

(د) تولى المرأة الوزارة:

الوزارة من الولايات العامة، لأنها نيابة عن الحاكم العام، وقد اشترط العلماء فيها الذكورة، كما اشترطوها فى غيرها. وما قيل فى رياسة الدولة يقال هنا.

جاء فى كتاب «الأحكام السلطانية للماوردى ص ٢٧»: ولا يجوز أن تقوم بذلك، أى الوزارة، امرأة، وإن كان خبرها مقبولا، لما تضمنه من معنى الولايات المصروفة عن النساء، لقول النبى ﷺ «ما أفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة» ولأن

---

(١) دافيد دوف - أهرام ٢٢، ٢٣/٨/١٩٦٤ م.

فيها من طلب الرأى وثبات العزم ما تضعف عنه النساء، ومن الظهور فى مباشرة الأمور ما هو عليهن محظور . ا هـ .

وهذا فى وزارة التنفيذ، أما وزارة التفويض التى هى أشبه برياسة الوزارة فالمنع من باب أولى. وبعض الوزارات فيها ما يتطلب مواصفات خاصة فى الرجل لأهميتها وخطورتها، كوزارة الخارجية فى ديبلوماسيتها المعروفة، والتى تتطلب عناية خاصة بأسرار الدولة، لحسن علاقتها بالدول الأخرى، وليس كل رجل يصلح لها ولا لكثير من أجهزتها.

فهل تستطيع المرأة بوجه عام أن تؤدى هذه المهمة، وهى المعروفة بعدم ائتمانها على الأسرار، وعدم دقتها فى الإدلاء بالأحاديث، وعدم يقظتها عند إحاطتها بالأسئلة وتكاثرها ممن يحرصون على معرفة الأسرار. وذلك عند أكثرهن، وإن كانت هناك شواذ فهى لا تنقض الحكم على العموم.

وإلى جانب أن الواقع يؤيد ذلك، ذكر القرآن الكريم خبر إفشاء السر من بعض زوجات النبى ﷺ ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ** ﴾ [التحريم : ٣] وولى عمر بن الخطاب قدامة بن مظعون على الكوفة، وأمره ألا يخبر أحدا بذلك، فأخبر به امرأته، فنشرت الخبر فى المدينة بسرعة، حتى وصل إلى عمر، فسلب منه الولاية قبل أن يسافر ليباشر عمله فيها « محاضرات الأدباء ج١ ص ٧٥ ».

فليس من الحكمة تولية المرأة أمثال هذه المناصب الدقيقة، وإن كان المسلمون لم يحترموا هذا الهدى فخرجوا عليه كما خرجوا على كثير من نظم الدين (١).

---

(١) فى مصر عينت الدكتورة حكمت أبو زيد وزيرة للشئون الاجتماعية كأول وزيرة فى عهد جمال عبد الناصر. ثم تعاقبت على الوزارة الدكتورة عائشة راتب والدكتورة آمال عثمان.

وفى العراق عينت لأول مرة الدكتورة نزيهة الدليمى وزيرة للبلديات ١٩٥٩م وبعدها عينت الدكتورة سعاد خليل إسماعيل وزيرة التعليم العالى والبحث الاجتماعى، وفى السودان =

(هـ) قيادة الجيوش:

إذا كان الإسلام لم يفرض الجهاد المسلح على المرأة للاعتبارات التى ذكرت فيما قبل، فكيف يسوغ لها أن تطالب بأن تكون قائدة للجيوش، غير مكتفية بأن تجند فى صفوف المقاتلين؟

إن الحكم واضح لا يحتاج إلى أكثر مما سبق أن ذكرناه فى الصفحات السابقة، وحديث منعها من الولاية العامة إن لم يتناولها هنا، فإن أحاديث وضع الجهاد عنها كافية، وإن لم يكف كل ذلك فتكوينها الطبيعى يناديها فى صمت ناطق: اتركى هذا المجال لأربابه، أخشى عليك أن تشغلى بالبكاء على القتلى والجرحى عن تدبير الهجوم والكر وضبط المعركة.

فى بعض الأقوال الحديثة: دموع النساء أسلحة قاطعة، ومع ذلك لا تكلفهن خوض غمار الحروب (١).

(و) القضاء:

جرت مناقشة حول اشتغال المرأة بالقضاء، فى مجلس الخليفة عضد الدولة، قديما، كما جرت حديثا فى الأوساط القانونية والسياسية والشرعية، تطبيقا لمبدأ

= عينت السيدة أم سلمى سعيد نائبة لوزير الشباب والرياضة ١٩٧٧ ثم تولت الدكتورة فاطمة عبد المحمود منصب وزيرة الشئون الاجتماعية، ثم نائبة لوزير الرعاية الرياضية. وفى سوريا عينت الدكتورة نجاح العطار وزيرة للثقافة، وفى الأردن عينت السيدة أنعام المفتى وزيرة للتنمية الاجتماعية وهى المرة الأولى لتوزير امرأة فى الأردن «ملحق القبس ٣١/١٢/١٩٧٩».

ودخلت المرأة العربية السلك الدبلوماسى حوالى ١٩٥٤م، وكانت أول امرأة هى السيدة/ يسرية الخزجة العراقية، التى وصلت إلى منصب قنصل سنة ١٩٦٣، وأول ملحقة دبلوماسية فى السلك السياسى المصرى هى/ هدى المراسى، تسلمت عملها فى باريس فى أبريل ١٩٦٣، وهى خريجة كلية آداب عين شمس «القسم الفرنسي» ١٩٦٠م «أهرام ١٤/٤/١٩٦٣» والدكتورة عائشة راتب عينت سفيرة فوق العادة فى الدانمارك فى أكتوبر ١٩٧٩ ممثلة لجمهورية مصر العربية. تخرجت فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة ١٩٤٩ وعينت ثانى وزيرة للشئون الاجتماعية فى توفمبر ١٩٧١.

(١) الأهرام ٨/١١/١٩٥٩ «قالوا عن المرأة».

المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات على المعنى الذى يريده المشجعون لهذه المساواة.

وخلاصة الآراء الفقهية فى هذا الموضوع ثلاثة [1]:

الرأى الأول :

وهو رأى الجمهور، وعليه الأئمة مالك والشافعى وأحمد، أنه لا يجوز للمرأة أن تتولى القضاء. واستدلوا على ذلك بالحديث الوارد فى تنصيب المرأة ملكة وربط عدم الفلاح به كما مر ذكره، وإذا كانت ولايتها العامة ممنوعة فهى فى القضاء أولى. وقالوا: إن القضاء فيه مخالطة للخصوم من الرجال، ولا يجوز للمرأة مخالطتهم.

وقد نوقش هذا الدليل من قبل، وبهذا لم يسلم الاستدلال به. واستدلوا أيضا بما استدل به ابن تيمية حيث ذكر الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه «القضاة ثلاثة» والنص فيه على لفظ «رجل ورجل ...» حيث قال: هو دليل على اشتراط كون القاضى رجلا، وذلك أنه يدل بمفهومه على خروج المرأة.

قال ابن حجر فى «فتح البارى»: وقد اتفقوا على اشتراط الذكورة فى القاضى إلا عند الحنفية، واستثنوا الحدود. وأطلق ابن جرير، وقال الماوردى فى الأحكام السلطانية «ص ٦٥» عند الحديث عن اشتراط الذكورة فى ولاية القضاء: وأما المرأة فلنقص النساء عن رتب الولايات وإن تعلق بقولهن أحكام.

الرأى الثانى :

جواز قضائها مطلقا فى كل الأمور، ونسب هذا الرأى - كما فى الأحكام

---

(١) ملخصة من كلام الشيخ محمد فرج السنهورى فى حديث بإذاعة القاهرة صباح الأربعاء ٢١ من ذى الحجة ١٣٧٤ (١٠/٨/١٩٥٥م). ومن بحث الدكتور محمد رأفت عثمان فى مجلة الأزهر عدد صفر ١٣٩٢ هـ. ومن كلام آخرين وكتب متعددة.

السلطانية للماوردى وغيره – إلى ابن جرير الطبرى. وحجته أن الأصل أن كل من يتأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز، إلا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى. والمرأة كالرجل صالحة فى الأصل لتولى الأحكام والفصل بين الناس، وهذا حكم عام لا يخصصه إلا نص، وقد ورد النص فى حديث النهى عن تولى الإمامة الكبرى، وتم الإجماع على العمل بذلك، وما دام النص لم يستثن إلا الإمامة الكبرى وجب بقاء الأصل على حاله من الجواز. ولا مانع شرعا من فصل المرأة فى بعض المنازعات فلا مانع من قضائها.

ورد هذا الرأى بأن شهادتها إذا كانت على ـف من الرجل للمعنى الوارد فى القرآن. أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فهى لا تستقل بالحكم الذى هو نتيجة للشهادة، التى لم يكن لها أن تستقل بها إلا فى أحوال خاصة، وهى، وإن كانت عند تحمل الشهادة قد تكون مثبتة، إلا أنها عند الأداء قد تضل.

وعلق الماوردى فى «الأحكام السلطانية ص ٦٥» على هذا الرأى بقوله: ولا اعتبار بقول يرده الإجماع، مع قول الله تعالى ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ يعنى فى العقل والرأى، فلم يجز أن يقمن على الرجال.

هذا، ونص أبو بكر بن العربى على أن نسبة هذا القول إلى ابن جرير كاذبة، كما قال الشيخ محمد الخضر حسين [١].

كما استدل القائلون بهذا الرأى، بأن بعض البلاد الإسلامية ولت المرأة القضاء قديما وحديثا، مثل:

(أ) ثمالة أو ثملى، قهرمانة أم الخليفة المقتدر، التى كلفتها بأن تجلس

---

(١) الأهرام ٢٧/٦/١٩٥٣.

بالرصافة كل يوم جمعة للنظر فى المظالم، وكان يحضر مجلسها القضاة والفقهاء [١]. وقد تقدم الحديث عنها.

(ب) صابحة، تولت القضاء فى العراق. وهى بنت الشيخ داود وأول امرأة عربية شغلت هذه الوظيفة. توفيت فى نوفمبر ١٩٧٥ [٢].

(جـ) أمل الشيمى. تولت القضاء فى تونس [٣].

(د) مس روزما أحمد، تولت القضاء فى جاكارتا بأندونيسيا [٤].

(هـ) حميدة زكريا خريجة حقوق القاهرة أول قاضية عربية فى القضايا الجنائية والمدنية والأحوال الشخصية فى اليمن الجنوبى « مجلة العربى نوفمبر ١٩٧٥ ».

ويرد على هذا بأن عمل هؤلاء لا يعد حجة، لأنهم ليسوا من عصر الرسول، ولا من عصر الخلفاء الراشدين الذين وصانا الرسول ﷺ باتباع سنتهم. وبناء هذا الرأى على تطبيق المساواة بين الرجل والمرأة فى الولايات العامة كالمساواة فى الولايات الخاصة، وهو مردود بما سبق بيانه من أن طبيعة المرأة تمنع المساواة مع الرجل فى كل شئ.

الرأى الثالث :

جواز قضائها فيما تصح فيه شهادتها، وذلك فى القضاء التجارى والمدنى، وفى الجنايات التى فيها التعزير، لا فى الجنايات التى فيها حدود مقررة، كالقتل والزنى والسرقة، فإن شهادتها لا تجوز فيها.

وهذا الرأى وسط بين الرأيين، وهو منسوب لأبى حنيفة، روعى فيه رقة عواطف المرأة، وضعف أعصابها فى الأحوال الأخيرة التى تؤثر عليها أشد التأثير.

---

(١) تاريخ أمراء المؤمنين للسيوطى ص ٢٥٣، البداية والنهاية ج١١ ص ١٢٧، ١٢٨ .
(٢) الأهرام ٩ / ٦ / ١٩٦٤، أخبار اليوم ٢٢ / ١١ / ١٩٧٥ .
(٣) الأهرام ٢٢ / ١١ / ١٩٦٦ .
(٤) الأهرام ٨ / ١١ / ١٩٥٩ .

قال أبو بكر بن العربى: مراد أبى حنيفة ولايتها فى جزئية، لا أنها يصدر لها «مرسوم» بأنا ولينا فلانة فى الإقليم الفلانى لتحكم بين الناس. فمن استدل بذلك فقد استدل بزور على غير حق (١).

ووضح بعضهم رأى أبى حنيفة هذا فقال: هناك مسألتان، أولاهما تولية المرأة منصب القضاء، وهو غير جائز، بمعنى لا يجوز للحاكم أن يوليها هذا المنصب، وذلك كرأى الجمهور، بدليل الحديث المروى فى الولاية العامة، وثانيتهما نفاذ حكمها لو وليت، فقالوا: إذا أثم الحاكم فى توليتها فحكمت فإن حكمها ينفذ إلا فى الأمور التى لا تصح شهادتها فيها، وهى الحدود والقصاص، يراجع: فتح القدير «للكمال بن الهمام» ج٥ ص ٤٨٦ (٢).

وأرى: أنه على فرض قبول رأى أبى حنيفة أو الطبرى، فإن الأولى للمرأة ألا تشغل نفسها بهذا العمل، الذى يحتاج إلى فكر دقيق لا تتحمله إلا الأعصاب القوية، ويحتاج إلى وقت طويل للدراسة والإعداد لإصدار الأحكام، وأولى للمرأة أن تنصرف إلى مهمتها الأصلية التى هيأها الله لها، مع عدم وجود ضرورة لتوليها القضاء، فالرجال الأكفاء كثيرون: وهم أقدرمنها بلا شك، ذلك أن المرأة تتعرض إلى تغيرات نفسية كثيرة، لما يعتريها شهريا وغير شهرى من تغيرات بيولوجية، وقد أوصى الفقهاء ألا يحكم القاضى وهو متأثر النفس بما يؤثر بالتالى على عدالة الحكم وصواب الرأى، كأن يكون غاضبا أو جائعا أو محتاجا إلى النوم، أو حاقنا أو حاذقا بما يضغط عليه داخليا ويقلقه .. وهكذا.

ومن طريف ما يحكى عن عواطف المرأة وعدم لياقتها للمواقف الجدية العادلة المنصفة:

(أ) أنه لما طلبت الفرنسيات أن يكن قاضيات، استغل أحد المحامين رقة عواطفهن، فأخذ عندمرافعته يبكى ويتباكى، حتى أخذت القاضيات المناديل،

---

(١) محمد الخضر حسين فى أهرام ٢٧ / ٦ / ١٩٥٢ .

(٢) مجلة الأزهر عدد صفر ١٣٩٢ .

ومسحن الدموع، وحكمن عواطفهن قبل أن ينتهى الدفاع، فكن موضع العجب.

(ب) السيدة «ليبرتنبه أماثلا» رئيسة وفد «ناميبيا» فى الملتقى الأول للنساء العربيات والافريقيات، الذى عقد فى الجزائر سنة ١٩٧٤. عندما ألقت كلمتها لتبين ما يلاقيه شعبها من مآسى الاستعمار، بكت وغادرت المنصة، وكان جميع نساء الوفود الأفريقية يبكين أثناء إلقاء كلمتها، فأسرعت إليها السيدة «ماريكا عمرانى» حرم المحامى «على بومنجل» أول شهيد جزائرى، وقبلتها، وظلت الاثنتان تبكيان بحرقة [١].

وبعد.

فهذه هى المساواة التى تطالب بها المرأة، وهذه هى الحقوق التى نادت بها، وكونت من أجلها جمعيات، وبذلت جهودا كبيرة، أكتفى بالحديث عنها دون ذكر مطالب أخرى، فهى إما واضحة البطلان، وإما مثيرة للضحك، وشر المصائب ما يضحك.

إن نساء روما طالبن البابا بحذف عبارة «أطيعى زوجك» من مراسم الزواج لأنها تجرح شعور المرأة وتخدش كبرياءها يوم زفافها، على أن هذه العبارة ربما كانت مقبولة عندما كانت سعادة الحياة الزوجية قائمة على طاعة الزوجة لزوجها، أما بعد بناء السعادة على التفاهم بين الزوجين فلا بد من تغيير الألفاظ القديمة [٢].

لقد تمادت المرأة الحديثة فى المجتمع الإسلامى فى التنكر لدينها ولغتها وعاداتها، فطالبت بحذف «نون النسوة» من الكلام العربى، لتتم المساواة بين الجنسين. فهل بعد ذلك من هذيان؟.

---

(١) جريدة القبس الكويتية ٢٦/٣/١٩٧٤.

(٢) الأهرام ٥/١٢/١٩٦١.

أولى لنشاط المرأة، كما قدمت، أن يكون فى انتشال بنات جنسها من وهدة الجهل، ومن التردى فى مهاوى الرذيلة، ومن استغلال الرجال لأنوثتها فى مجالات تذهب بالشرف، أولى لها أن تحارب إدمان المرأة الخمور أو ما يشبهها، وأن تربى فيها احترام القيم والتمسك بأهداب الفضيلة والغيرة على الدين، أولى لها أن تبذل نشاطها فى أمثال هذه الميادين، فهو النشاط المنتج حقا، وأن تبتعد عن مزاحمة الرجال، فكفى ما هم فيه من آلام فى كفاحهم المر من أجل الحياة، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه، وكل ميسر لما خلق له، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون، وصدق رسول الله ﷺ فى قوله الحكيم «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت» رواه البخارى عن أبى مسعود.

إن المسلم ليخجل عندما يرى المرأة فى نشاطها الحاضر لا تدعو إلى فضيلة، بل بالعكس تدعو إلى رذيلة، يصور لها فهمها القاصر أنها فضيلة وضع معيارها تطور العصر، لا صلة لها بالدين، أليس من المؤلم أن يذهب وفد من نساء مصر إلى مؤتمر «نساء غرب أفريقيا» الذى عقد فى غينيا سنة ١٩٦١م، وجاء فى الأخبار أن إحداهن قامت بتعليم سيدات المؤتمر رقصة «الدبكة»، ولم تتخل عن لبس عمامتها البيضاء التقليدية. أهذه هى رسالة المرأة فى هذا المؤتمر؛ تعليم الفساد وتشويه سمعة مصر والإسلام.

يبدو أن الدين أصبحت فكرته مشوهة. وأن الفضائل صارت مسخا من أفكار تقدمية، لا بل أفكار تأخرية، لأنها عود إلى الجاهلية الأولى، والمرأة والرجل فى هذا سواء، ففى المصدر السابق «أهرام ١٦/٨/١٩٦١» أن الرئيس «سيكوتورى» الشيخ تورى - أقام حفلا لنساء هذا المؤتمر فى بيته، وافتتحه برقصة مع رئيسة المؤتمر، فهل يرجى الخير مع وجود هذه الأفكار، أو على يد هؤلاء الأدعياء.

* * *

الفصل الرابع

أضواء على النشاط النسوى فى العالم الإسلامى

المقصود من هذا الفصل هو إلقاء نظرة عامة على بعض النواحى لنشاط المرأة فى العالم الإسلامى، وليس المقصود منه هو الاستيعاب الشامل، ولا التاريخ المتكامل، فهو مجرد أضواء تلمع هنا وهناك فى سماء العالم الإسلامى، تكشف لنا صورا من نشاط المرأة، مع العناية بما كان فيه من ثورة على الأوضاع القديمة، ومجاراة للمرأة الغربية فى سفورها واندماجها فى الحياة العامة، اندماجا مس القيم الدينية والأخلاقية.

وقد استقيت كثيرا من المعلومات فى هذا الفصل، الخاصة بالنشاط الحالى، من مصادر متنوعة ككتب الرحالة، والتحقيقات الصحفية، والأخبار العامة التى تنقلها وسائل الإعلام المختلفة، والعهدة فيها على هذه المصادر، مع التنبيه على أن التغير يطرأ كثيرا على أوضاع أثبتها هنا فى حينها، ثم جاءها تعديل بأى نحو من الأنحاء، وبخاصة فى أسماء القيادات التى ظهرت فى هذا التغير، على أن ذكرى لأسماء بعض القيادات لا يعنى غمط حق الأسماء الأخرى التى قد يكون نشاطها أبرز، ولكنه هو الذى عثرت عليه فى المصادر التى قد يكون فى بعضها تضارب أو عدم توافق. فالمرجو مراعاة ذلك.

وسأبدأ بالحديث عن دول كل من القارتين الكبيرتين اللتين تضمان كثيرا من المسلمين وهما آسيا وأفريقيا، فليكن البدء بتركيا التى كانت زعيمة العالم الإسلامى بخلافتها العثمانية التى أطاح بها أتاتورك، ثم أثنى بمصر التى تأثرت بالاحتلال أو الغزو الفرنسى والإنجليزى فى وقت مبكر، وكان لهذا الغزر أثره فى المرأة على ما سبق بيانه فى أسباب السفور، ثم أذكر ثالثا «فارس» التى كانت بما تضم تحتها من مناطق ظهرت أخيرا فى شكل دول، من أكبر الدول ذات العلاقة بتركيا مركز الخلافة.

١ - تركيا :

لقد سبق الحديث فى الفصل الخاص بأسباب السفور، عن الحريم وصرامته فى تركيا وآثاره السيئة على المرأة والأولاد والمجتمع كله، وبينا أن سبب هذه الشدة فى معاملة المرأة لدى البلاط العثمانى بالذات هو سوء فهم الدين، ومحاولة تشبه السلاطين بالرسول ﷺ فيما خصه الله به من مزايا تكريمية لنسائه بحجب شخوصهن عن الأبصار، حتى لو لم يظهر من أجسامهن شئ، وذكرنا أن قسوة المعاملة جعلت النساء يتطلعن إلى الانفلات من هذه القيود، والخروج من السجن المظلم إلى ساحة الحياة بنورها الوضاء، وكانت الأميرات الأسيرات فى قيود الحريم أول من شجع حركة التمرد والتحرر من السفور فى مصر بالذات.

إن المرأة العادية فى تركيا لم تسفر بشكل عام إلا بعد حركة التحرير التى قام بها «أتاتورك» ليلحق تركيا بأوروبا فى التقاليد، وأسرف هو فى حركته. كما أسرف النساء فى التقليد، وسرت هذه العدوى إلى الدول التى كانت لها صلة بالدولة العثمانية.

يقول الباحثون: يبدو أن شخصية أتاتورك كانت توحى إليه بتحرير المرأة فقد كانت له مغامرات نسوية مشهورة. ذلك أنه منذ أن كان تلميذا كان يعشق النساء، وقد أحب إحداهن وهو مازال طالبا، ثم هجرها. ولما عين ملحقا عسكريا بالسفارة التركية فى «بلغاريا» انغمس فى اللهو، وعشق غانية، ثم هجرها. وأحب بنت الجنرال «كوماتشيف» ولكن غلظة طبعه صرفتها عنه، فأحبت السفير التركى «فتحى»، وكانت له قرينة اسمها «فكرية» تطوعت فى الخدمة العسكرية، وعاشت معه كزوجة تخدمه وتخدم أمه العجوز، ثم مرضت فتخلص منها بإرسالها إلى «ميونيخ» للاستشفاء، وراسلته ولكنه صد عنها، فعاودت المراسلة ولكنه عاد إلى الصد، فانتحرت على سفح تل تقوم عليه داره.

ولما استولى على أزمير وخلصها من اليونان جاءته فتاة مثقفة تسمى «لطيفة» دعته إلى أن يسكن معها فى دارها، فرضى بعد تمنع، وكانت هى واسطة

لمعاهدات بينه وبين فرنسا وإيطاليا، لأنها تجيد اللغة الفرنسية، فتزوجها، غير أن ثقافتها وتعصبها لفكرها، مع عصبيته هو وخشونته، أدت إلى الطلاق. فاشتغلت بالأعمال العامة، وعاد هو إلى النساء كى يبعنه الحب بثمن بخس[١].

وقد انتقد امبراطور ألمانيا «غليوم»[٢] حركة السفور فى تركيا، لمنافاتها لمركزها الإسلامى الكبير، فعندما زارها قابله على محطة «الركه جى» تلميذات ناهدات من «سلانيك»، وعندما قصد سوريا لزيارة قبر صلاح الدين تقدمت إليه ثلاث فتيات جميلات بباقة من الزهور، فتقبلها شاكرا بلسانه مع استياء قلبه، وأعلن ذلك لأحد وزراء تركيا وهم على مائدة الطعام، قائلا: إن قوة تركيا لا تقوم على المادة بقدر ما تقوم على صدارتها فى الإسلام، وقال: إن الاختلاط بين الجنسين يكلف مالا كثيرا لا تحتمله تركيا، والمرأة إذا لم تجد المال طلبته بأية وسيلة أخرى. وأظهر أن أوروبا مستاءة من الاختلاط عاجزة عن معالجته، وعجزها راجع إلى قوانينها[٣].

أسست السيدة «عفت حليم» رئيسة جمعية المرأة التركية فى مارس ١٩٤٧ م جريدة «كادين جازيتيزى» أى جريدة المرأة، وكان الغرض منها الدفاع عن حقوق المرأة، والخدمة النسائية، ورعاية الأطفال فى الميدانين الثقافى والاجتماعى، والعمل على حماية وتنوير الأتراك المقيمين فى الخارج، والتقريب والاتصال بالمرأة الشرقية، وكان لهذه الجمعية أثرها فى مكافحة الأمية بين النساء.

قام النساء إبان النظام السلطانى بإجادة بعض المهن، كصناعة السجاد، واتسعت حقوق المرأة بعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨م. ففتحت لهن المدارس،

---

(١) ومن عشيقاته امرأة تسمى صالحة (زوجة روشان أشرف أناى) وهى جركسية، وزاد مجونه فى قصر (دوله باغه) وغيره بعد استيلائه على الحكم (الرجل الصنم ترجمة عبد الله عبد الرحمن). ولد مصطفى كمال أتاتورك فى ١٣ / ٣ / ١٨٨٠م وتوفى فى ١ من أكتوبر ١٩٣٠م.

(٢) قيل: أنه فلهلم الثانى.

(٣) جريدة الأخبار للفاروقى، ٢٢ شعبان ١٣٤٧ هـ، سوريا.

والتحقن بوظائف الحكومة، وخدمن المجتمع. وعند قيام حركة التحرير فى تركيا آزرن الرجال، فلما قام النظام الجمهورى قامت جمعيات المرأة تطالب بالمساواة بالرجل.

وفى سنة ١٩٢٥ م قابل وفد منهن «كمال أتاتورك» وطلبن منه تغيير القانون لصالح المرأة، ومنع تعدد الزوجات، والمساواة فى الميراث مع الرجل. وقد استجابت الدولة لهن فى المساوة فى الميراث، ثم طالبن بالحقوق السياسية، فنالت المرأة فى سنة ١٩٣٠ م حق الانتخاب، وفى سنة ١٩٣٣م رشحت للبرلمان.

إن «خالدة أديب أيفا» تعتبر فى تركيا مثل «هدى شعراوى» فى مصر. وكانت فى سنة ١٩٥٣م تبلغ سن السبعين، وهى كاتبة سياسية. قابلت فى سنة ١٩٢٠م أتاتورك، وعملت معه، وعملت أيضا بوزارة المعارف حتى وصلت إلى درجة وزيرة مساعدة. وفى سنة ١٩٢٦ م هربت مع زوجها إلى أمريكا، لاتهامها بالتآمر على «أتاتورك»، ثم عادت إلى تركيا سنة ١٩٣٣، ونشطت فى الأعمال السياسية حتى صارت عضوا بالبرلمان[١]. ويقال إنها كانت سيئة السلوك، وكان زوجها (عدنان أديوار) من أنصارجمعية الاتحاد والترقى، وكانت على صلة غير شرعية بأتاتورك، كما كانت لها ترفيهات فى الجيش، وكانت هى وزوجها من أشد أعداء الإسلام (الرجل الصنم - تأليف ضابط تركى وترجمة عبد الله عبد الرحمن).

يقول الرحالة محمد ثابت فى كتابه «جولة فى ربوع المشرق الأدنى». طبعة ١٩٣٦م: أن النساء فى جنوب تركيا سافرات كالأجنبيات، وذلك بسبب الانقلاب الاجتماعى. وقال: إن الغازى «كمال» حرم الزواج بغير واحدة، وأباح للشاب انتقاء خطيبته، وحتم تعليم المرأة ومساواتها بالرجل فى العمل، والنساء فى «أنقرة» سافرات يختلطن بالرجال، ولكن فى رزانة وهدوء، ويقول: إن النساء

---

(١) ايزيس فهمى، فى مجلة المصور. ٣٠/ ١٠/ ١٩٥٣.

يسرفن فى التزين ويملن إلى الوقار على الرغم من السفور والاختلاط، وهو يمدح المرأة التركية، ويلاحظ أن كثيرا منهن يلبسن «ملاءات» ويضعن فوق الرأس قناعا كالستار، لكنه بدل أن يسدل على الوجه يرفع فوق الرأس... ويقول: فى المقاهى غناء تؤديه نساء يغطين رءوسهن بمنطقة بيضاء.

هذا ما كانت عليه المرأة التركية منذ أربعين سنة تقريبا، فكيف بها الآن؟ إن التطور السريع الذى جرى فى تركيا كفيل بنقل المرأة إلى درجة أعلى فى التمتع بحريتها الواسعة فى الميادين المختلفة، وإذا كان الدين قد طرح جانبا فى مسألة نص عليها القرآن صراحة، وهى عدم مساواة المرأة فى كل حال بالرجل فى الميراث، فكيف بالأمور الأخرى؟ إن الحواجز رفعت من طريقها فلتركض كما تشاء.

من أخبار المرأة هناك تولى السيدة «باهيزبوران» البالغة من العمر ستين سنة، والحاصلة على درجة الدكتوراه فى الاجتماع من أمريكا، رياسة حزب العمال، وهو التجمع اليسارى الوحيد فى تركيا، وكانت عضوا فى مجلس النواب منذ سنة ١٩٦٥ م حتى سنة ١٩٦٩[١].

وفى الوزارة التى تألفت فى مارس ١٩٧١ م عينت أول وزيرة تركية هى الدكتورة الجراحة: «نور كان اكيسول». فعينت وزيرة للصحة والشئون العامة. وتشغل المرأة التركية وظيفة «عمدة» أيضا مثل «ليلى أتاكا» عمدة أزمير، وقد توفيت أخيرا. «عديلة عايدا» تعمل مستشارة سياسية فى وزارة الخارجية، وكانت تقوم بعمل الوزير فى سفارة تركيا بالفاتيكان فى حال غيابه[٢].

٢ - مصر:

بدأ التفكير فى إصلاح المرأة المصرية على أثر الأفكار التى جاءت بها بعثة

---

(١) الأهرام ٢/ ١١/ ١٩٧٠.

(٢) أمانى فريد فى مجلة الشبان المسلمين مايو ١٩٧١م.

« محمد على » إلى أوروبا، فرأينا أخذ أفراد هذه البعثة وهو « رفاعة الطهطاوى » يدعو إلى تعليم الفتاة حتى تحسن إدارة البيت، وتستطيع أن تكسب ما يساعدها ويساعد زوجها، وحتى تشغل الفتاة عن الفراغ وما يلازمه من أقاويل وأوهام وغيرها.

ورأينا « على مبارك » يكتب كتابا فى المطالعة والتهجى طبع سنة ١٢٩١ وطبع ثانيا سنة ١٨٧٤م فيه فصول عن المرأة وحسن معاشرتها، وعن تعليم البنت حاجات المنزل وواجبات الزوجية، وعن تعدد الزوجات وتقييد الطلاق، ومن هذا الكتاب اقتبس « قاسم أمين » أفكاره، وكان يتعلم بالمدارس الابتدائية فى الإسكندرية إذ ذاك وسنه ثمان سنوات، ويقرأ هذا الكتاب الذى كان مقررا سنة ١٨٧٠م.

وكذلك كتب الشيخ « محمد عبده » فى جريدة « الوقائع » سنة ١٨٨١م عن الزواج والتعدد، الذى أجازه عند الضرورة وبشرط العدل، ونعى على التعدد الموجود فى زمانه، وتأثر بذلك قاسم أمين.

وفى عهد اللورد « كرومر » مندوب انجلترا على مصر من سنة ١٨٨٣ – ١٩٠٨ م نشر « دوق داركور » كتابه « مصر والمصريون » الذى تقدم الحديث عنه فيما سبق، وتولى الرد عليه قاسم أمين.

وأول تفكير للاهتمام بالمرأة كان فى تعليمها تعليما يلائمها، وكان ذلك فى عهد « محمد على » ثم عهد إسماعيل، على ما مر ذكره من قبل، وكانت البنت تذهب إلى المدرسة الابتدائية التى أنشأها على مبارك وهى سافرة، حتى إذا بلغت ثنتى عشرة سنة ذهبت بالبرقع. وخريجات هذه المدرسة لم يكن يلتحقن بعمل، فكان التعليم لمجرد التثقيف الذى يساعد المرأة على أداء واجباتها المنزلية.

ثم نشطت حركة التحرر النسوية على أثر كتابات قاسم أمين، كما مر ذكره من قبل فى الفصل الخاص بالدعوة إلى السفور، وكثر الكتاب فى هذا المجال، وكان أمثال « سليم سركيس » يكتب مقالات فى الصحف بأسماء نسائية

مستعارة. ودخلت المرأة معترك الحياة خارج المنزل، ونشطت فى خدماتها الاجتماعية، وكان بدء ذلك بإشراف نساء الأسرة المالكة.

ففى سنة ١٩٠٩ أنشئت «مبرة محمد على الكبير» تحت رعاية «عين الحياة» وأعضاء من الأسرة المالكة، وكانت مهمتها أولا هى العناية بالأطفال، وأنشأت عدة مستشفيات لهذا الغرض، وكان يتولى رياستها أميرات البيت المالك حتى سنة ١٩٤٠ حيث تولتها الأميرة «شويكار». وفى سنة ١٩٤٧م تولتها الأميرة فوزية بنت فؤاد، وهى الآن تحت إشراف الحكومة.

واشتركت المرأة المصرية لأول مرة فى الحركة الوطنية، وحضرت السيدات اجتماع الحزب الوطنى فى دار «اللواء» سنة ١٩٠٧ م[١].

وفى سنة ١٩١٠ م قامت ملك حفنى ناصف تنادى بوجوب النهوض بالمرأة على أن تكون رسالتها الأولى فى البيت، ولكن يجب تعليمها وتهذيبها ليمكن أن تشارك فى الحياة العامة بما لا يتعارض مع الدين ولا مع وضعها الطبيعى، وفى هذه السنة عقد مؤتمر فى «بروكسل» فى شهر سبتمبر حضرته السيدة: «انشراح شوقى» لاطلاع أوروبا على حقيقة الاحتلال وحقيقة الحركة الوطنية فى مصر[٢].

ولما كانت «ملك حفنى ناصف» من رواد النهضة النسوية سأذكر لها ترجمة موجزة فيما يلى:

باحثة البادية ملك حفنى ناصف:

ولدت بالقاهرة يوم الاثنين ٢٥ من ديسمبر ١٨٨٦م، وسماها أبوها «المفتش الأول بوزارة المعارف» بهذا الاسم تيمنا باسم السلطانة «ملك» التى كانت تزف، يوم ولدت، إلى السلطان حسين كامل.

---

(١) بثنية الطويل المحامية. أهرام ٦ / ١٠ / ١٩٦٣م.
(٢) أهرام ١٨ / ٦ / ١٩٥٦.

دخلت المدرسة السنية فى أكتوبر ١٨٩٣م. وسمح للبنات بدخول امتحان الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠م، فكانت أولى الناجحات بها، ثم دخلت قسم المعلمات لمدة ثلاث سنوات، ونالت الدبلوم، واستمرت فى التدريب سنتين «١٩٠٣ - ١٩٠٥م» فعينت مدرسة بالقسم نفسه، ثم تركت المدرسة سنة ١٩٠٧ م للزواج من عبد الستار الباسل رئيس قبيلة الرماح، ولم تهنأ بهذا الزواج، فقد كان متزوجا بإحدى قريباته ولم يعلم «ملك» بذلك، ثم طلقها وتربت بنته منها مع «ملك» ولكنه كان على اتصال بهذه القريبة المطلقة. وساءت معاملته لملك عندما لم ينجب منها، وقد تبين بعد فحوص طبية وعملية جراحية أن العقم منه بعد إنجاب بنته الأولى، كما يقول أخوها مجد الدين فى كتابه: تحرير المرأة فى الإسلام ص ٤٣، واستمرت تعانى ألم هذه المعاملة السيئة حتى اشتدت عليها الحمى، وهى فى زيارة أخيها الذى كان متهما سياسيا، فتوفيت فى أكتوبر سنة ١٩١٧م وسنها ثلاث وثلاثون سنة، وتوفى والدها فى فبراير ١٩١٩م ورثاها حافظ إبراهيم بقوله:

سادت على أهل القصور وسودت أهل القبور

كما أبنتها النساء فى الجامعة فى حفل برياسة هدى شعراوى.

كانت تجيد اللغتين الأنجليزية والفرنسية، وكانت شاعرة مجيدة، دعت إلى تعليم المرأة، ونشرت مقالات كثيرة حول هذا الموضوع فى «الجريدة». وبدأت تنشر قصائدها الشعرية ولم تتجاوز الثالثة عشرة سنة، وكان أول ما نشر لها من الشعر فى جريدة «المؤيد» داعية إلى المساواة بين الرجل والمرأة، ومقررة أن الإصلاح لا يكون طفرة، وكان مطلع هذه القصيدة:

بشرى لمصر فقد نالت أمانيها وأنجح الله بالحسنى مساعيها

وقالت فى النهى عن الطفرة:

لا تطفروا، بل أصلحوا فتيانكم وبناتكم وتسابقوا للأليق

ومن قولها فى الطلاق :

اليـوم عـرس باهظ نفـقـاتـه وغـدا تقـام قـضـيـة لمطلق

ومن قولها فى السفور :

هـل تطلبـون من الفتـاة سـفورها ؟ حسن ، ولكن أين بينكم التقى ؟
تخـشى الفـتـاة حـبـائلا منصـوبة غـشيـتـموها فى الكلام برونق
لا تتـقى الفـتـيـات كـشف وجـوهـهـا لكن فـسـاد الطبع منكم تتـقى

ومن نشاطها الاجتماعى تكوينها : اتحاد النساء التهذيبى . وقيامها بجمع التبرعات لمنكوبى طرابلس فى حرب الطليان ، وتعليمها لكثير من النساء فنون التمريض بمناسبة الحرب الكبرى ، وقد حضرت المؤتمر المصرى العام الذى عقده رياض باشا الكبير فى مصر الجديدة سنة ١٩١١ م[١] .

نعود إلى الحديث عن حركة التحرر النسوى فى مصر فنقول :

فى سنة ١٩١٤ م « ٣٠ من مارس » وضعت الأميرة « فاطمة بنت إسماعيل » الحجر الأساسى للجامعة المصرية الجديدة بالجيزة . والتحق بها النساء مستمعات ، ولم يسمح لهن بالانتساب إلا فى سنة ١٩٢٩م ، وقد حاضرت فى هذه الجامعة الآنسة نبوية موسى ، كما مر فى ترجمتها من قبل[٢] .

وفى سنة ١٩١٩ م تكونت هيئة النساء الوفديات ، للهتاف بأمانى مصر ، وقمن بمظاهرة يوم الأحد ١٦ من مارس ١٩١٩م ، كما قال الرافعى فى تاريخ

---

(١) تحرير المرأة فى الإسلام لمجد الدين ناصف ، أعلام النساء لعمر كحالة .

(٢) كانت الجامعة أولا مؤسسة أهلية ثم تسلمها فى ١٢ ديسمبر ١٩٢٣ وزير المعارف « زكى أبو السعود باشا » رسميا فصارت حكومية « روز اليوسف ١٠ / ١٢ / ١٩٧٣ » .

وكان عدد الفتيات فى الجامعة ٦ فى سنة ١٩٢٨م ، وكانت أول مصرية تخرجت منها فى الحقوق « نعيمة الأيوبى » وفى العلوم « عزيزة رضوان » وفى الآداب « سهير القلماوى » . وكان أول تخرج هو فى سنة ١٩٣٠م كما تقول د . لطفية الزيات فى أهرام ٢ / ١٢ / ١٩٧٠ ، وفى سنة ١٩٥٨ صار عدد فتيات جامعة القاهرة وحدها ٤٧٤٩ « أهرام ٢٥ / ١٢ / ١٩٥٩ » .

المرأة المصرية[1]، وذلك للاحتجاج على ما أصاب الثائرين من قبل، وكان عددهن حوالى ثلثمائة أمرأة[2]، وخرجن بمظاهرة أيضا يوم ٢٠ من الشهر نفسه. كما تظاهرن فى الشوارع ضد انتخابات «إسماعيل صدقى» وألقين فى السجون، وشفعت لهن «صفية زغلول».

وهذه الهيئة قل نشاطها أو انتهى بعد وفاة سعد زغلول ١٩٢٧م. وبعد وفاة زوجته صفية. ومن جاء بعد ذلك من رؤساء حزب الوفد لم يهتموا بالهيئة المذكورة كثيرا، وكانت رئيستها سنة ١٩٥١م حرم إسماعيل حب الرمان، ثم جاءت ثورة ١٩٥٢م فغيرت كل الأوضاع القديمة. وكانت «هدى شعراوى» عضوا فى هذه الهيئة عند بدء تكوينها، فانشقت عليها، وكونت «الاتحاد النسائى» الذى سيذكر بعد.

وفى سنة ١٩١٩ م أيضا تكونت جمعية المرأة الجديدة، لتعليم الفتيات الأشغال، والقراءة والكتابة. جاء فى مصور ٢٤ سبتمبر ١٩٥٤: أن شريفة هانم رياض بنت حسن باشا راسم وزوجة محمود بن رياض باشا، هى التى أنشأت جمعية المرأة الجديدة، بالاشتراك مع حرم محمد باشا موسى، وحرم راتب باشا، وحرم خياط باشا، وذلك لتعليم الفتيات الصغيرات، ولكن الجمعية تطورت، وبدأت تدعو إلى اشتراك المرأة فى الثورة، فعقدت اجتماعا نسويا فى الكنيسة

---

(١) أهرام ١٨ / ٦ / ١٩٥٦.

(٢) استشهد فى المظاهرة «حميدة خليل» فى يوم ١٤ مارس، كما تقول بثينة الطويل فى أهرام ٦ / ١٠ / ١٩٦٣، وعندما قام العمال بمظاهرة يوم ١٨ مارس استشهدت «سيدة حسن» من حى المناصرة. وفى ١١ من أبريل من العام نفسه شيعت جنازة ١١ قتيلا، منهم السيدة شقيقة محمد من سكان قسم الخليفة، كما يقول الرافعى فى كتابه عن الثورة المصرية، الذى نشرت جريدة الأهرام مقتطفات منه فى ١٨ / ٦ / ١٩٥٦ جاء فيها بعض أسماء المتوفيات فى مظاهرات ١٩١٩م، منهن: أم محمد بنت خالد، يمنى بنت صبيح من مركز منيا القمح. وفى ٢٨ من مارس ١٩١٩ قتلت فى حملة الأنجليز على «دنديط» حنيفة أم عجوة. وماتت ببلدة «تفهنا الأشراف» رقية بنت أحمد متولى وفى كفر الوزير السيدة بنت بدران، وفى مظاهرات ١٥ مارس ١٩١٩ بالفيوم ماتت: نعمات محمد وفاطمة محمود. وفى أسيوط فائقة عبد الله، نجية عبد الله.

المرقسية فى مارس ١٩١٩م لتأليف لجنة السيدات لمساعدة الثورة، وكانت برياستها. وتوفيت فى سبتمبر ١٩٥٤م. أ هـ.

وفى سنة ١٩٢٣ م «١٦ من مارس» تكون الاتحاد النسائى، أسسته «هدى هانم شعراوى» بعد انفصالها عن هيئة النساء الوفديات، وبعد ذهاب المصريات إلى الاتحاد الدولى بروما سنة ١٩٢٣م[١] وذلك كما تقول «أمانى فريد» سنة ١٩٤٧ فى كتاب المرأة المصرية والبرلمان[٢].

وأهداف الاتحاد، كما ذكرتها هدى شعراوى فى حفل تأبين باحثة البادية ملك حفنى ناصف، هى:

١ – مساواة المرأة بالرجل فى التعليم.

٢ – إصلاح قانون الأحوال الشخصية[٣].

٣ – مساواة الرجل فى الانتخاب والنيابة.

والوسيلة لتحقيق هذه الأهداف هى النشاط فى الدعاية، وإقامة حفلات الاستقبال، وحضور المؤتمرات النسائية الدولية.

وأنشأ الاتحاد لهذا الغرض مجلتين، واحدة بالفرنسية، وأخرى بالعربية سنة ١٩٢٥م. وعقد بمصر المؤتمر النسائى العربى فى ديسمبر ١٩٤٤ لبحث حقوق النساء وقضية فلسطين، وكافح الاتحاد لإدخال الفتاة الجامعة، وأسس مدرسة

---

(١) تاريخ الأحزاب النسائية بمصر – خيرية خيرى، مجلة آخر ساعة ١٧ / ١ / ١٩٥١ م وكان معها فى هذه الرحلة سيزا نبراوى، نبوية موسى، كما يقول مجد الدين ناصف فى كتابه تحرير المرأة فى الإسلام ص ٨٠.

(٢) وكان عدد العضوات المؤسسات ١٢ فى مقدمتهن: شريفة رياض وإحسان القوصى وسيزا النبراوى التى أصدرت باللغة الفرنسية جورنال «الاجيبيسيان» لسال حال المرأة المصرية (هدى المهدى – أهرام ٩ / ١٢ / ١٩٩٧٧).

(٣) طالبت بتعديل قانون الأحوال الشخصية سنة ١٩٢٦، وتتلخص المطالب فى: الحد من تعدد الزوجات، الحد من فوضى الطلاق، رفع سن حضانة البنت حتى زواجها، إلغاء بيت الطاعة.

للبنات، وله دار، فيها ناد وقاعة للمحاضرات ومكتبة، وكان عدد أعضائه سنة ١٩٥١ حوالى ١٢٠ سيدة.

وسأذكر ترجمة قصيرة لهدى شعراوى لأنها من كبار الرائدات فى الحركة التحررية للنساء فى مصر، وتأثر بها كثيرات فى الأقطار الأخرى.

هدى شعراوى:

هى هدى بنت محمد سلطان باشا رئيس أول برلمان مصرى وحاكم الصعيد العام، ولدت بالمنيا سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٨٢م). تقول هدى المهدى ولدت فى ٢٣ يونيه ١٨٧٩م وتوفى والدها وسنها خمس سنوات، وكان زواجها بغير علم منها إلا قبيل إعلانه بنصف ساعة وقد كان زوجها على شعراوى وصيا عليها (أهرام ٩ / ١٢ / ١٩٧٧).

وتربت فى القاهرة، تعلمت التركية والفرنسية فى بيت أبيها، ولم تدخل المدارس، تزوجت وسنها ١٣ سنة على شعراوى باشا أحد أعضاء الجمعية التشريعية الذى توفى يوم ١٤ مارس ١٩٢٢م. سافرت إلى عدة بلاد، وساهمت فى جمعية مبرة محمد على، وجمعية المرأة الجديدة، وكانت صديقة لباحثة البادية ملك حفنى ناصف، اشتركت فى ثورة ١٩١٩م. وكان يوم ١٦ مارس من السنة نفسها يوما مشهودا عندما حاصرت القوات البريطانية مظاهرة النساء بقيادتها أكثر من ٣ ساعات وكن نحو ٣٠٠ سيدة.

كانت هدى أول مصرية تنزع الحجاب، وكان ذلك باقتراح سيزا نبراوى[١] وتشجيع زوج بنتها عند العودة فى القطار من الاسكندرية إلى القاهرة بعد حضور مؤتمر روما، ونزعت معها الحجاب زميلاتها ومنهن نبوية موسى.

---

(١) سيزا نبراوى اسمها: زينب محمود مراد – صباح الخير ٦ / ٢ / ١٩٧٥ اشتركت عام ١٩٣١م فى مظاهرة نسائية ضد إلغاء الدستور وعودة دستور ١٩٢٣م، وهى أول من عارضت استخدام القنبلة الذرية فى مؤتمر «انترلاكن» وفى سنة ١٩٥١م أصبحت عضوة فى لجنة أنصار السلام المصرية، كما انتخبت عضوا فى مجلس السلام العالمى «أهرام ١٢ /٣/ ١٩٨٧م».

ونشرت صورهن فى مجلة اللطائف المصورة واعترض عليها الكثير «آخر ساعة ١١ / ١٢ / ١٩٧٤».

وكان ممن أثر فى أفكارها قرينة رئيس الوزراء إذ ذاك حسين رشدى. وهى فرنسية كتبت عن مصر كتابين: الحريم المسلمات، المطلقات. وربما كان مما أثر على أفكارها أنها تزوجت صغيرة على الرغم منها، حيث كان على شعراوى يكبرها كثيرا، فانفصلت عنه سبع سنوات، وعادت بعد تهديد أخيها لها أنه لا يتزوج حتى تعود هى إلى زوجها، فعادت إليه، وفكرت فى مباشرة النشاط الاجتماعى سنة ١٩٠٩ كما تقول زميلتها سيزا نبراوى فى المجلة المذكورة. وأرادت أن تحرر كل النساء من الحجاب، فأنشأت جمعية الاتحاد النسائى العربى سنة ١٩٢٣ م (فى ١٦ مارس – ذكرى مظاهرة ١٩١٩م)، وأنشأت المجلتين المشار إليهما، وشاركت فى المؤتمرات الدولية سنة ١٩٢٦، ١٩٢٨م. ومن المؤتمرات التى شهدتها: برلين ١٩٢٣، جراتسى ١٩٢٥، باريس ١٩٢٦، أمستر دام ١٩٢٧، برلين ١٩٢٩، مرسيليا ١٩٣٣، اسطنبول ١٩٣٥، بروكسل ١٩٩٣٦، بودابست ١٩٣٧، كوبنهاجن ١٩٣٩، انترلاكن ١٩٤٥. جنيف ١٩٤٦ (هدى المهدى – أهرام ٩ / ١٢ / ١٩٧٧) وكذلك فى المؤتمر العام للمرأة الشرقية سنة ١٩٣٨ ومؤتمر سنة ١٩٤٦م. توفيت سنة ١٣٦٧ هـ (١٢ من ديسمبر ١٩٤٧م).

ونعود إلى الحديث عن نشاط المرأة فنقول: فى ١٩٢٨ تأسست جمعية رعاية الأمهات والأطفال (أهرام ١٩ / ٣ / ١٩٧٥ ص ١٢ – مع المرأة) وفى سنة ١٩٣٦ أنشئت الجمعية النسائية لتحسين الصحة، واهتمت بالأمراض الصدرية ورئيستها «ليلى دوس».

وفى سنة ١٩٣٩ م كونت لجنة من السيدات جمعية الهلال الأحمر، على أثر زلزال تركيا سنة ١٩٣٩، وذلك لجمع التبرعات للضحايا، ورئيسة اللجنة «حرم سرى باشا» من سنة ٣٩ – ١٩٤٩م.

وفى سنة ١٩٤٢ تأسست مبرة الأميرة «فريال» بجهود «سنية هانم عنان»، وذلك لمساعدة الأسر الفقيرة.

وفى سنة ١٩٤٤ م تكون الحزب النسائى الوطنى، برياسة «فاطمة نعمت راشد»، وذلك للمطالبة بحقوق المرأة السياسية، وكانت فى الاتحاد النسائى، ثم انفصلت عنه. وهذا الحزب كان يضم حوالى ٣٠٠ عضو فى سنة ١٩٥١م، وبه جامعيات كثيرات. ووسيلته فى تحقيق أغراضه هى الدعاية، وليس له أثر بارز فى هذا المجال كما تقول «خيرية خيرى»[١].

وفى سنة ١٩٤٩م أنشئ «اتحاد بنت النيل» برياسة «درية شفيق» بنت أحمد شفيق باشا، من زملاء «قاسم أمين»[٢]، وذلك للمطالبة بحقوق المرأة فى الحياة النيابية. ووسيلته كوسيلة الهيئات السابقة فى الاعتماد على الدعاية والحفلات... وكان من آثاره العمل على محو الأمية. وبلغ عدد أعضائه حوالى ٥٠٠ فى سنة ١٩٥١م. وله مدرسة ليلية لمحو الأمية بها حوالى ١٥٠ شخصا إذ ذاك.

ثم قامت أخيرا شابات ثائرات أكثرهن من خريجات الجامعة، يطالبن بحقوق المرأة والنهوض بها ثقافيا واجتماعيا، ومن أبرزهن «أمينة السعيد» التى

---

(١) مجلة آخر ساعة ١٧ / ١ / ١٩٥١.

(٢) بعد حصولها على ليسانس الآداب عملت مدرسة فى كلية البنات بالإسكندرية، ثم مدرسة فى المدرسة السنية، وبعد حصولها على الدكتوراه، رفض عميد كلية الآداب «أحمد أمين» تعيينها بالكلية، فعملت مفتشة بوزارة المعارف. واشتغلت بالصحافة، وأنشأت مجلة «بنت النيل» ١٩٤٥م وطالبت بتعديل قوانين الأحوال الشخصية، ونادت بتقييد تعدد الزوجات وإلغاء بيت الطاعة.

تزوجت من ابن خالتها الدكتور نور الدين رجائى المدرس بكلية الآداب، على صداق قدره ٢٥ قرشا لثورتها على غلاء المهور، وأنجبت منه بنتين (عزيزة، جيهان). وقامت برحلات ثقافية فى أوروبا وأمريكا «مجلة آخر ساعة ٢٤ / ٩ / ١٩٧٥» طلقت من زوجها وعاشت وحدها فى شقة بالزمالك (٨ شارع صلاح الدين) وتوفيت لسقوطها من الشرفة، حصلت على دكتوراه من السربون برسالة «المرأة فى الإسلام» «أهرام ٢١ / ٩ / ١٩٧٥».

تعيب على الجمعيات الأخرى جمودها وخمودها وانحيازها إلى الصالونات. وقد بدأت حياتها الجامعية فى نوفبر ٣٢ وشجعها الأساتذة على الجرأة وكسر التقاليد.

وإلى جانب هذه الجمعيات التى لم تبال فى نشاطها ومطالبها بالدين كثيرا، تكونت «جمعية السيدات المسلمات» فى العقد الرابع من هذا القرن برياسة «زينب الغزالى» وكان الغرض من إنشائها النهوض بالمرأة المسلمة من النواحى الثقافية والأخلاقية عن طريق المحاضرات والدروس، وقد انفصلت عنها بعض السيدات وكون جمعية أخرى بهذا العنوان نفسه. وحلت الجمعية الأولى فى عهد الثورة، لأسباب سياسية.

هذا، وقد ظهرت فى مصر أديبة ذات شهرة كبيرة، تردد على صالونها كثير من الأدباء، وكانت تخصص له يوم الثلاثاء من كل أسبوع، اسمها «مى زيادة» سنة ١٨٨٦ - ١٩٤١م، ولكن نشاطها كان أدبيا محضا، لا صلة له بتطور المرأة ونشاطها الاجتماعى، وكان من رواد صالونها: محمود تيمور، مصطفى الرافعى، طه حسين، العقاد، محمد حسين هيكل، لطفى السيد، وإسماعيل صبرى[1].

وجاءت الثورة المصرية فى ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢م بمبادئ جديدة، فعملت على إعطاء المرأة حقوقها ومساواتها بالرجل، وتخليصها من التخلف الذى عاشت فيه، فقررت فى دستور ١٦ يناير ١٩٥٦: حق المرأة فى النشاط السياسى، وصدر القانون رقم ٧٣ بجواز تقييد اسمها فى جدول الانتخاب.

وجاء الميثاق الوطنى المعلن فى ٢١ من مايو ١٩٦٢م مؤكدا ذلك فقال: إن المرأة لابد أن تتساوى بالرجل، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة، حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية فى صنع الحياة.

وبذلك كثر عددهن فى مجلس الأمة، ففازت سيدتان فى انتخابات سنة

---

(١) الأهرام ٢/ ١٢ / ١٩٧٠م.

١٩٥٧، وثمان فى سنة ١٩٦٤ واثنتان سنة ١٩٦٩، وسبع سنة ١٩٧١[١].
ووصلت المرأة إلى منصب الوزير، فكانت الدكتورة «حكمت أبو زيد» أول وزيرة للشئون الاجتماعية ١٩٦٤[٢]. وكانت الثانية هى الدكتورة «عائشة راتب» بالقرار الجمهورى الصادر فى ١١/ ١١/ ١٩٧١. وبعدها الدكتورة آمال عثمان.

وكثرت الجمعيات النسائية فى عهد الثورة، فكان عددها سنة ١٩٥٨ حوالى ١٢٦، منها ٥٤ فى القاهرة: ١١ فى الإسكندرية، ٦١ فى الأقاليم، وكانت أغراضها مختلفة[٣].

وقد قرر المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى دورته سنة ١٩٧٠ إنشاء اتحاد نسائى ضمن الاتحاد الاشتراكى، وصدر قرار جمهورى من الرئيس أنور السادات فى ٢٠ مايو ١٩٧١ بتشكيل نظام نسائى فى الاتحاد الاشتراكى «مادة ٨».

ومازال نشاط المرأة يزداد فى كل القطاعات، وبخاصة فى الشئون الاجتماعية، حتى صار فى الجمهورية حوالى ١٩٠ جمعية، كما صرح بذلك مدير النشاط الاجتماعى بوزارة الشئون الاجتماعية «كمال حسنى»[٤]. وبرز فى هذا النشاط السيدة «جيهان السادات» حرم رئيس الجمهورية.

٣ - فارس:

كان الحجاب موجودا فى فارس من قبل الإسلام كما تقدم فى ص ٣١. مع التشدد فيه، ويرى بعض الكتاب أن الحجاب عند العرب قد انتقل إليهم من فارس، ولكن كيف لا يكون العكس وبلاد العرب كانت مهد الأديان الحريصة

---

(١) من العضوات البارزات «مفيدة عبد الرحمن» ولدت بالقاهرة سنة ١٩١٤ وتخرجت فى كلية الحقوق سنة ١٩٢٩، وكانت أول محامية أمام النقض، وأول سيدة شغلت منصب عضو مجلس إدارة بنك الجمهورية، (أهرام ٨/ ٦/ ١٩٦٤).

(٢) منبر الإسلام صفر ١٣٨٩ «أبريل ١٩٦٩م».

(٣) جريدة الشعب ٢٧/ ١١/ ١٩٥٨.

(٤) أهرام ٢٦/ ٨/ ١٩٧٠.

على الحجاب، وجاء الإسلام فزاد من حرص الفرس عليه وتمسكهم به، وظلو على ذلك آمادا طويلة، تمسكا بالقديم وتنفيذا لتعاليم الدين، وتشبها بالخلافة العثمانية التي بالغت فيه على النحو المتقدم.

ويحكى لنا الرحالة ناصر خسرو المتوفى سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١م) والذى زار مدينة «طبس» بين نيسابور وأصفهان: أن المرأة لا تخاطب إلا زوجها أو قريبها، وإذا ثبت أن رجلا وامرأة لا قرابة بينهما دار بينهما حديث فإن جزاءهما القتل[١].

ويروى التاريخ أنه فى القرن السابع الهجرى جلس على العرش السلجوقى «غياث الدين كيخسرو» وتزوج بأميرة جورجية اسمها «تامار»، وهام بها حبا، وأمر بضرب صورتها على النقود، إلا أن وزيره ذكره بعاقبة ذلك فى نفوس الشعب، فأشار عليه بضرب الشمس رمزا لها، وكان ذلك. وكان العلم الإيرانى إلى الآن عليه الشمس وبجوارها الأسد رمز السلطان. فالعملة والعلم الإيرانيان خلدا هذه القصة، وهى قصة الحب «حسين مجيب فى: فارسيات وتركيات». لكن وجدت بعد ذلك دعوات ضد الحجاب، تحمس لها بعض المفتونين من النساء والرجال، وتطور هذا التحمس حتى أيدته الحكومة، واعترفت بالسفور مظهرا من مظاهر النهضة والتطور.

ومن أكبر دعاته «قرة العين».

وهى أم سلمى بنت الحاج ملا صالح البرغانى، ولدت فى قزوين سنة ١٢٣٠ هـ أو ١٢٣١ هـ من أسرة علمية شيعية، وتزوجت الملا محمد إمام الجمعة، وهو الابن الأرشد لعمها الحاج ملا تقى. وأغراها عمها على الانتماء إلى الطريقة الشيخية. ذهبت إلى كربلاء سنة ١٢٥٩هـ، وبدأت تعلم الرواد، ثم مالت إلى التبتل، وكانت دعوتها إلى السفور فى خطبة لها فى قرية «بدشت»

---

(١) كتاب: الرحالة المسلمون لزكى محمد حسن.

جاء فيها: مزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم... واصلوهن بعد السلوة، وأخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة، فما هن إلا زهرة الحياة الدنيا، وإن الزهرة لابد من قطفها وشمها، لأنها خلقت للضم والشم، ولا ينبغى أن يعد ولا يحد شاموها بالكيف والكم، فالزهرة تجنى وتقطف، وللأحباب تهدى وتتحف.

وكذلك دعت فى خطبتها إلى اشتراكية المال وعدم احتكاره... إلى أن قالت: ساووا فقيركم بغنيكم، ولا تحجبوا صلاتكم عن أحبابكم، إذ لا ردع الآن ولا حد ولا منع، ولا تكليف ولا حد، فخذوا حظكم من هذه الحياة فلا شئ بعد الممات.

ولما سمع الناس هذا الخطاب علا ضجيجهم، وانصرف عنها الكثيرون، قبضت عليها الحكومة وأمرت بحلق أطراف رأسها، وربطت بقية شعر قمتها بذنب بغل، وأتى بها مسحوبة على هذه الحال إلى المحكمة، وصدر الحكم بإحراقها حية، ولكن الحكومة أمرت بتأخير إحراقها إلى ما بعد موتها، فخنقوها، ثم ألقوها فى النار حتى صارت رمادا، وكان ذلك فى شوال سنة ١٢٦٤ هـ. وكان من رأيها جواز تزوج المرأة بتسعة رجال مرة واحدة[١].

إن هذه المرأة متشبعة بالمذهب الدينى القديم لما زدك الذى كان ينادى بالشيوعية فى المال والنساء، وانضمت إلى النحلة البهائية التى يحكى لنا المسيو «هيوارت» فى دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية أنها تجوز السفور والاختلاط والكلام مع النساء الذى لا يستحب أن يزيد على ٢٨ كلمة، كما نقله شكيب أرسلان، وكما كانت تدعو بقولها إلى السفور نفذته فعلا، فقد تزينت ووقفت مستعدة للخطبة، وأوحت إلى خادمتين برفع الستار الذى كانت تخطب من خلفه فى مبدأ أمرها، فظهرت كالشمس، ثم قالت، أى بأس فى ذلك. ألست أختكم، ومتى احتجبت أخت عن أخوتها؟

---

(١) أعلام النساء لعمر كحالة.

لقد كان لجمالها أثر كبير فى جذب الناس إلى البهائية، وهددها زوجها بالطلاق لتفانيها فى هذه الدعوة، لكنها لم ترجع، ولما فرت من وجه الاضطهاد إلى بغداد نزلت عند المفتى الألوسى وكان الناس يتهمونها بالسوء، وإن كان الألوسى لم يستطع أن يصدق قول الناس فيها لبراعتها فى التقية التى يقول بها الشيعة(١).

وكذلك كان من دعاة السفور الشاعر الفارسى «عشقى» الذى قتل سنة ١٩٢٣م وهو ابن ثلاثين سنة، كان يقول: الحجاب بلاء يجب التخلص منه، فلا فرق بين امرأة عليها حجابها، وأخرى مدرجة فى كفنها.

ويذكر الأستاذ حسين مجيب فى كتابه «فارسيات وتركيات»(٢): أن «زيبا هانم جميلة» حظية الشاه ناصر الدين، وهبها لرجل من الدولة هو «الحاج حسين» فعاشت معه فى حرية تامة، واستقبلت الزائرات، وقد زارتها «مدام ديولافوا» الكاتبة الفرنسية التى رحلت إلى إيران سنة ١٨٨١ م وصادقتها فباحت لها بأسرار الحياة فى حريم الشاه.

وكانت «زيبا» إحدى ثلاث نساء صحبن الشاة إلى أوروبا، فقصت على الكاتبة أخبار الرحلة، وكل ما خفى على الناس منها، ذكرت أن الشاه لما عزم على الارتحال، وودعه كل الحريم تأثر لمنظرهن الباكى، وعزم على إلغاء الرحلة، ولكن طبيبه الخاص «تولوزان» وبعض الحاشية شجعوه، خوفا من العار عند الأوربيين.

وقالت «زيبا»: إنها لما ذهبت إلى موسكو لم ترها، لعدم مفارقتها للسفينة، والحجرة التى أسدلت عليها الستائر، ولما نزلنا موسكو نزلت قصرا عظيما مع الخصيان الذين قاموا بخدمتنا، وقالت: إن الشاه تبرم بنا فى تجواله

---

(١) مجلة الأزهر محرم ١٣٧٣ هـ.

(٢) هو أستاذ الأدب الفارسى والتركى بجامعة عين شمس (جريدة الاخاء الإيرانية فى أول نوفمبر ١٩٧١م ص ٤٣) وقد زار إيران فى هذا العام بمناسبة الاحتفال بمرور ٢٥٠٠ سنة على تأسيس الشاهنشاه الإيرانية.

بأوروبا، فأرسلنا إلى فارس. ولما عاد إلى الوطن كان مسرورا، فخلد ذكرى هذه الرحلة بعمل كرة أرضية من الذهب، وعليها البلاد التى زارها معلمة بفصوص من الجواهر.

قويت حركة السفور التى دعت إليها قرة العين وأيدتها النحلة البهائية، وتشيع لها الشاعر عشقى، فانتهت إلى أن أصدر الشاه «بهلوى» قرارا بإلغاء الحجاب فى ١٧ داى سنة ١٣١٤ هـ الموافق ٧ من يناير سنة ١٩٣٥م. وحضر الاحتفال السنوى بدار المعلمين، وكان يضم الملكة وكريمتيه الأميرتين: أشرف وشمس، وهن سافرات. وكان البوليس يمزق الحجاب إذا رأى امرأة تلبسه، وكان الحجاب عبارة عن ملاءة كبيرة تستر كل جسمها، ولم يظهر غير وجهها، ويسمى «الشادور». وقلد النساء الأميرات فى السفور.

ولما احتلت انجلترا جنوبى إيران عاد الحجاب إلى الظهور، رجوعا إلى القديم الذى غيره الشاه بهلوى بالقوة. غير أن النساء المتعلمات قاومن الرجوع إليه، وذلك بمساعدة العصبة الدولية للنساء والمؤتمرات الأخرى، وألفن مجلسا للنساء الإيرانيات يدعو إلى السفور. وألفت فى طهران «جمعية اتحاد النساء الوطنيات». وأصدرت مجلة بهذا الاسم، وأنشأت فروعا فى عدة جهات، كما أصدرت مجلة أخرى فى أصفهان باسم «المرأة الحديثة» ومجلة «بنات إيران» فى شيراز[١].

يقول الرحالة محمد ثابت: فى كرمان شاه اختلاط بين الجنسين، والنساء نصف محجبات، يلبسن إزارا كأهل العراق، لكن النقاب عبارة عن شبكة من قماش أسود مقوى، تقف مائلة أمام الوجه، وجلهن متبذلات بسبب الفقر، والنساء فى طهران نصف سافرات، يلبسن الإزار المهفهف، وعلى الوجه ظلة مخرمة أفقية، وقليل من الزى الأفرنجى، وهن أكثر حرية من العراق اهـ. ولكن كل ذلك تغير فى الأيام الأخيرة.

---

(١) المصور ١٨ يناير ١٩٥٢.

ومن أشهر الجمعيات النسائية هناك «جمعية ٧ يناير» أو «كانون بنوان» التى تأسست سنة ١٩٣٥ تخليدا لذكرى نزع الحجاب بقرار الشاه بهلوى، كما تقدم. وفى سنة ١٩٥٩ كانت رئيسة الجمعية هى السيدة «غامار ناصر» زوجة وزير المالية إذ ذاك، والسكرتيرة هى السيدة «كاميلا أبشار»، وقد زارتا القاهرة يوم ٢١ / ١ / ١٩٥٩[١]. والسيدة الرئيسة ترأس تحرير مجلة الجمعية أيضا، وتشترك فى ١٢ جمعية أخرى، منها: جمعية «الأسد والشمس» المماثلة للهلال الأحمر فى رسالتها الطبية، وجمعية «الأميرة ثريا الخيرية»، «اللجنة الخيرية الإيرانية الأمريكية» وجمعية «حماية الأمومة والطفولة» والجمعية النسائية الدولية.

وكانت هذه السيدة ترتدى الحجاب، وخلعته قبل صدور القرار بثلاث سنوات[٢].

ومن الجمعيات النسائية «جمعية الطريق الجديد» أنشئت سنة ١٩٥٤م للمطالبة بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل فى الحقوق السياسية، وهى تهتم بتقييد الطلاق، ومنع تعدد الزوجات، وجعل حضانة الطفل لأصلح الأبوين، كما تحكم المحكمة. ورئيسة هذه الجمعية هى الدكتورة «مهرا نجيز دولتشاهى» وهى دكتورة فى الفلسفة. تجاهد لتعديل قانون الأحوال الشخصية، وتضم الجمعية ٥٠٠ عضو، ولها عدة فروع، ومعظم الأعضاء من مدرسات الجامعات وناظرات المدارس والأديبات. ومن أهداف الجمعية التأهيل المهنى للمسجونات ورعاية أطفال الأسر الفقيرة.

ومن أعضاء الجمعية مدام «أزام يانهى» التى قالت: إن فى إيران ١٧ هيئة نسائية[٣]، يضمها اتحاد يسمى «زمانية هامكارى زنانية» برياسة الأميرة

(١، ٢) الأهرام ٢٢ / ١ / ١٩٥٩.

(٣) فى القبس ١٠ / ٣ / ١٩٧٥ أن الجمعيات الآن ٣٦ كما قالت: هازندنرد حرم سفير إيران فى الكويت.

«أشرف». ويلاحظ أن هذه السيدة أم لخمس بنات، ولم ترزق بمولود ذكر، وهى تقول: بصفتى أما لخمس بنات من مصلحتى الدفاع عن حقوق المرأة[1]. ويبدو أن هذه الحالة النفسية هى التى دفعتها إلى هذا النشاط، بصرف النظر عن تعاليم الدين، كما سيطرت هذه الحالة أو العقدة على نساء غيرها حاولن أن يثبتن أنهن لسن أقل من الرجال، بناء على توجيه آبائهن لهن إذ حرم من إنجاب الذكور.

هذا، والرأى العام الدينى فى إيران ضد النشاط النسوى فى الحقل السياسى، جاء فى أهرام ٢٤ / ٣ / ١٩٦٣: أن اشتباكا وقع أمس بين مجموعة من النساء ورجال الدين فى «تبريز» شمالى شرقى إيران، عندما قام كثير من النساء بمظاهرة ابتهاجا بحصولهن على حق المساواة بالرجال. ولا شك أن غزو الثقافة الأجنبية وتغلغل الاستعمار فى إيران وغيرها طور المرأة تطويرا كبيرا فى الفكر والسلوك.

وجاء فى محلق خاص بالأهرام عن إيران صدر يوم الأحد ٢٦ من مارس ١٩٧٢: أن المادة العاشرة من قانون الانتخاب القديم كانت قد حرمت المرأة من حق الانتخاب، وصنفتها مع المجانين والقتلة، أو الذين يمتهنون مهنا غير شريفة، وبعد إعلان مبادئ الإصلاح الجديد سنة ١٩٦٣م أعطيت المرأة حق الاقتراع والترشيح.

وخلال الدورة البرلمانية الثانية والعشرين كان لها سبعة مقاعد فى المجلس الوطنى ومقعدان فى مجلس الشيوخ[2]. وفى سنة ١٩٦٩م كان هناك وزيرة واحدة وثمان مديرات عامات، وتسع مديرات صحف ومجلات، وخمس

---

(١) الأهرام ٢٥ / ٢ / ١٩٥٩.

(٢) فى أهرام الثلاثاء ٢٠ / ٢ / ١٩٧٣: مناما شمس الملوك مصاحب، التى عاشت حياتها بدون زواج، درست فى إيران وأمريكا وكندا، وكانت أول إيرانية تحصل على دكتوراه الفلسفة من جامعة طهران، عملت منذ حوالى ٣٠ عاما فى حقل التعليم، وهى الآن، علاوة على أنها عضو فى مجلس الشيوخ، رئيسة إدارة التعليم فى مؤسسة «بهلوى».

قاضيات، واثنتا عشرة محامية، وثمان فى السلك الديبلوماسى، وتسع عشرة رئيسة بلدية.

وفى العام الدراسى ٦٩ / ١٩٧٠ بلغ عدد طالبات الجامعات والمعاهد العالية ٦٩٤٩ من مجموع ٦٧٣٦٩ طالبا وطالبة، ٤٤١٥١ معلمة من مجموع ١١٥٨٠٧، وهناك ٢٠ عالمة فى الفيزياء والكيمياء، ٤٤٣ مهندسة، ٧٦ عالمة فيزيولوجيا، ١١٢٤٣ طبيبة وعاملة فى الطب، ١١ عالمة إحصاء ورياضيات، ٣٨٢٩٤ قاضية وحقوقية ومعلمة، ٨٥ مؤلفة وصحفية وكاتبة. وهناك مجندات فى الشرطة.

٤ - الهند وباكستان:

كانت باكستان مع الهند دولة واحدة، ثم انفصلت عنها فى ١٤ من أغسطس سنة ١٩٤٧م، وظروف المرأة المسلمة فى كلتا الدولتين واحدة، من حيث الحقوق التى جاء بها الإسلام، والحركات التى قامت أخيرا فى عالم النساء.

دخل الإسلام أرض الهند فى القرن الأول الهجرى، وقامت هناك دولة إسلامية استمرت قرونا طويلة، وقد زارها ابن بطوطة فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى «توفى سنة ٧٥٤ هـ» فوجد هناك مدارس لتعليم البنات. ففى مهذب رحلته «ج ٢ ص ١٧٧»: أنه وجد فى «هينور» على ساحل الملابار، أن الناس كلهم يدينون بالمذهب الشافعى، وأن كل النساء يحفظن القرآن، ورأى فى المدينة ثلاثة عشر مكتبا لتعليم البنات وثلاثة وعشرين مكتبا لتعليم الأولاد، كما مر ذكره فى ص ٢٢٣.

تقول «البيجوم لياقت على خان»[١] زوجة أول رئيس وزراء للباكستان، ومؤسسة الجمعية النسائية الباكستانية، فى خطاب ألقته فى النادى النسائى الهولندى فى أمستردام «١٨ / ٢ / ١٩٥٦»: أن الحركة النسائية تتخذ طابع

---

(١) لفظ بيجوم ويعنى سيدة أو هانم، وقد يلفظ: بيكم.

التطور التدريجى دون الطابع الثورى، فالمرأة لا تحاول معاداة الرجل، وليست المشكلة هى الحصول على حقوق جديدة أو الاعتراف بوضع جديد، لأن الإسلام كفل هذا كله منذ أكثر من ١٣٠٠ سنة[١].

إن المرأة المسلمة فى الهند وباكستان تمتعت بحقوقها التى كفلها الدين. وتاريخ الهند مملوء بأسماء سيدات بلغن القمة فى الفن والعلم والإدارة. ومنهن السلطانة «رضا» التى كانت أميرة فى عهد أسرة العبيد، التى حكمت البلاد فى القرن الثالث عشر حكما قويا، فقد قادت السلطانة «رضا» جيشها فى عدة معارك، وماتت فى الميدان فى الحروب الأهلية فى باكستان، أى فى المنطقة التى صارت ضمن باكستان أخيرا.

وما كانت المرأة الهندية فى عهدها الطويل تهتم بالحجاب، فإن السلطانة «رضية» كانت تركب سافرة كما كان يركب الرجال، وتقدم الحديث عنها رقم ٢٣ فى النساء الشهيرات فى الملك والسياسة.

ومن النساء الشهيرات فى تاريخ الدولتين البيجوم «جولياداد» مؤلفة كتاب «ذكريات» عن أخيها امبراطور هو مايون وحياته.

ومنهن السلطانة «سليمة» الشاعرة الفارسية المشهورة، والسلطانة «شاند» ملكة «دكن» التى حاربت جنود «أكبر خان» عندما هاجمت مملكتها.

وفى القرن السابع عشر ظهرت «نور جيهان» زوجة «جيهانجير» التى كانت مشهورة بالتجديد فى الفنون، فى السجاد والجواهر والملابس، وما زال نساء باكستان إلى الآن يحذون حذوها، تقدم ذكرها.

ومما يدل على مكانة المرأة فى الهند إلى جانب توليها السلطة، القبر المسمى «تاج محل»:

تاج محل:

قبر بناه فى «أجرا» التى تبعد عن «نيودلهى» حوالى ٢٠٠ ك م، الإمبراطور

---

(١) مجلة رسالة الباكستان ١٤ أغسطس ١٩٥٦.

«شاة جيهان» «١٦٢٨ – ١٦٥٨م» وهو من أحفاد تيمور لنك المغولى، بناه لزوجته المحبوبة «أرجمند بانو بيكم» التى كانت تلقب بسيدة القصر المختارة أو الممتازة، وكانت ابنة رجل من فارس هو آصف خان شقيق نور جيهان، وكان رئيسا لتشريفات قصر الامبراطور.

لقد سمى هذا القبر أولا «ممتازى محل» بلغة أكرا، ثم حرف إلى ممتاجى محل، وانتهى بعد الاختصار إلى «تاج محل»، وهو يعد من عجائب الدنيا، استغرق بناؤه ستة عشر عاما، وقيل: اثنين وعشرين عاما، واشتغل فيه اثنان وعشرون ألفا من العمال، جمع إلى جمال الهندسة وروعة البناء نفاسة المواد التى بنى بها، وتكلف حوالى مائة وخمسين مليونا من الجنيهات، غير المرمر الذى أهداه له «مهراجا جايبور»، وله أربع منارات بأركان السور، ارتفاع المنارة مائة وتسعون قدما، تميل قليلا الى الخارج حتى لا تقع على القبة إن حدث ما يهدمها من زلزال ونحوه.

توفيت اثناء حملة زوجها شاه جيهان على الدكن، عندما جاءها المخاض فى طفلها الرابع عشر، وكان ذلك حوالى سنة ١٠٤٠ هـ «١٦٣١م» كما هو مكتوب على قبرها.

ولما كان زوجها مغرما بالبناء، بنى لها هذا القبر، كما بنى منشآت أخرى، حتى أفلس وسجنه ابنه سنة ١٦٥٨م، وتولى الملك بعده، وظل فى السجن ثمان سنوات، فى برج الياسمينية، فى قلعته الشهيرة، التى بناها فى تسع سنوات، وتضم مدينة واسعة بمساجدها وقصورها وحدائقها وكان سجنه فى غرفة بها نافذة يطل منها عبر «نهر الجمنه» على قبر زوجته، حتى مات ودفن بجوارها سنة ١٠٧٦هـ «١٦٦٦م» كما هو منقوش على قبره[١].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة: أوراجزيب. ومجلة العربى سبتمبر ١٩٧٢، ومجلة الرائد ٨/٨/١٩٧٤ بقلم سليمان مظهر الذى زار القبر. ورحلات محمد ثابت.

وفى القرن التاسع عشر نهضت الحركة النسوية، فقامت «البيجوم محمدى» بإصدار مجلة أسبوعية اسمها «تهذيب النساء» سنة ١٨٨٦م، دافعت فيها عن حقوق المرأة.

وفى سنة ١٩١٢ م دعت «بيجوم يوبال» عددا من نساء العالم إلى اجتماع بمدينة «عليكره» قامت على أثره المؤسسة المعروفة باسم «مؤسسة جميع سيدات الهند». وقد مثلت «البيجوم جاهانارا شاه نوار» نساء الهند فى مؤتمر عقد بلندن سنة ١٩٣٠، ١٩٩٣٢م.

وقد اعترف الدستور سنة ١٩٣٥م بتمثيل المرأة فى جميع الهيئات التشريعية. وفى سنة ١٩٤٩م أسست «بيجوم لياقت على خان» جمعية «نساء مجموع الباكستان»، ولها فروع فى الباكستان الشرقية «حاليا بنجلاديش» والغربية. ولها نشاط كبير فى الميادين الثقافية والاجتماعية(١).

والمرأة الباكتسانية كانت تباشر نشاطها وهى مرتدية «البرقة» وهى ستار يكسوها كلها، مع ثقوب أمام عينيها، وهو زى شائع ترتديه الفتاة منذ الثالثة عشرة، لكن هذا الزى اختفى الآن أو كاد، وكذلك كانت المرأة الهندية تحرص عليه، وحتى سنة ١٩٥٧ كن يذهبن إلى لجان الانتخاب محجبات(٢).

هذا، وكان سيد أمير على متأثرا بحركة التحرير فى مصر وبآراء قاسم أمين، فنقل بعض آرائه إلى باكستان. وكان يسمى الحجاب كفنا.

وجاء فى مجلة «رسالة باكستان» بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٥٦: أن المرأة الباكستانية تتمتع بحق الانتخاب ولها مقاعد فى البرلمان، وأن نسبة تعليم المرأة ٧، ١١٪، وفى باكستان الغربية عشرة نواد للأمهات، وفى ١٢ من ديسمبر ١٩٥٥ كان عدد فروع الحزب النسائى فى باكستان الغربية ٢٦، والدور الصناعية التابعة لها ١٤ دارا، وفرع الجمعية فى باكستان الشرقية «بنجلاديش الآن» يتبعه

(١) جورج شفيق - الأهرام ٢٥ مارس ١٩٤٥م.

(٢) صورة منشورة فى مجلة المصور ٢٢ مارس ١٩٥٧م.

١٥ فرعا. وفى «داكا» مؤسسة ابتدائية للبنات، وفصول لمحو الأمية للبالغات، ومكتبة متنقلة، ووضع حجر الأساس لمستشفى «اكرام خاتون» لرعاية الأمومة فى ديسمبر ١٩٥٥م.

٥ - مالديف:

مالديف مجموعة جزر صغيرة فى المحيط الهندى، عدد سكانها فى سنة ١٩٦٩م حوالى ١٣٥ ألفا، وكانت مملكة مستقلة فى القرن الرابع الهجرى كما يقول المسعودى فى كتابه «مروج الذهب» اعتنق أهلها الإسلام فى القرن السادس الهجرى على يد الشيخ الحافظ «أبو البركات» يوسف البربرى. من بلاد المغرب، الذى وفد إليها مع بعض تجار العرب، وقابل السلطان، ودعاه إلى الإسلام، فترك البوذية وأسلم أخيرا، وأمر أن يكون الإسلام هو الدين الرسمى فى البلد، وذلك فى ٢ من ربيع الآخر سنة ٥٤٨ هـ ١١٥٣م)، وهم الآن جميعا مسلمون، ولا يسكن بلادهم غير مسلم.

ومن أعظم ملوكهم السلطان «محمد تكرفان الأعظم» الذى حرر البلاد من استعمار البرتغال فى القرن السادس عشر، والسلطان «على رسجفان» الذى استشهد فى معركة ضد البرتغال، «حسن عز الدين» الذى حرر البلاد من الاحتلال الملابارى فى القرن الثامن عشر، «السلطانة خديجة رهندى» التى حكمت ٣٥ سنة فى القرن الرابع عشر الميلادى، وقد تحدث عنها ابن بطوطة فى رحلته، انظر رقم ٢٥ من نساء شهيرات فى الملك والسياسة.

فرضت بريطانيا عليها الحماية سنة ١٨٨٧م، ثم استقلت ذاتيا سنة ١٩٤٨م، وحصلت على استقلالها الكامل فى ٢٦ يوليو ١٩٦٥ بعد ٧٨ عاما من الاحتلال، وانضمت إلى الأمم المتحدة فى العام نفسه، فكانت العضو رقم ١٧٠، وأعلن النظام الجمهورى فى ٢٠ شعبان ١٣٨٨ هذ (١١ نوفمبر ١٩٦٨)، وانتخب السيد / إبراهيم نصار رئيسا للجمهورية فى سبتمبر ١٩٦٩م، وكان

رئيسا للوزارة فى النظام السابق الملكى، الذى انتهى بحكم الملك محمد فريد الأول[١].

أمر رئيس الجمهورية بإشراك المرأة فى الحكم، كما أمرها بنزع الحجاب، وفى مجلس الشيوخ إحدى قريباته، وهى متعلمة بمصر، وفى مجلس النواب خمس نساء.

وفى برقية وكالة الأنباء العربية من نيودلهى فى ١٦ / ١ / ١٩٥٣ أنها فى أول يوم من العام الجديد كان أول مظاهر نهضتها إلغاء الحجاب المسمى «البردة» ليتيسر للنساء الاشتراك سافرات فى الاحتفال بمولد الجمهورية العربية المتحدة «مصر»[٢].

وقد تحدث عنها ابن بطوطة باسم جزر مالديف، أو ذيبه المهل، وجاء فى مهذب رحلته «ج٢ ص ٢٠٠»: أن نساءها لا يغطين رءوسهن، ولا سلطانتهم تغطى رأسها، ولا يلبس أكثرهن إلا «فوطة» واحدة تسترهن من السرة إلى أسفل، وسائر أجسادهن مكشوفة، وكذلك يمشين فى الأسواق وغيرها. وهن يعبن من تغطى رأسها. وذكر ابن بطوطة جهاده فى نهيهن عن ذلك. وجاء فى ص ٢٠٢ من المهذب أيضا أن سلطانة مالديف هى خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين البنجالى، وكانوا يدعون لها فى الجمعة على المنابر، كما ذكر فى ص ٢١٠: أن المطلقة تمكث فى دار مطلقها حتى تتزوج غيره. وغير ذلك ابن بطوطة لما ولى القضاء عليها.

٦ - أندونيسيا:

انتشر الإسلام فى أندونيسيا فى القرن الثالث عشر الميلادى، وكانت الأديان الوثنية منشرة فيها، ثم وقعت تحت النفوذ الأجنبى من برتغاليين وأسبان وانجليز

---

(١) هذه المعلومات التاريخية من عدة مصادر، منها: مجلة النجم الثاقب التى تصدرها مدينة البعوث الإسلامية.

(٢) جريدة المصرى ٧/١/١٩٥٣.

وفرنسيين وهولنديين منذ أواخر القرن الخامس عشر حتى استقلت فى ١٧ من أغسطس سنة ١٩٤٥م.

ومن مزيج العادات والتقاليد القديمة والوافدة من الغرب تأثرت المرأة الأندونيسية، وقد زار ابن بطوطة هذه البلاد فى النصف الأول من القرن الرابع عشر، قبل أن يتمكن الإسلام منها تماما، ورأى مظاهر سفور المرأة واضحة.

وكان من أول زعيمات النهضة النسائية فى أندونيسيا سيدة تدعى «رادن أجينج كارتينى» التى ولدت فى ٢١ من أبريل ١٨٧٩م فى ظل الحكم الألمانى، وكانت العادة أن تظل البنت حبيسة البيت حتى تتزوج، لكن والدها سمح لها بدخول المدرسة الابتدائية، وفى نهاية القرن التاسع عشر كان هناك حوالى ١٢ بنتا أندونيسية فى المدارس الألمانية، وعندما بلغت «رادن» الثانية عشرة تركت المدرسة، ولزمت البيت، ولم تقبل منحة قدمت إليها لتتعلم فى أوروبا.

رأت كثرة تعدد الزوجات والطلاق لأوهى الأسباب. وجهل المرأة وعبوديتها، فافتتحت، بمساعدة أختها، أول مدرسة للبنات فى أندونيسيا. وشجعت تعليم المرأة لتساعد فى نهضة الوطن.

وفى سنة ١٩٠٣م تزوجت، وافتتحت مدرسة ثانوية، إلا أنها توفيت سنة ١٩٠٤م، وكانت حياتها وأفكارها التى جمعت فى كتاب «من الظلام إلى النور» منهجا لكثير ممن جاء بعدها، وكانت متمسكة بدينها حريصة عليه كل الحرص، فقد حرضتها صديقتها الهولندية على ترك دينها، فأرسلت إليها خطابا جاء فيه: ثقى يا سيدتى أنى باقية على دينى، وأدعو الله أن يشملنى بتوفيقه، فيلهمنى القوة على حمل الآخرين على احترام ديننا الذى من شأنه أن يحبوه[١].

وفى سنة ١٩١٢م فتحت عدة مدارس تحمل اسم «كارتينى». ومنذ سنة ١٩٢٠م قبلت المرأة فى المدارس العالية، وتخرجت أول دكتورة فى القانون سنة

---

(١) لواء الإسلام يوليه ١٩٤٩م.

١٩٢١م، وفى الطبيعة سنة ١٩٢٢م، ثم شاركت المرأة فى العمل الاجتماعى. واضطهد كثير من النساء فى الحركات السياسية، ونفين إلى جزيرة «إيريان» غينيا الجديدة.

وبعد إعلان الاستقلال تكون «اتحاد نساء اندونيسيا» سنة ١٩٤٦م. وكان للمرأة فى سنة ١٩٤٧م ٢٨ مقعدا فى البرلمان الأقليمى، وفى مقدمتهن السيدة «رسونه سعيد»، التى قالت عند القبض عليها: أيها الرجال إن كنتم تخافون العذاب والسجون فكونوا نساء لنكون نحن رجالاً بدلكم. كما كان للمرأة مركزان فى الوزارة. وكانت السيدة «أرتاتى سوديرجو مرزوقى» ممثلة بلادها فى الأمم المتحدة.

وأول وزيرة مسلمة هى «ماريا أولنا سانتوزر» للشئون الاجتماعية، ثم وزيرة للعمل. إلى جانب رياستها لا تحاد نساء أندونيسيا. وفى نوفمبر سنة ١٩٥٠ تكون اتحاد وطنى لنساء أندونيسيا يضم جميع المنظمات النسائية.

ومن الجمعيات النسائية: الجمعية العائشية أسستها السيدة/ عائشة هلال سنة ١٩١٦م، وجمعية المسلمات، التابعة لحزب نهضة العلماء، وجمعية المسلمات الوصيلة، وجمعية المسلمات المحمدية، وتقول زوجة وزير الدفاع الأندونيسى عند زيارتها لمصر سنة ١٩٦١: إن عدد الجمعيات النسائية فى أندونيسيا أربعون جمعية، لرعاية الطفولة والأمومة، تحت لواء اتحاد واحد يسمى «كونجرس وانيتا»[١].

وتعد السيدة الحاجة/ «رحمة اليونسية»، زعيمة من كبار الزعماء المسلمات فى أندونيسيا، أنشأت مدارس كثيرة للبنات، منها مدرسة لإعداد الواعظات والمدرسات سنة ١٩٢٢م، وكانت أول نائبة برلمانية عن سومطرا، وقد توفيت قبل عام ١٩٧١م.

---

(١) الأهرام ١٣/ ٧/ ١٩٦١.

وكانت «مس روزما أحمد» أول امرأة تقلدت منصب القضاء بمحكمة جاكارتا، وفى أندونيسيا كلها، وجاء فى أهرام ٨ / ١١ / ١٩٥٩: أن أول حكم حكمت به كان ضد سائق سيارة بنزين خالف قواعد الحمولة، وعندما توسل إليها المتهم كيلا تحكم عليه بالسجن لأنه يريد الزواج من حبيبته، غيرت العقوبة إلى الغرامة فقط. وهذا يدل على تأثير عواطف المرأة على فكرها.

كما جاء فى أهرام ٧ / ١ / ١٩٦٣: أن الحكومة أرسلت تعليمات إلى حكام الأقاليم بالسماح للنساء بتولى مناصب رؤساء مجالس القرى، والمناصب الرسمية التى ترقى إلى مستواها.

وفى أندونيسيا كليات خاصة للمعلمات، يلبسن الملابس الطويلة، مع تغطية الرأس وكشف الوجه. والفتاة الآن تتعلم مع الفتيان فى الجامعات سافرة مع لبس آخر «مودة» دون تخرج، وفى كلية الدعوة بجامعة «سورابايا» فتيات يلبسن الملابس الوطنية مع كشف الرأس كالعادة الشائعة[١]. وكان فى مجلس النواب ٢٤ عضوة «الأهرام ١٤ / ٤ / ١٩٨٨م».

٧ - ماليزيا:

ماليزيا مجموعة تضم بلاد الملايو وأجزاء من جزر أخرى بجوارها وبجوار أندونيسيا، والنظام فيها ملكى يختار فيها الملك بالانتخاب لمدة معينة[٢]، وقد

---

(١) أكثر هذه المعلومات مستقاة من:
كتاب: ما هى الديمقراطية؟ المطبوع فى نيويورك سنة ١٩٥٥م.
كتاب: هذه أندونيسيا، لأحد طلابها فى مصر، وهو رسالة جامعية.
مجلة: صوت أندونيسيا عدد ١٠ سنة ١٩٥٧.
زيارتى لأندونيسيا فى أكتوبر ١٩٧١.
أهرام ٢٤ / ١٢ / ١٩٥٣، ٨ / ١١ / ١٩٥٩ وأعداد أخرى.
مجلة الشبان المسلمين فبراير ١٩٦٨.
مجلة لواء الإسلام يونيه ١٩٤٩.
ومصادر أخرى...

(٢) الاتحاد الماليزى فيه ١٣ ولاية، تسع منها تنتخب الملك لمدة خمس سنوات، والسلطان الحالى هو: عبد الحليم معظم شاه بن السلطان عبد الحميد «جريدة القبس الكويتية ٢١ / ١٠ / ١٧٤».

دخلها الإسلام على يد تجار العرب الذين نشروا الإسلام فى أندونيسيا أيضا، وفى كل البلاد والثغور التى مروا عليها. والجنس المالى كله مسلم، وهناك أجناس أخرى بعضها مسلم والآخر على وثنيته البوذية.

بدأت تظهر حركة النساء المسلمات سنة ١٩٤٦م عندما أنشئت «منظمة الملايو المتحدة» التى كان من بين أعضائها عدد من النساء المسلمات، كان لهن دور كبير فى انتخابات ٥٥، ٥٩، ١٩٦٤م. واشتركت هى فى انتخابات سنة ١٩٥٩ ففازت امرأتان فى البرلمان الفيدرالى، هما: فاطمة هاشم[١]، وحاجة زين، التى تلقب بالأم، لأنها تعتبر أم النهضة النسائية فى ماليزيا، كما نجحت خمس مرشحات فى انتخابات المجالس التشريعية للولايات الماليزية، منهن السيدة/ فاطمة عبد المجيد، وفى انتخابات سنة ١٩٦٩م فازت المرأة المسلمة بمقعدين فى مجلس النواب، ومقعدين فى مجلس الشيوخ وثمانية فى المجلس التشريعى للولايات. وفى سنة ١٩٥٩ عينت أول وزيرة للشئون الاجتماعية هى السيدة فاطمة هاشم «هانم» رئيسة الجناح النسائى للمنظمة الملايوية المتحدة أكبر أحزاب ماليزيا، وقامت عائشة عيد الغنى نائبة السيدة فاطمة هانم، وعضو مجلس الشيوخ بتمثيل ماليزيا فى الأمم المتحدة.

والمرأة المسلمة فى ماليزيا تباشر كل أنواع النشاط الاقتصادى والثقافى والاجتماعى والسياسى كالرجل تماما، وبخاصة فى المناصب الإدارية والقيادية. وينتمى عدد كبير من المسلمات إلى: جمعية المرشدات، والمعهد النسائى.

وأنشأت المرأة المسلمة عشرات من الجمعيات الخيرية والدينية والثقافية، وهى تحرص على الاحتفال بالمناسبات الدينية كرمضان والمولد النبوى، كما تحرص على حفظ القرآن الكريم وتجويده. وفازت فى مسابقة تلاوة القرآن عدة مرات[٢].

---

(١) أو فاطمة هانم.

(٢) مجلة الشبان المسلمين عدد ١٧٠ فى صفر ١٣٩١ (أبريل ١٩٧١) بقلم أمانى فريد.

وفى أهرام ٥ / ٩ / ١٩٦٥ تقول: تنكو ناجحة، أى الأميرة ناجحة «زوجة سفير ماليزيا فى القاهرة»: كانت التقاليد تحتم حبس المرأة عن التعليم والنشاط. والزواج هناك باتفاق الأهل، وحفل الزواج من ثلاثة أيام إلى أسبوع، ويمضى العروسان ثلاثة أيام فى منزل أهل العروس، وتستمر الليالى المرحة بالرقص والأكل.

وبعد الاستقلال سنة ١٩٥٧ تطورت المرأة، وأخذت كل حقوقها السياسية، وزاولت كل الأعمال. والمرأة الريفية لها جهد ضخم فى العمل ورعاية البيت. وقد يغيب زوجها شهورا وسنين فى المناجم، لا يعود إلا فى المناسبات، وهى قائمة بكل الأعمال.

وتقول: إن من أغرب الأديان هناك عبادة الثعابين، ولها معبد خاص به ثعابين كثيرة سكرى برائحة البخور، وهم يطعمونها البيض الذى يتقرب به أتباع هذا الدين.

وفى جريدة القبس الكويتية ٢١ / ١٠ / ١٩٧٤: تقول «رحمة أبو بكر» زوجة سفير ماليزيا فى الكويت «جمال الدين حاجى أبو بكر»: هناك جمعيات نسائية كثيرة، وتضم جمعية نسائية كبرى ١٨ من الجمعيات النسائية تحت رياسة «تانسرى فاطمة هانم»، التى كانت عضوا فى البرلمان ووزيرة للشئون الاجتماعية والعمل، والبرلمان فيه أربع فى مجلس الشيوخ، وثلاث فى مجلس الشعب.

٨ - سنغافورة:

سنغافورة جمهورية منذ سنة ١٩٦٥ وتعدادها ٢,٢٠٠,٠٠٠ نسمة وهى خليط من السكان، نالت المرأة فيها حق الانتخاب سنة ١٩٥٧ وقبلت جامعتها الفتاة لأول مرة سنة ١٩٦٠، وكانت النهضة النسائية بفضل السيدة/ شيرين فوزدر التى درست الفلسفة فى بومباى والصحافة فى معهد ريجينيت سنة ١٩٢٣،

ولها كتاب عن المرأة خلال العصور، قررت فيه أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى نظم الزواج والطلاق والميراث، وأن اليهودية والمسيحية لم تنص على منع تعدد الزوجات، وأن الكنيسة المسيحية هى التى وضعت المنع، كما وضعت منع الطلاق، وهى لا ترى المساواة التامة بين الجنسين، فهناك مجالات لا تناسب المرأة كالمناجم. وفى سنغافورة جمعية للشابات المسلمات، من أبرز أعضائها السيدة / أسماء السقاف نائبة رئيس المجلس المركزى للجمعيات الملايوية التى تضم ٤٠ جمعية ثقافية واجتماعية ودينية. «آخر ساعة ١٨ / ٦ / ١٩٧٥».

٩ - تايلاند:

هى البلاد التى كانت تسمى «سيام» تقع فى شبه جزيرة الهند الصينية، الدين الرسمى الغالب هو البوذية، والإسلام منتشر فى الولايات الجنوبية على حدود ماليزيا، والدين البوذى لا يمنع أن تتولى المرأة منصب الملك، فقد تولت زوجة الملك الأمر لمدة أربعة أشهر نيابة عن زوجها وهو مترهب فى المعبد، كما تقول «بوم تونج» حرم سفير تايلاند فى القاهرة سنة ١٩٦١، وذلك منذ أربع سنوات[١].

من أبرز الشخصيات المسلمة فى تايلاند السيدة / فريدة سواتان. عينها الملك قاضية فخرية فى محاكم الأحداث لأول مرة فى تاريخ البلاد، وهى ترأس الاتحاد النسائى للمسلمات، ونائبة لرئيسة «مؤسسة المرأة المسلمة» فى تايلاند لرعاية الأيتام. وعضو فى المجلس القومى للمرأة، ولجنة المؤسسة الإسلامية المركزية[٢].

وكذلك السيدة سانجداو سيام الله، يقال: أنها من سلالة الشيعة السليمانية التى توجد فى بومباى بالهند، ولها نفوذ واتصالات كبيرة بالشخصيات الهامة وقد زارت مصر ونزلت فى ضيافة الأزهر سنة ١٩٦٢م[٣] وفى زيارتى لإندونيسيا

---

(١) أهرام ٣١ / ٧ / ١٩٦١.
(٢) آخر ساعة ٣ / ١ / ١٩٧٣.
(٣) أهرام ١٠ / ٦ / ١٩٦٢.

مع شيخ الأزهر الدكتور محمد الفحام تقابلنا مع سانجداو فى تايلاند يوم الثلاثاء ١٢ من أكتوبر ١٩٧١م.

١٠ - الفيليبين:

جزر بالشرق الأقصى أغلبها لا يدين بالإسلام، والمسلمون هناك يرثى لحالهم، نتيجة لتحكم التبشير والاستعمار، وأخبار النشاط النسائى للمسلمات قليلة، ونعرف منها السيدة طار هاتا الونتو شقيقة «دوموكاو الونتو» زعيم المسلمين فى الفيلبين، وهى أول سيدة أسست جمعية «نساء الفلبين المسلمات» للدفاع عن حقوق المرأة المسلمة(١).

١١ - أفغانستان:

النساء فى أفغانستان بوجه عام محجبات بدرجة شديدة، وذلك راجع إلى قرون عدة حافظن فيها على التقاليد الإسلامية الأولى، وإن كان قد ظهر فى التاريخ ملكات أيام مملكة خوارزم وخراسان.

ذكر المؤرخون أن أحد القواد أراد مهاجمة «بلخ» فأرسلت زوجة حاكمها «داود» ثوبها المرصع بالجواهر إلى القائد، فى مقابل الخراج الذى عجز السكان عن تقديمه فداء للمدينة، فلما حمله الرسول إليه رده، وقال: لا أرضى أن تكون امرأة أكرم منى خلقا، فقالت: لن ألبس بعد كسوة وقعت عليها عيون رجال غير أهل بيتى، وتبرعت به لبناء المسجد الفخم والمدرسة والملجأ ودار الضيافة التى تزين المدينة(٢).

وذكر أبو الفداء فى تاريخه «ج٣ ص ١٤٨»: أنه كانت هناك ملكات، ففى أوائل القرن السابع ظهرت أميرة فى بلاد خوارزم وخراسان، أو ملكة عظيمة «تركان خاتون» والدة السلطان «محمد بن تكش»، وكانت ذات سطوة وسلطان.

---

(١) مجلة الشبان المسلمين نوفمبر ١٩٦٧.

(٢) حبيب جاماتى - المصور ١٩/ ١/ ١٩٥١.

والحفاظ على العرض الآن له حدود قوية، وإن كان لا يمنع الفساد كلية، يقول الرحالة محمد ثابت فى كتابه: جولة فى ربوع الشرق الأدنى، بعد أن وصف شكل الملابس التى ترتديها المرأة، وهى تشبه الكيس قد زر عند الرأس، وأمام العينين قطعة مثقبة للنظر والتنفس، وتحت الإزار سروال أسود سميك يتدلى على الحذاء، ويربط فيه - يقول: كان «أمان الله خان» يريد حملهن على السفور وتقليد الغرب، كما فعل «أتاتورك»، ولكن رجال الدين وقفوا ضده، ولهم هناك السلطة العليا، وهم جماعة «الملا» الذين يحكمون على الزانى بإلقائه علانية من فوق قلعة البلد، على الأحجار المتراكمة من دونها على مسافة لا تقل عن ٢٥ مترا، والغالب أن يموت، أما الزانية فتوضع فى كيس يحوطه الجند، ويؤمر المارة برجمها حتى تموت.

وهذا الحجاب الصارم قد عاق المرأة عن التعليم، كما عاقها عن الإسهام فى النشاط الاجتماعى، فما كانت تتعلم إلا فى البيت، حتى فتحت أول مدرسة للبنات سنة ١٩٣١م ولكن ظروف الحرب الأهلية أغلقتها.

وفى سنة ١٩٤٦ م أسست بعض النساء مؤسسة لمحو الأمية بين النساء وتعليم بعض المهن، وفى سنة ١٩٤٧ فتحت مدارس للبنات، كما فتحت لهن أول كلية، وبلغ عدد البنات فى المدارس سنة ١٩٥٦ حوالى ١١,٧١٢[١].

ولم تشارك المرأة بإيجابية فى الخدمة الوطنية إلا عددا قليلا، مثل «آدى غازى» التى حملت السلاح ضد الاستعمار البريطانى، والسيدة «ملالى» التى يقولون عنها «جان دارك أفغانستان» سنة ١٨٨٠م، حيث حاربت الإنجليز فى معركة «ميوند»[٢].

وقد خلعت المرأة الأفغانية الحجاب، وسفرت لأول مرة فى حفل ديبلوماسى كبير، أقامه السردار «محمد داود خان» رئيس وزراء أفغانستان تكريما للزعيم

(١) مجلة أفغانستان، عدد أغسطس ١٩٥٧.

(٢) السفير محمد موسى شفيق - مجلة الشبان المسلمين أول فبراير ١٩٧٠م.

الهندى «نهرو»، رفعت السيدات اللاتى دعين إلى مأدبة العشاء فى قصر «سليستود» المطل على كابل، الحجاب، وظهرن حاسرات الرءوس. وكان ذلك بداية النهاية بالنسبة للحجاب التقليدى، وقال «نهرو» فى خاتمة كلمته: لقد فهمت أن هذه مناسبة غير عادية، ولكن أرجو ألا تظل غير عادية، إن أعباء الدنيا يجب أن يتقاسمها الرجال والنساء على السواء[١].

بدأت المرأة بعد السفور تباشر نشاطها الاجتماعى والسياسى كبقية نساء العالم، وتكون الاتحاد النسائى بأفغانستان، وكانت رئيسته سنة ١٩٦٥ هى «صالحة فاروق اعتمادى» التى زارت القاهرة فى ٨ / ١ / ١٩٦٥م[٢].

وجاء فى مجلة الشبان المسلمين[٣] على لسان سفير أفغانستان فى مصر «محمد موسى شفيق»: أن هناك فى أفغانستان جمعية نسائية تصدر مجلة خاصة بالمرأة تسمى «ميرمن» أى السيدة.

وقد أعطيت المرأة حق الانتخاب والترشيح: وفى مجلس النواب «مارس ١٩٦٩» أربع سيدات، وفى مجلس الشيوخ اثنتان، وهناك وزيرة صحة.

ومن السيدات ذوات النشاط البارز السيدة/ حميراء السلجوقى. التى اشتركت فى كثير من المؤتمرات الدولية.

ويقول صالح جودت[٤] فى رحلته، عن نساء جماعة البشتو الذين يعيشون فى ممر خيبر، فى أقليم بختونستان على حدود باكستان: أن فيهن جمالا فاتنا، وغيرة الرجال عليهن شديدة جدا، فعلى الرغم من كرم الرجل بنحره الذبائح للضيف، لو رآك تتطلع إلى إحدى حريمه أتم لك واجب الضيافة، وودعك، وكان الوداع الأخير لك من الحياة برصاصة تصيب منك المقتل.

---

(١) الجمهورية ٢٠/٩/١٩٥٩.
(٢) أهرام ٩/١/١٩٦٥.
(٣) مارس ١٩٦٩، فبراير ١٩٧٠.
(٤) المصور ٢٣ / ٥ / ١٩٥٨.

١٢ - العراق:

بدأ تعليم البنت فى العراق بافتتاح أول مدرسة رسمية للبنات فى بداية القرن العشرين[١] وبدأت حركة التحرير النسائى منذ عام ١٩٢٠م ونادى الشاعران الرصافى والزهاوى والشيخ ياسين بتحرير المرأة، وكان أغلب الفضل فى تعليمها لساطع الحصرى الذى فتح مدرسة للمعلمات، واشتدت حركة التحرر حتى تنفست عن صدور أول مجلة نسائية عراقية فى عام ١٩٤٤م وإن كانت الحكومة عطلتها بعد شهرين، وتكونت عدة جمعيات نسائية كان أهمها «الاتحاد النسائى» الذى كانت ترأسه ١٩٥٧م «آسيا وهبى».

ومن الجمعيات: البيت العربى، حماية الأطفال، الهلال الأحمر، الفتاة الرياضية، كما تقول الأستاذة «مليحة رحمة الله» بجامعة بغداد[٢]. ورئيسة اتحاد نساء العراق سنة ١٩٧٢م هى «نورا حلمى»، وفى سنة ١٩٧٩م السيدة «منال يونس»[٣]: وهناك اتحاد نساء كردستان أيضا[٤].

وفى تقرير عن وضع المرأة فى غربى آسيا أن الاتحاد العام لنساء العراق ينتمى إلى حزب البعث الحاكم ((١٩٧٤))[٥] وقام بالاشتراك مع وزارة التربية بافتتاح ٥٢٥ مركزا لمحو الأمية، بها ٤٩٨١ امرأة، وقام بإنشاء قرية زراعية فى ضواحى بغداد يديرها النساء، وللاتحاد مجلة نسائية توزع سبعة آلاف نسخة. وجاء فى التقرير أن جمعية الهلال الأحمر تأسست ١٩٣٣م، وهناك جمعية الفتيات المسلمات، وجمعية «الرابطة» وهى جمعية نسائية تابعة للحزب الشيوعى.

وقد شاركت المرأة العراقية فى كل أنواع النشاط حتى وصلت إلى منصب وزيرة للبلديات سنة ١٩٥٩م الدكتورة «نزيهة الديلمى» فى عهد عبد الكريم

---

(١) تقرير منظمة غرب آسيا التابعة للمجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع لهيئة الأمم.
(٢) أهرام ٢٥ / ٢ / ١٩٦٤. (٣) القبس ١٩ / ٣ / ١٩٧٩.
(٤) أمانى فريد - مجلة الشبان المسلمين يونية ١٩٧٢.
(٥) فى آخر ساعة ٢٦ / ٢ / ١٩٧٥ أن الاتحاد العام لنساء العراق أنشئ سنة ١٩٦٨.

قاسم[1] وحصلت فى العام نفسه على حقها السياسى فى الانتخاب والترشيح للمجالس التشريعية، وجاء فى التقرير المشار إليه أن المرأة العراقية حصلت على حق التصويت بموجب قانون الانتخاب رقم ٧ لسنة ١٩٦٧م، ولكنه لم يحصل انتخاب بعد صدور هذا القانون حتى يطبق عمليا.

ومن الوزيرات: الدكتورة سعاد خليل وزيرة التعليم العالى والبحث العلمى سنة ١٩٧٢م، ومثل العراق فى الملتقى الأول للنساء العربيات والإفريقيات بالجزائر سنة ١٩٧٤م: أظمياء تامر، آمال عبد القادر سعيد، نسرين نوبى.

١٣ - الكويت:

الكويت دولة صغيرة لا يصل سكانها حسب آخر إحصاء إلى مليون نسمة، ارتفع شأنها بعد ظهور البترول فيها، وساعد رخاؤها على الأخذ السريع بأسباب المدنية الحديثة، وظهرت فيها حركة للمطالبة بحقوق المرأة، فتكونت جمعية «النهضة الأسرية» أواخر سنة ١٩٦٢ وسجلت فى ١٧/١/١٩٦٣[2] كما تكونت جمعية الثقافة النسائية، وأشهرت ١٩٦٣م ورئيسة الأولى هى «نورية السدانى» ورئيسة الثانية هى «لولوة القطامى»، وتبذل المساعى ليتكون منهما اتحاد محلى، وقد أشهر هذا الاتحاد فى ١٦ من نوفمبر ١٩٧٤ برياسة «نورية السدانى»[3]، ولكنه حل فى ١٩٧٧[4]. ولم تعط المرأة إلى الآن حق التصويت والترشيح.

وممن برزن فى حقل المحاماة لأول مرة: سعاد عبد الله الجاسم، شيخة على الدعيج، خريجة كلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت سنة ١٩٧٣[5].

(١، ٢) مجلة صباح الخير ٢٥/٤/١٩٧٤.
(٣) مجلة العربى يناير ١٩٧٥م.
(٤) مجلة الرسالة بالكويت ١/٥/١٩٧٧.
(٥) جريدة القبس بالكويت ٨/٤/١٩٧٤.

وبدأ تعليم البنت فى الكويت رسميا بإنشاء أول مدرسة سنة ١٩٣٧[١] وذلك بفضل الشيخ عبد الله الجابر، وكانت بنته أول طالبة فيها، ويسمونه «قاسم أمين الكويت»[٢]، وأول مدرسة كويتية هى «مريم عبد الملك صالح» تلقت دراستها فى المطوعة ١٩٢٣، وحصلت من المنازل على شهادة التربية النسوية ١٩٤٥. وعينت فى أول مدرسة بنات سنة ١٩٣٨.

وفاطمة حسين هى من أوائل المنادين بتحرير المرأة، مزقت البوشية «غطاء الوجه» فى فناء المدرسة ١٩٥٣م، وهى أول كويتية درست الصحافة وعملت بالإذاعة، وتخرجت فى كلية الآداب بجامعة القاهرة، ودرست الإنجليزية والفن الإذاعى بجامعة نيويورك[٣].

١٤ - البحرين:

البحرين من دول الخليج، ولما ظهر فيها البترول تحسن حالها، وجاء فى كتاب «قضايا التغيير السياسى والاجتماعى فى البحرين» للدكتور محمد الرميحى[٤]: أن المرأة فى البحرين كانت قبل النهضة الاقتصادية قعيدة المنزل، وإذا خرجت فلمساعدة زوجها فى تنظيف السمك وبيعه إن كان صيادا، أو المساعدة فى الزراعة إن كان زوجها فلاحا، وكانت على العموم متحجبة، وحريتها مقيدة بالتقاليد السائدة، وبعض القبائل كانت تقتل المرأة لأدنى شك فى سلوكها، وتغير ذلك بعد انتشار التعليم.

وكانت المرأة الرقيقة تتمكن من الحرية بمجرد تقديم طلب للممثل البريطانى السياسى، وكانت نتيجة ذلك التحرر هى الفقر، فاضطرت إلى احتراف الدعارة، وانتشرت هذه الرذيلة، وكان احترافها ميسرا فى ظل قيم خلقية آخذة فى التلاشى. ولم يقيد البغاء ولم يحد، اللهم إلا إذا شكا جار من محترفة الدعارة

---

(١) تقرير منظمة غرب آسيا.
(٢) مجلة العربى يناير ١٩٧٥.
(٣) الأهرام ٢٦ / ٤ / ١٩٧٦.
(٤) من ص ٤٢٥ - ٤٢٩.

فيجبرها البوليس على أن تلتزم بيتا للدعارة فى المنطقة المخصصة لذلك، ولم يكن هناك اهتمام بالتضييق على هذه المنطقة.

تحررت المرأة بعد التعليم، وسبقت نساء المدن الثريات بالتحرر، أما الفقيرات ونساء القرى فبقين حبيسات المنزل أو القرية، وحتى سنة ١٩٦٠ كان لا يسمح لهن بمغادرة ذلك، لكن نساء المدينة خرجن وزاولن أعمال التدريس اهـ.

وألفت فى البحرين أول جمعية نسائية تسمى «جمعية نهضة فتاة البحرين» سنة ١٩٥٥م وكانت من ١٥ عضوا، والرئيسة هى «عائشة يتيم» والسكرتيرة هى «فائقة المؤيد» ومهمتها ثقافية اجتماعية، ثم تكونت الجمعيات التالية مرتبة حسب تاريخ إنشائها: جمعية «رعاية الطفولة والأمومة» سنة ١٩٦٠م بدأت بإحدى وثلاثين، وبها الآن ١٣٢ والرئيسة هى الشيخة «لؤلؤة الخليفة»، وهذه الجمعية عضو فى الاتحاد النسائى العربى. وجمعية «أوال» سنة ١٩٧٠م، وجمعية «الرقاع» سنة ١٩٧٠ وبها الآن ٥٤ عضوا، ولم تشهر بعد «فبراير ١٩٧٥» ورئيستها «طفلة الخليفة»[١] وجمعية «فتاة الريف» ولم يتم إنشاؤها بعد[٢]، وإلى سنة ١٩٧٤ لم تنل المرأة حق الانتخاب والترشيح.

أما تعليم البنت فقد كان أولا فى الكتاتيب لحفظ القرآن وبعض المواد البسيطة، فإذا انتهت منه لزمت البيت، وبدأ التعليم الحديث على يد بعثة تبشيرية أمريكية ١٨٩٢م، وافتتحت «مدام زويمر» مدرسة فى المنامة بها قليل من الفتيات، وأغلبهن من أصل إيرانى ومن الفقيرات، ثم زاد عددهن إلى ٣٨٢ طالبة سنة ٧٠/ ١٩٧١. وفى سنة ١٩٢٨ فتحت «لجنة السنة» أول مدرسة عامة للبنات فثار ضدها المحافظون وأئمة المساجد[٣] ومرت مدارس البنات بمرحلة كان

---

(١) ملحق القبس ١٧/ ٢/ ١٩٧٥.

(٢) القبس ٤/ ٢/ ١٩٧٥، ١٧/ ٢/ ١٩٧٥.

(٣) جاء فى أهرام ١٦/ ٥/ ١٩٨٩م أنه فى سنة ١٩٥١م افتتحت أول مدرسة ثانوية للبنات وفى سنة ١٩٦٧م أنشئ المعهد العالى للمعلمات، وفى سنة ١٩٧٩م أنشئت كلية البحرين الجامعية للعلوم والآداب والتربية (جامعة البحرين حاليا).

الإشراف فيها للسير « تشارلز بلجريف » مستشار حاكم البحرين، ثم ضمت مدارس الشيعة والسنة. وفى سنة ١٩٤٠ كان هناك ثلاث مدارس ابتدائية للبنات (٤٥٠ طالبة) وفى نهاية الخمسينات كان هناك ١٥ مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية للبنات (٥٤٦٧) طالبة »[١].

ويقول محمد باشا: إن الشيخة « حصة » عقيلة سمو الأمير الشيخ عيسى ابن سليمان آل خليفة تشرف على الحركة النسائية وترعى الأسواق الخيرية والفنية للمرأة، ومن عاداتها حرصها على يوم الاستقبال، تفتح أبواب المنزل بها صباح كل ثلاثاء بلا حراس ولا بروتوكول لزيارة الصديقات والأسر الديبلوماسية، والشيخة « هيا الخليفة » أول بحرينية فى عالم الآثار، تشرف على متحف البحرين، ودخلت المرأة الشرطة منذ نوفمبر ١٩٧٠م وفيها الآن ٢٣ ضابطة وشرطية. والضابطة مؤهلها جامعى، أما الشرطية فمؤهلها ثانوى، و« آمال المؤيد » أول مصممة أزياء بحرينية، حاصلة على شهادة فى ذلك من جامعة مانشستر بانجلترا، والتحقت المرأة بالفنادق بعد تخرجها من مركز الفندقة والبريد، وقرى البحرين ترعاها « فايزة الزيانى » مراقبة التنمية بوزارة العمل والشئون الاجتماعية، ويوجد بالتلفزيون ثلاثة وجوه نسائية للتقديم والإذاعة، واحدة منهن هى « كريمة زيدانى » قارئة نشرة الأخبار[٢].

١٥ - قطر:

لا توجد لدينا معلومات كافية.

١٦ - دولة الإمارات العربية المتحدة:

فى ٢/١٢/١٩٧١ تكون هذا الاتحاد من إمارات: أبى ظبى ودبى والشارقة وأم القيوين ورأس الخيمة وعجمان والفجيرة، وانضم إلى جامعة الدول العربية بعد أربعة أيام من مولده.

---

(١) قضايا التغيير للدكتور الرميحى.

(٢) الأهرام ٣/٣/١٩٧٨.

وبدأت فى « أبو ظبى » أول حركة للنهضة النسوية فى فبراير ١٩٧٣، حيث قامت الشيخة « فاطمة مبارك » قرينة الرئيس زايد بن سلطان آل نهيان بتكوين جمعية « المرأة الظبيانية » وهى تهتم بالناحية الثقافية للمرأة، ورئيستها هى الشيخة فاطمة[١]. كما توجد جمعية نسائية فى أم القيوين برئاسة الشيخة « مريم المعلا » وجمعية « أم المؤمنين النسائية » فى عجمان برئاسة حرم ولى العهد، وجمعية « النهضة النسائية » فى دبى، ومن أعضائها خيرية ربيع سعد، حصة لونا[٢]. وفى إمارة الشارقة بدأ تكوين جمعية للاتحاد النسائى برئاسة الشيخة « نورا القاسمى »[٣]، وتكون أخيرا الاتحاد النسائى العام لدولة الإمارات، يضم الجمعيات الأربعة سنة ١٩٧٥، وحل محل جمعية نهضة المرأة الظبيانية[٤] وفى ديسمبر ١٩٧٦ انتخبت الشيخة فاطمة قرينة سمو الشيخ زايد رئيسة لهذا الاتحاد، والشيخة « نورا القاسمى » نائبة للرئيسة، والشيخة « أم عمار » شيخة عجمان أمينة للصندوق، « وموزة بنت هلال » التى كانت نائبة لرئيسة جمعية نهضة المرأة الظبيانية، أمينة عامة للاتحاد، والشيخة « مريم المعلا » شيخة أم القيويين، مسئولة عن اللجان فى الجمعيات الخمس لأبى ظبى والشارقة وأم القيوين ودبى وعجمان.

والشيخة فاطمة كانت قد أعلنت قيام الاتحاد النسائى للجمعيات بدولة الإمارات سنة ١٩٧٥ بمناسبة عام المرأة وذلك برئاستها، وهى تقول : أن ٤٥٪ من المتعلمين من البنات.

ومن الخريجات « موزة حبروش » ناظرة المدرسة الابتدائية فى أبى ظبى، و« نورة المدفع » ناظرة الزهراء الثانوية فى الشارقة وهى خريجة جامعة قطر[٥] كما

---

(١) الأهرام ٢/١٢/١٩٧٤.
(٢) القبس ٢٤/ ٤/ ١٩٧٥.
(٣) أخبار اليوم ٣١/ ٥/ ١٩٧٥.
(٤) آخر ساعة ٣/١١/١٩٧٧.
(٥) الأهرام ١٥/ ١٢/ ١٩٧٦.

نقلت عنها «عبلة النويس»[1] أن أول مدرسة بنات نظامية افتتحت فى دولة الإمارات ١٩٥٨، وفى إمارة «أبو ظبى» افتتحت أول مدرسة بنات فى أوائل الستينات.

وجاء فى أهرام ١١ / ١٠ / ١٩٨٨ م أن خريجات الجامعة سنة ١٩٨٧م كان ٦٦٩ وفى سنة ١٩٨١م كان ١٩٤، وأول وكيلة لوزارة التربية والتعليم هى د. عائشة السيار، خريجة جامعة عين شمس كلية البنات وأول ممثلة مسرح هى سميرة أحمد.

١٧ - سوريا:

تقول «رجاء أبو شهبة»[2]: ألفت السيدة «نازك العبد» فى سنة ١٩٢٠ جمعية «النجمة الحمراء» للمشاركة فى الأعمال الوطنية. وبخاصة فى معركة «ميسلون» سنة ١٩٢٠م التى مات فيها «يوسف العظمة» وقادت السيدة «ثريا الحافظ» مظاهرات عندما فرض الانتداب على سوريا، وقامت بدور عظيم سنة ١٩٢٢م بمناسبة استفتاء لجنة «كرابن» الأمريكية، كما شاركت المرأة فى مظاهرات وإضرابات فى السنوات ٢٨، ٣٢، ٣٦، ١٩٤٥، وتألف الاتحاد النسائى سنة ١٩٤٤م برئاسة «عادلة بيهم الجزائرى»[3]. وظلت المرأة تجاهد حتى تم الجلاء سنة ١٩٤٥م، ونالت حقها السياسى بالتصويت ١٩٤٩م[4] وفى سنة ١٩٦٧ أنشئ الاتحاد العام النسائى السورى.

ومن أعضاء مجلس الشعب «البرلمان» السيدة/ سعاد عبد الله رئيسة الاتحاد النسائى السورى[5] وجاء فى أهرام ٢٨ / ٥ / ١٩٧٣: أن الانتخابات الأخيرة فى سوريا سيدخلها خمس سيدات فى مجلس الشعب هن: بشرى

---

(١) مجلة آخر ساعة ٢ / ١١ / ١٩٧٧.
(٢) ملحق الجمهورية ٢٣ / ٢ / ١٩٥٨.
(٣) توفيت بدمشق فى أوائل يناير ١٩٧٥ «الأهرام ٩ / ١ / ١٩٧٥».
(٤) تقرير منظمة غرب آسيا.
(٥) أمانى فريد فى مجلة الشبان المسلمين سبتمبر ١٩٧١.

كنفانى رئيسة الاتحاد النسائى، وهناء الحموى، ومنورة مطلق، وهاجر طارق، وسلمى نجيب.

وفى جريدة القبس[1]: أن اللاتى مثلن سوريا فى الملتقى الأول للنساء العربيات والافريقيات بالجزائر سنة ١٩٧٤ منهن: السيدة/ هاجر صادق عضو المكتب التنفيذى للاتحاد العام النسائى وعضو مجلس الشعب، والسيدة/ وصال فرحة، الدكتورة نجاح الساعاتى الأمينة العامة لرابطة النساء السوريات، هذا وقد عينت الدكتورة نجاح العطار وزيرة للثقافة أخيرا.

١٨ - لبنان:

بدأ تعليم البنات رسميا فى لبنان سنة ١٨٣٤م، ثم انتشر حتى بلغ شأوا بعيدا[2] وفى مجلة «بيروت المساء»[3]: أن أول مسلمة لبنانية رفعت الحجاب هى «عنبرة سلام الخالدى» فى العشرينات من هذا القرن، وكانت قد كونت ناديا للنساء، جمعت فيه ستة أعضاء بينهن: ابتهاج قدورة، أمينة حمزة، عادلة بيهم، وكان رفعها للحجاب عندما دعيت لإلقاء كلمة تؤبن فيها عبد الله البستانى أستاذ اللغة العربية، وقد درست «عنبرة» الإنجليزية والآداب فى لندن بصحبة والدها «أبو على سلام».

وجاء فى مجلة «الحوادث» اللبنانية[4] بقلم سهام خلوصى: أن عنبرة أبوها زعيم إسلامى، وهى من المصيطبة، وقد تأثرت بنساء انجلترا ومصر، وشجعها الملك فيصل وهى تزوره فى مستشفى لندن على تقليد الإنجليزيات فى التحرر، كما تقول: إن تكوين نادى النساء كان قبل الحرب العالمية الأولى حيث اجتمعن فى آذار سنة ١٩١٤م وفكرن فى تكوين جمعية «يقظة الفتاة العربية» وكان ممن حضرن الاجتماع: ثريا طبارة، شفيقة غريب، وداد محمصانى. وشجعهن محمد مختار بيهم سنة ١٩١٧ على تأسيس نادى الفتيات المسلمات، وهو أول ناد فى

---

(١) ١٩٧٤/٣/٢٦.
(٢) تقرير منظمة غرب آسيا.
(٣) ١٩٧٤/٢/١٥.
(٤) ١٩٧٨/٣/٢٤.

البلاد العربية يدعو الرجال إلى إلقاء المحاضرات فيه، وكان رفعها للحجاب مثيرا للمعارضات وداعيا إلى معاكسة المرأة فى الشوارع.

والمرأة اللبنانية بوجه عام نالت حقها السياسى سنة ١٩٥٢م وكان مقصورا على من حصلت على الشهادة الابتدائية، فيحق لها التصويت، وبعد مرور سنة كان هذا الحق لعامة النساء، وشاركت فى كل الأعمال، ومن الأسماء البارزة غير من ذكرت (لورثايت) رئيسة جامعة الهيئات النسائية اللبنانية، (أميلى فارس) رئيسة المجلس النسائى اللبنانى، التى مثلت لبنان فى الملتقى الأول للنساء العربيات والأفريقيات فى الجزائر ١٩٧٤[١].

وكانت «ابتهاج قدورة» عضوا بالمجلس البلدى اللبنانى، ورأست الاتحاد النسائى العربى بدمشق فى سبتمبر ١٩٥٧م وتعتبر خليفة لهدى شعراوى المصرية[٢].

وجاء فى تقرير منظمة غرب آسيا: أن فى لبنان سنة ١٩٤٧م حوالى ٤٠٤ جمعية غير حكومية، كل منها تخدم طائفتها، وينتمى حوالى ١٠٠ منها إلى المجلس النسائى اللبنانى الذى تأسس سنة ١٩٥٠م. ومن أكبر هذه الجمعيات جمعية الشابات المسيحيات، أما جمعية الشابات المسلمات فتأتى فى المرتبة الثالثة من حيث الحجم، وتقوم بتوفير التعليم المجانى للبنات فى المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، وتنظم فصولا لمحو الأمية، وافتتحت مدرسة لتعليم الخياطة والتطريز.

هذا، وقد كانت فى لبنان أديبة تسمى «لبيبة هاشم» ولدت سنة ١٨٨٠م وتوفيت سنة ١٩٤٠م وكانت تملك مجلة نسائية تسمى «فتاة الشرق» سنة ١٩٠٦م، وألقت محاضرات فى الجامعة المصرية سنة ١١ / ١٩١٢ جمعتها فى

---

(١) القبس ٢٦ / ٣ / ١٩٧٤.

(٢) السياسة بالكويت ٩ / ١١ / ١٩٧٩.

كتاب باسم «التربية» ولكن لم يعرف لها نشاط اجتماعى أو سياسى كما يقول دكتور شكرى عياد، رئيس قسم اللغة العربية بآداب القاهرة[١].

١٩ - الأردن:

من أهم نشاط المرأة فى الأردن فى الميدان الاجتماعى تكوين «رابطة اليقظة النسائية» فى القدس سنة ١٩٥١م، التى طالبت بحقوق المرأة السياسية والاجتماعية، وقد حصلت عليها سنة ١٩٥٥م. وكذلك تكوين «الاتحاد النسائى» بالقدس، الذى كانت ترأسه «زليخا الشهابى» سنة ١٩٥٧م، وبدأت فكرة إنشاء «جمعية الشابات المسلمات» بجهود «آمال البيطار» سنة ١٩٦٤[٢]. ومن الأردنيات اللاتى مثلن المرأة فى الملتقى الأول للنساء العربيات والأفريقيات بالجزائر ١٩٧٤م السيدتان «أصيلى نفاع»، «هند فراج»[٣].

٢٠ - فلسطين:

مازال الوضع فى فلسطين غير مستقر منذ سنة ١٩٤٨، بل قبل ذلك، وإن كانت المرأة قد جاهدت مع الرجل جهادا عنيفا فى سبيل قضية الوطن، فى الداخل والخارج.

ففى سنة ١٩٢٩م تشكلت أول لجنة للاتحاد النسائى الفلسطينى فى مدن فلسطين وللحاجة عندليب أحمد العمد المتوفاة فى أكتوبر ١٩٧٩ نشاط بارز فى الحركة الوطنية فى مدينة نابلس وفى الأعمال الخيرية بوجه عام[٤]. وكانت أول رئيسة لمكتب الاتحادات النسائية السيدة/ زليخة الشهابى ذكر اسمها مع الأردن للعلاقات بين البلدين.

ومن مظاهر نشاطها اجتماع مؤتمر الاتحاد النسائى الفلسطينى فى بيروت فى

---

(١) أهرام ٢/١٢/١٩٧٠.
(٢) أهرام ٤/١٠/١٩٦٤.
(٣) القبس ٢٦/٣/١٩٧٤.
(٤) السياسة الكويتية ٩/١١/١٩٧٩.

٢/٧/١٩٦٣، الذى رأسته «وديعة خرطبيل»[١]، وكذلك تكوين رابطة المرأة الفلسطينية فى مصر سنة ١٩٦٤م بجهد «سميرة أبو غزالة»، «زينات عبد المجيد»، «جهاد سلامى»، وعقد أول مؤتمر نسائى «فلسطينى بالقدس سنة ١٩٦٥م، وإنشاء «اتحاد عام المرأة الفلسطينية، الذى ترأسه السيدة/ عصام عبد الهادى.

٢١ - المملكة العربية السعودية:

ما تزال المرأة فى السعودية محافظة أكثر من غيرها، على الرغم من خروجها أخيرا للتعليم ومزاولة النشاط الاجتماعى فى مجال محدود، فهى تمارسه فى تحفظ، ويغلب ألا تذهب إلى دور التعليم إلا بالزى السابغ، وتطور البلد كفيل بتغيير الأوضاع القديمة ولو إلى حد ما، وبخاصة فى مجال النشاط الاجتماعى، وهى إلى الآن (١٩٧٤) لم تعط حق التصويت والترشيح.

أما تعليم الفتاة السعودية، فقد نشر عنه تقرير فى أخبار اليوم[٢] بقلم عثمان العبد، وفى غيرها من الصحف نقتطف منه: أن تعليمها فى المدارس لم يبدأ إلا سنة ١٩٦٠م، وكانت قبل ذلك ربما تتعلم فى المنزل، حيث لا يهتم بذلك إلا قلة من الأغنياء، وعلى يد معلمات، ولما تقرر فتح مدرسة بالقصيم طالب الناس بإغلاقها خوفا على دين البنت وخلقها، فأقنعهم رئيس الوزراء «فيصل» بفوائد هذه المدارس، ولما دخلتها بنات الأمراء تشجع الباقون.

وجاء فى كلام الشيخ ناصر بن حمد الراشد الرئيس العام لتعليم البنات فى السعودية[٣]: أن تعليم البنات بدأ رسميا عندما أذيع البيان الصادر من الديوان الملكى والمنشور بتاريخ ٢٢/٤/١٣٧٩هـ، حيث جاء فيه الأمر بتشكيل هيئة من كبار العلماء لتنفيذ المشروع تحت إشراف المفتى الأكبر محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ويضم فى هذه المدارس ما سبق فتحه من مدارس للبنات، وعلى أثر ذلك

---

(١) أهرام ٣/٧/١٩٦٣.
(٢) ١٥/٣/١٩٧٥.
(٣) مجلة المجتمع بالكويت فى ١٨/٣/١٩٧٥.

تم افتتاح خمس عشرة مدرسة ابتدائية وفصل واحد لإعداد المعلمات فى عام ١٣٨١/٨٠ هـ (١٩٦٠م) والتحق به إحدى وعشرون طالبة من الحاصلات على الابتدائية، وكان فى هذه المدارس فى العام الأول ٥٢٢٨ طالبة بجانب ٣٣ مدرسة أهلية عدد طالباتها ٧٤٨٠ وبلغ عدد مدارس البنات الآن ١١٢٥ مدرسة لجميع مراحل التعليم، بالإضافة إلى ١٣١٣ فصلا لمحو الأمية، ويدرس فى هذه المدارس حوالى ٣١٧ ألف طالبة، وهناك كليتان للبنات، واحدة فى الرياض والأخرى فى جدة، وهما نواة للجامعة السعودية للبنات، وافتتحت كلية الرياض فى عام ١٣٩١/٩ هـ (٧٠/ ١٩٧١م) وتخرجت منها الدفعة الأولى فى عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤م) أما كلية بنات جدة فهى مفتتحة حديثا أهـ.

هذا فى قطاع التعليم، أما فى قطاع النشاط الاجتماعى فقد بدأ بتكوين أول جمعية نسائية بفضل الأميرة «موضى» بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود، وسمتها جمعية «أم القرى» واشترك فيها أميرات العائلة المالكة، وبها الآن ١٥٠٠ مشتركة، ومن نشاطها إنشاء دار حضانة للأطفال، فتحت فى آخر مارس ١٩٧٦، وكذلك قسم لمحو الأمية بين ربات البيوت، وشجع على إنشاء هذه الجمعية الملك فيصل، بعد أن لمس فى الأميرة «موضى» نشاطها الاجتماعى، والأميرة «موضى» طالبة ليسانس فى الآداب «تاريخ» بجامعة الملك بعد العزيز بجدة (١٩٧٦) ولها ولدان من الأمير محمد بن سعد بن عبد الرحمن[١].

ويقول المستشار الصحفى بسفارة السعودية بالقاهرة السيد / محمد حسن الفقى: إن الحركة النسائية بدأت سنة ١٩٦٤م بالجمعية النسائية الخيرية التى شاركت فى تأسيسها الأميرة (عفت) حرم المغفور له الملك فيصل، وهناك الآن أكثر من ستين جمعية نسائية تقوم بمحو الأمية وغيرها[٢].

وتقول السيدة نجلاء فارس حرم رئيس بلدية جدة المهندس محمد سعيد

---

(١) آخر ساعة ٢٤/ ٣/ ١٩٧٦م.
(٢) آخر ساعة ١٣/ ٨/ ١٩٧٥.

فارسى: منذ عشرين سنة تأسست فى جدة الجمعية الخيرية النسائية ١٣٨٠هـ، وتعتبر أول جمعية نسائية فى السعودية أو الجمعية الأم، وترأسها رئاسة شرفية السيدة فوزية حرم سمو الأمير فواز بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة، وتقوم نجلاء بعمل الرئيسة الفعلية، وتضم الجمعية الآن ٤٥٠ عضوة، ونشاطها بارز فى رعاية الأطفال اللقطاء، ونجلاء درست الأدب الإنجليزى لمدة عام فى جامعة الإسكندرية، ثم تزوجت من زوجها الذى كان يدرس الهندسة بالجامعة نفسها، ولم تكمل تعليمها، وكان زواجها ١٩٦٤[١] كما تقول: هناك جمعية ثانية فى جدة اسمها: الجمعية الفيصلية وترأسها الأميرة حصة كريمة الملك خالد. وفى المدينة توجد جمعية طبية، وفى جدة جمعية أم القرى وفى الرياض جمعية النهضة[٢].

٢٢ - اليمن:

إلى عهد قريب، لم توجد حركة نسائية فى اليمن تطالب بحقوق المرأة، ولا تباشر نشاطا اجتماعيا ملحوظا. وإن كان تاريخ اليمن يحفظ أسماء نساء لمعن فى الحكم مثل: أسماء بنت شهاب، وأروى الحرة، وأم حمدان، وفاطمة بنت الحسن، وفاطمة بنت الأسد، وغيرهن، وأقدم ملكة يمنية ملكة سبأ «بلقيس».

والمرأة فى ريف اليمن سافرة الوجه تشارك فى الزراعة، وتقوم بالرعى والتردد على الأسواق، وأما فى المدن فهى محجبة، وإن كانت المدنية بدأت تزحف عليها، نتيجة التعليم، وليس هناك اختلاط فى المدارس.

فى مدرسة «بلقيس» بصنعاء ٥٢٩ طالبة، فى الابتدائى والإعدادى، منهن من تخفى وجهها، ومنهن سافرته، مع تغطية القليل من الرأس. وقد تخرج منهن خمس عشرة فتاة سنة ١٩٧٠م، يحملن الإعدادية، وهن نواة مدرسة ثانوية خاصة بهن.

ولا توجد إلى الآن «سنة ١٩٧٠م» طالبات فى المرحلة الثانوية إلا فتاة

---

(١) القبس - الكويت ١٧ / ١٢ / ١٩٧٩.

(٢) مجلة النهضة بالكويت ١٩ / ١٢ / ١٩٧٩.

واحدة، اسمها «عائشة أحمد شرف الدين» المتخرجة فى مدرسة بلقيس الإعدادية. درست فى منزلها منهج السنة الأولى الثانوية، وتقدمت للامتحان وحدها، وهى متحجبة لا يظهر منها إلا الكفان والعينان.

وهناك مدرسة للتمريض بها ٨٥ فتاة، شيدتها الكويت، وتديرها هيئة الصحة العالمية، وترأسها «عاتكة الشامى»، وهى تغطى جميع رأسها، ولا يبدو منها إلا وجهها وكفاها إلى نصف الذراع، أما الممرضات فسافرات الوجوه والرءوس وأكمامهن قصيرة. وفى هذه المدرسة تتعلم البنت الدروس العامة والحساب والخط، إلى جانب التمريض.

وعملت المرأة فى مصنع الغزل والنسيج، الذى أقامته الصين، وبه ٢٦٢ عاملة، على وجوههن «المغمق» أى الحجاب الملون. كما عملت المرأة فى الإذاعة. وكانت أول مذيعة تسمى «فاتن محمد عبد الله اليوسفى» وهى سافرة الوجه والرأس، وعليه «إيشارب» يغطى جزءا بسيطا منه، والأكمام قصيرة وفى مجلة (النهضة) بالكويت بتاريخ ٣ / ٤ / ١٩٧٦ أنها الآن مذيعة بالتليفزيون من سبتمبر ١٩٧٥ ونالت دبلوم معهد المعلمات والتحقت بالجامعة بكلية العلوم «كيمياء وفيزياء» ولدت بالقاهرة حيث عاش والدها بها ١٤ سنة، وعاد إلى صنعاء وسنها ٤ سنوات.

وفى ملحق «القبس» بالكويت بتاريخ ١٨ / ٤ / ١٩٧٧ أن السيدة سميرة جمال جميل هى أول مهندسة معمارية فى صنعاء، وأول امرأة خلعت الحجاب فى اليمن الشمالى، ولدت فى صنعاء ١٩٤٨ ووالدها يمنى من أصل عراقى، أعدم سنة ١٩٥١ فى ثورة ضد الإمام يحيى، وأمها تركية الأصل اسمها «سميحة إسماعيل إنما» من أنقرة. وسميرة تعمل فى وزارة الأشغال باليمن، تخرجت من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة، وتزوجت أستاذها المصرى المهندس عبد الله محمد السعيد، مثلت المرأة اليمنية فى المؤتمرات النسائية. فى جامعة الدول العربية، وكان أول مؤتمر شاركت فيه من ٢٤ من ديسمبر ١٩٧١. وفى ملحق «القبس»

أيضا فى أول مايو ١٩٧٨ أن رءوفة حسن تعتبر رائدة الحركة النسائية فى اليمن، فبعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فى اليمن أخذت الفتاة مكانها فى المعاهد والمصالح والمصانع وغيرها، وفى بداية عام ١٩٧٩ سيعقد فى صنعاء أول مؤتمر تأسيسى لأول اتحاد نسائى فى الجمهورية اليمنية، والآنسة رءوفة متعلمة واجتماعية ومذيعة باليمن وصحفية وفنانة مسرحية وعضو مؤسس فى جمعية المرأة اليمنية، وهى لا تزال طالبة بكلية الإعلام بجامعة القاهرة، ويعتبرونها فى اليمن رائدة الحركة النسائية، لكنها تقول إن الحركة لم تتبلور بعد، وإن كان فى الماضى توجد قيادات نسائية أمثال: أم الشهيد اللقية وحورية المؤيد، وليلى الوداعى، وفاطمة أبو بكر وغيرهن، وأم الشهيد أول صوت نسائى ارتفع فى اليمن، ولها دور كبير فى الحركة الوطنية وقد بدأت رءوفة نشاطها كمسئولة ثقافية فى إحدى الجمعيات النسائية بمدينة تعز، وكان عمرها إذ ذاك ١٢ سنة، وتقول رءوفة: إن الجمعيات النسائية فى اليمن مرت بعدة محاولات بعضها قدر النجاح وبدأت أول جمعية للمرأة اليمنية فى صنعاء تضع أول أقدامها على الطريق منذ ستة أشهر، ويجرى حاليا إنشاء مثلها فى تعز، وهناك تفكير وتحضير لجمعية فى الحديدة، وبهذا يمكن تكوين اتحاد نسائى سيعقد أول مؤتمر له أول العام الجديد.

وهناك جمعية نسائية صدر بها مرسوم جمهورى فى يوليو ١٩٦٩م وفى مجلس إدارتها من تلتزم الحجاب، فلا يبدو غير عينيها، ومنهن سافرات لا يغطى من رأسها إلا القليل بالإيشارب، مع الملابس القصيرة، والرئيسة هى «حورية المؤيد». ومهمة الجمعية محو الأمية بين النساء وتوعيتهن، والعمل على التخلص من سلطان الرجل، الذى يحرم البنت من مواصلة التعليم بعد الابتدائى، ويسرع إلى تزويجها فى سن مبكرة.

تقول رئيسة الجمعية: حاول بعض أعضاء الجمعية خلع «الشرشف» وهو غطاء أسود يستر جميع البدن، وقد تطور من «الستارة» التى كانت من قماش

مزخرف بالألوان. وتركت المرأة السروال الطويل، واستبدلت به الجورب الأزرق، ولما حاولن أن يسرن فى الشارع سافرات قاطعهن الأهالى، ورفضوا السلام عليهن، على الرغم من أن هؤلاء الأهالى من الطبقة المثقفة «الأطباء والأساتذة»[١].

٢٣ - اليمن الجنوبى:

والقسم الجنوبى من اليمن الذى استقل حديثا، وعرف باسم «جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية» ابتداء من ٣٠/ ١١/ ١٩٧٠، كما أعلنه رئيس مجلس الرياسة السيد/ سالم ربيع[٢] - تأثر كثيرا بالاحتلال الانجليزى الذى وطئت أقدامه أرض اليمن سنة ١٨٣٩ م، فكانت هناك ظروف اضطرت المرأة إلى الخروج للعمل على رفع مستوى المرأة العدنية، وللاشتراك فى النشاط الوطنى من أجل تحرير البلاد من الاستعمار.

فتكونت أول جمعية للنساء فى عدن سنة ١٩٥٥م. ومن أبرز المجاهدات المتحررات «رضية إحسان» زعيمة نساء عدن، «صافيناز خليفة» التى خرجت سنة ١٩٥٢م إلى الشارع ومعها خمس فتيات بدون «شيدر» أى حجاب، معارضات للرأى العام الذى يلزم المرأة الحجاب.

وفى العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦م خرج نساء عدن لجمع التبرعات دون مبالاة باستنكار الناس لخروجهن من البيوت.

وفى يوليو ١٩٥٩[٣] جاء وفد من نساء عدن من عضوات الجمعية النسائية إلى القاهرة، وقالت رئيسته: إن المرأة العدنية تنقصها خطوة واحدة، هى رفع الحجاب، وخلع الحجاب هناك هو رمز التحدى «أهرام ٢٠/ ١٢/ ١٩٦٣».

وأول قاضية فى اليمن الجنوبى هى «حميدة زكريا محمد» الحاصلة على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة»[٤].

---

(١) انظر استطلاع مجلة العربى عدد سبتمبر ١٩٧٠م.
(٢) الأهرام أول ديسمبر ١٩٧٠.
(٣) الشعب ٢٢/ ٧/ ١٩٥٩.
(٤) أهرام ٤/ ٣/ ١٩٧٠.

وتقول «آسيا حسن على» من اليمن الجنوبية: فى المجلس التنفيذى ثلاث عضوات، وفى مجلس الشعب خمس عضوات، منهن: عايدة يافعى، وعايدة علوى، وفوزية محمد جعفر، ورجاء أحمد سعيد[1].

وفى أهرام ١٨ / ٨ / ١٩٦٤ أن وفدا منهن زار القاهرة برئاسة زينب أحمد سالم حميدان.

٢٤ - سلطنة عمان:

بجوار اليمن الجنوبى إلى الشرق توجد سلطنة عمان ومسقط، والمرأة فيها على قديم عاداتها متحفظة وليس لها نشاط اجتماعى أو خارج بيتها يذكر، والتعليم النسائى النظامى دخل حديثا، ويبدو أن وضعها القديم بدأ يتغير بعد أن تولى الحكم السلطان قابوس بن السلطان الراحل سعيد بن تيمور، وذلك فى ٢٣ سبتمبر ١٩٧٠، ووجدنا شرطة نسائية تلبس الملابس الرسمية. (قميص بنصف كم وتنورة وبنطلون طويل وقبعة) كانت مهمتها أولا تفتيش النساء المسافرات ثم تعددت خدماتها، وقد أنشئت لهن مدرسة تخرج منها ١٢ شرطية عام ١٩٧٢، ثم قفز عددهن فى عام ١٩٧٣ إلى نحو ٦٠ ظهر عدد منهن يوم ١٨ يناير فى استعراض العيد الوطنى وفى افتتاح مدينة الإعلام «منطقة القرم» «وليد عوض فى مجلة «الحوادث» اللبنانية عدد ٩٤٣ فى ٦ / ١٢ / ١٩٧٤» وهناك «راجحة عبد الأمير» مديرة عامة بالتربية والتعليم، «صديقة جعفر» مذيعة، «منى المنذرى» مقدمة برامج بالتليفزيون، كما يقول السفير العمانى بالقاهرة «مال الله على حبيب» انظر آخر ساعة ١٣ / ٨ / ١٩٧٥.

وأول مدرسة ابتدائية للبنات افتتحت ١٩٧٠م وأول مدرسة ثانوية ٤ / ٧ / ١٩٧٥، وهناك جمعية نسائية باسم «جمعية المرأة العمانية» وترأسها «سميرة أمين» الموظفة بوزارة التربية وهى تضم جميع طالبات المدرسة الثانوية تقريبا ومعظم الموظفات والخريجات وتقوم بالتوعية، وبها دار حضانة.

---

(١) مجلة الشبان المسلمين مايو ١٩٧٢.

ومشكلة البنت هى زواجها المبكر عن سن ١٢ سنة، فهى تجبر على ترك المدرسة لتتزوج، كما تقول رحيمة حبيب المسافر من عمان، وهى طالبة ثانوية وأول فتاة تقوم بالأدوار التمثيلية فى الإذاعة، وعضو بالنادى الرياضى وهو مختلط وفيه فرق نسائية «مجلة النهضة الكويتية ١٤ / ٢ / ١٩٧٦» ويقول خلفان ناصر الوهيبى وزير الشئون الاجتماعية والعمل بسلطنة عمان: سمح بالاختلاط فى المدارس الابتدائية وبدأ الحجاب فى الانقراض، وهناك فتيات فى الجيش وضابطة اسمها «هند سليمان» مولودة فى تنزانيا مع أسرتها المهاجرة من ظلم العهد البائد، وتعلمت حتى الثانوية وتجيد الهندية والسواحلية والإنجليزية «آخر ساعة ٢٩ / ١٠ / ١٩٧٥».

٢٥ - ليبيا:

كانت ليبيا تحت حكم الأتراك هى ومصر وتونس والجزائر والمغرب. ثم احتلتها إيطاليا، حتى استقلت أخيرا فى ٢٤ من ديسمبر ١٩٥١م.

وظروف المرأة فى ليبيا مثل ظروفها فى سائر دول شمالى أفريقيا تقريبا، فقد كانت هى الأخرى محتلة من قبل فرنسا، ولما كان احتلال إيطاليا لليبيا قبيل الحرب العالمية الأولى فقد تأخر نشاطها النسوى عن مثيلاتها.

وعلى العموم فبعامل التقليد، وبعامل التطور عامة بدأت حركة نسوية فى ليبيا كان من أثرها تكوين الجمعية النسائية، التى ترأسها السيدة / حميدة العنيزى سنة ١٩٧٠م.

وقد اشتركت فى معرض طرابلس فى مارس ١٩٦٩ ست جمعيات نسائية، هى: جمعية النهضة النسائية بطرابلس. وجمعية النهضة النسائية بمصراطة، وجمعية المرأة الليبية، وجمعية درنه النسائية، والمركز الثقافى للمرأة الليبية، ونادى عقيلات موظفى شركات البترول[١]. وجاء فى أخبار اليوم

---

(١) الأهرام ٢٠ / ٣ / ١٩٦٩.

(١٠ / ١ / ١٩٧٦) أن السيدة خدوجة الشلى انتخبت رئيسة للاتحاد فى ليبيا كما جاء فى جريدة السياسة بالكويت أن الرئيسة هى زهرة الفلاح (١١ / ١١ / ١٩٧٩) وقالت إن فى ليبيا جمعية نسائية (مجلة النهضة بالكويت ٢٤ / ١١ / ١٩٧٩).

وشغلت المرأة الليبية عدة وظائف، حتى كانت وزيرة مفوضة فى لندن، ودخلت ميدان الصحافة والإذاعة، فكانت السيدة « خديجة الجهمى » أول سيدة تعمل فى الإذاعة، ورئيسة تحرير مجلة المرأة، التى تصدر شهريا.

وكان للمرأة خمس مقاعد فى مجلس الأمة[١] ومع كل هذا فالحجاب هو السائد فى ليبيا، وإن كانت المدنية الزاحفة وتعليم البنات بالذات سيجرف هذا أو يؤثر عليه كثيرا كما أثر على غيرها.

٢٦ - تونس:

لقد احتلت فرنسا تونس سنة ١٨٨٢م، بعد طرد الأتراك منها، وطبقت سياستها الاستعمارية فيها كما طبقتها فى غيرها من الدول التى احتلتها، وذلك لتذويب الشخصية العربية الإسلامية، وجعل تونس ولاية من ولايات فرنسا، فرمت بكل ثقلها فى فرنستها. وكان ميدان المرأة والتعليم من أوسع الميادين للنشاط الاستعمارى، كما تقدمت الإشارة إليه عند تعليم المرأة.

كان من نتيجة النشاط أن تزعمت حركة التحرر النسوى فى تونس امرأة تسمى « بشيرة بنت مراد » فى ضاحية تونس « حمام ليف ». فقد نادت فى سنة ١٩٣٥م بنهضة المرأة التونسية أسوة بالمرأة الفرنسية، فمنعتها السلطات، بمعاونة رجال الدين والمحافظين، من مزاولة نشاطها، لكنها حصلت على حقها فى النشاط سنة ١٩٥٠م وأعلنت « الحركة النسائية التونسية للمرأة المسلمة »، وأقامت مؤتمرا فى يونيه من العام نفسه، حضره خمسة آلاف امرأة تونسية بدون حجاب،

---

(١) نجاة الزنيرى فى مجلة منبر الإسلام عدد ذى القعدة ١٣٨٩ (يناير ١٩٧٠).

وجلسن مع الرجال. وقد شرحت فيه أهداف الحركة بأنها لرفع مستوى المرأة من الناحية الدينية، ورفع مستواها الاجتماعى بالتعليم، وتعريفها بواجباتها، والمطالبة بالحقوق السياسية، وممن كان لهم الفضل فى بعث الحركة النسائية فى تونس عبد العزيز الثعالبى، طاهر حداد الذى ألف كتاب «امرأتنا فى الشريعة والمجتمع» وقد هوجم وعزل من منصبه كقاض وجرد من شهادته فهو بكتابه كقاسم أمين (آخر ساعة ١٣ / ٨ / ١٩٧٥).

وقد صدر قانون الأحوال الشخصية عام ١٩٥٨، فحرم على الرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة، ومنع وقوع الطلاق إلا بعد رفع الأمر إلى القضاء.

ومن نساء تونس فى حركة التحرر: «اللاصفية» أى صفية هانم، بنت شيخ الإسلام وعميد جامعة الزيتونة، طاهر بن عاشور. تعلمت القرآن فى بيت أبيها، وظلت كذلك تسع سنوات، ولها بنتان كانتا تتعلمان فى المدرسة الابتدائية سنة ١٩٥١، وكانتا تخرجان بالحجاب، ووراءهما الخادم على بعد ثلاثة أمتار يحمل الحقائب، ولها أخت متزوجة من أنصار حركة التحرير، وهى سافرة، وكانت صفية تعيش مع أبيها شيخ الإسلام.

ومنهن «توحيدة بنت شيخ» أول طبيبة تعلمت فى فرنسا بعد معارضات قوية من أسرتها، وبعد استصدار فتوى بحرمة سفرها. لكنها سافرت، وأمضت ثمان سنوات، ثم تزوجت من طبيب فرنسى.

ومنهن الأميرة «زكية» كريمة باى تونس، وهى البنت الثانية، تزوجت وزير الصحة «بن سالم»، وأقامت معه فى ضاحية «باردو»، وقد سفرت ونزلت إلى الميدان، ومثلها بنت رئيس الوزراء «محمد شنيك» التى سفرت وكانت تقيم مع زوجها الطبيب حفلات مختلطة[1].

ومنهن «اللانايلة» أى نائلة بنت أحد رؤساء الوزارة «سيدى كعك».

---

(١) المصور ١٤ مارس ١٩٥٢.

حجت مع والدها. وهى ترى الأخذ عن الغربيين من علومهم، مع المحافظة على التقاليد الشرقية[١].

وفى نشرة مكتب الاستعلامات التركى رقم ٨ فى ١٩٥٨/٦/٣٠م: أن السيدة/ سيدة ساسى، وهى من أقارب الرئيس «بورقيبة» ورئيسة الاتحاد التونسى، زارت تركيا أخيرا، وقدمت معونة لجمعية مكافحة التدرن باسم تونس.

وتقول السيدة حرم سفير تونس فى القاهرة[٢]: أن المرأة التونسية تتمتع بجميع حقوقها السياسية، وتمثلها فى مجلس الأمة السيدة/ راضية الحداد، (يوجد ثلاث نائبات كما فى آخر ساعة ١٣/٨/١٩٧٥) رئيسة الاتحاد النسائى، الذى يملك فروعا فى جميع أنحاء تونس، وذلك لرعاية الأرامل والفقراء وأبنائهم، كما توجد جمعية المجلس القومى لتوفير الملابس للأطفال، وتعمل فيها ربات البيوت متطوعات للحياكة، ومن رئيسات الاتحاد النسائى: فتحية مزالى[٣] وللسيدة الماجدة وسيلة قرينة الحبيب بورقيبة فضل فى تغذية الحركة النسائية.

٢٧ - الجزائر:

احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠م، وبدأت ثورتها التحررية فى أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م. ثم استقلت، وأعلن ذلك فى ٥ من يوليه ١٩٦٢، وحاولت فرنسا أن تفرنس الجزائر كعادتها فى الدول التى تحتلها، وبذلت فى ذلك جهدا كبيرا كان له أثره فى الرجوع الجاد الشاق إلى الخصائص الأصيلة والبذور الأولى للشخصية الجزائرية.

ومع أن الحجاب يسود الجزائر بنسبة ٨٠٪ فمشاركة المرأة الجزائرية فى ثورتها الاستقلالية أرغمتها على الخروج إلى الميدان، وعمل كل ما يمكنها

(١) آخر ساعة ٢١ نوفمبر ١٩٥١.
(٢) أهرام ٢/١١/١٩٦١.
(٣) أخبار اليوم ٦/١٠/١٩٧٣.

لمساعدة ذويها فى كفاحهم ضد الاستعمار، وتدبير ما يلزم من مخلفات هذه الثورة، فتألفت الجمعية النسائية بالجزائر، التى مثلها فى المؤتمر النسائى الدولى فى «فيينا» سنة ١٩٥٩م «مامية شانتوف» رئيسة الجمعية، وعضو جبهة التحرير الجزائرية[١].

ولجهاد المرأة الجزائرية الملموس رأينا «بن بيلا» أول رئيس للجزائر بعد الاستقلال، يلقى خطابا فى أول مايو سنة ١٩٦٣ يقول فيه: لا تظنوا أن الحجاب هو الذى يحصن المرأة، ولدينا سبعة ملايين امرأة إذا شاركن فى الحياة العامة تضاعف الإنتاج[٢].

وأنشئ عقب الاستقلال «الاتحاد النسائى الجزائرى» لتأدية الخدمات الوطنية سنة ١٩٦٢م، وهذا الاتحاد، إلى جانب نشاطه الوطنى، يطالب بمنع تعدد الزوجات، وبتقييد الطلاق، وتحديد سن زواج البنات، ويراعى أن نساء الجزائر سنة ١٩٦٣ بلغ عددهن حوالى سبعة ملايين، بينما عدد الرجال نحو خمسة ملايين، فكيف يستقيم منع تعدد الزوجات مع كثرة النساء؟

وهذا الاتحاد كان برياسة «خديجة خيضر» النائبة فى البرلمان والمجلس الوطنى التأسيسى، وهى إحدى تسع نائبات فى البرلمان من بين ١٧٥ عضوا، وذلك فى سنة ١٩٦٣[٣]. وأمينة الاتحاد فى سنة ١٩٧٢ هى «زهور ونيسى» صاحبة مجلة الجزائر النسائية «مجلة الشبان المسلمين مايو ١٩٧٢» بقلم أمانى فريد.

وفى سنة ١٩٦٦ اجتمع خمسمائة مناضلة جزائرية، وانتخبن عضوات المجلس التأسيسى للاتحاد النسائى الجزائرى، المكون من ٤٥ قيادة، منهن ٨ للأمانة العامة[٤].

---

(١) الشعب: ٢١/ ١/ ١٩٥٩.
(٢) الأهرام ٢/ ٥/ ١٩٦٣.
(٣) الأهرام ٢٧/ ٣/ ١٩٦٣.
(٤) الأهرام ٣٠/ ٤/ ١٩٦٧.

ودور «جميلة بو حريد»، «جميلة بو باشا»، «حسيبة بن على» معروف فى حرب الاستقلال. والفتاة الجزائرية زاد إقبالها على التعليم زيادة ملحوظة، فكان عدد الطلاب والطالبات فى المعاهد العليا والجامعات حوالى ٧٠٠ قبل الاستقلال، فصار فى سنة ١٩٦٧م يزيد على ثمانية آلاف[١].

وفى الملتقى الأول للنساء العربيات والأفريقيات الذى عقد فى الجزائر سنة ١٩٧٤م كان المتحدث عن الجزائر: الآنسة/ صفية مهدى، الأمينة العامة للاتحاد النسائى الجزائرى، وهى تقول فى حديثها: إنها كونت هى وبعض رفيقاتها «الاتحاد النسائى» سنة ١٩٦٢م، بعد الاستقلال، وهى من خريجات دار المعلمات بالجزائر سنة ١٩٥٨م، وعملت مدرسة لغة عربية بوزارة التربية، ثم تركت التدريس سنة ١٩٦٦م لتتفرغ لأمانة الاتحاد النسائى[٢].

٢٨ - المغرب:

أطلقت فرنسا يدها فى مراكش بمقتضى معاهدة بينها وبين الإنجليز سنة ١٩٠٤م، وأعلنت حمايتها عليها سنة ١٩١٢م، وأصدرت فى يوم ٢ من مارس سنة ١٩٥٦م تصريحا باعترافها بسيادة مراكش واستقلالها ووحدتها، وكذلك أصدرت أسبانيا فى ١٧ أبريل من العام نفسه تصريحا بذلك.

وأسلوب فرنسا الاستعمارى هو هو فى شمالى أفريقيا وغيرها. ولذلك رأينا هذه الدولة المحافظة على الحجاب كدول شمالى أفريقيا يتمرد بعض نسائها عليه، مقلدات المرأة الغربية فى تحررها. وكانت أميرات البيت المالك دعاة لهذا التحرر، فالأميرة «عائشة» بنت الملك محمد الخامس راعية النهضة النسائية فى بلادها، ومثلت المغرب فى المؤتمر النسائى العربى الذى عقد بدمشق فى سبتمبر ١٩٥٧م. وكانت هى وزميلاتها الست سافرات. كما نشرته مجلة صحراء المغرب

---

(١) منبر الإسلام ربيع الآخر ١٣٨٨هـ.
(٢) جريدة «القبس» الكويتية فى ٢٧/٣/١٩٧٤.

التى يصدرها بالرباط «علال الفاسى»[١]، وكان الملك محمد الخامس نفسه يشجع الفتاة فى العمل فى ميدان الخدمة الوطنية، فيهنئ الآنسة «ثريا الشاوى» الطيارة المغربية على شجاعتها فى الطيران فى ٥ من مايو ١٩٥١م.

وقد ساوى دستور المغرب سنة ١٩٦٢م المرأة بالرجل فى الحقوق السياسية[٢]. وفى سنة ١٩٦٨م تأسس الاتحاد الوطنى النسوى بالمغرب تحت إشراف الدولة، وترأسه الأميرة «فاطمة الزهراء». والأميرة عائشة بنت الملك محمد الخامس حملها والدها مهمة فتح الطريق للمرأة، فبدأت نشاطها ١٩٤٧م حيث خرجت المرأة تنادى بالاستقلال[٣]. وعملت سفيرة لبلادها فى إيطاليا سنة ١٩٧١م، وهى رئيسة مؤسسة التعاون الوطنى، التى هى فى مستوى الوزارة، ومن النساء البارزات السيدة «حليمة الورزازى» التى تعمل فى هيئة الأمم المتحدة، وكانت رئيسة لجنة الوصاية بها، والسيدة «مليكة الفاسى» وزيرة الثقافة، ومنهن أيضا الأميرة «مليكة» شقيقة الملك الحسن الثانى، وهى رئيسة جمعية الهلال الأحمر، والأميرة «علياء» زوجة الأمير عبد الله شقيق الملك، وهى رئيسة مؤسسة محمد الخامس لإنهاض الضرير، و«فاطمة حصار» رئيسة العصبة النسائية لرعاية الطفولة[٤] وفى سنة ١٩٦٧ عينت أول امرأة للعمل بالقضاء المغربى ومرت السنوات التسع وأصبحن ٢٥ ويكثرن فى محاكم الجنح العادية كحوادث السرقة والسيارات. والباب مفتوح للعمل فى الجنايات والاستئناف العليا، والقاضية إما وكيلة النائب ومدعية ومنهن «سنتيس عتيقة» المتخرجة من كلية الحقوق ١٩٧١م وإما جالسة مع القضاة للنطق بالحكم ومنهن «سيف الدين زينب» تخرجت من كلية الحقوق ١٩٧٣ «من تحقيق لصفية الخولى نشر بمجلة مرآة الأمة بالكويت ٢٠/١٠/١٩٧٦».

---

(١) مجلة صحراء المغرب ١١ من سبتمبر ١٩٥٧.

(٢) أهرام ١٢/٣/١٩٦٧م.

(٣) المصور ملحق ٣/٣/١٩٧٨.

(٤) أمانى فريد فى مجلة الشبان المسلمين نوفمبر ١٩٧١.

٢٩ - موريتانيا :

جمهورية موريتانيا الإسلامية كانت تتبع المغرب، ثم استقلت عنها[١] وليس فيها نشاط ظاهر للمرأة فى الميدان الخارجى. أى خارج بيتها، فهى مازالت على العهد القديم فى تحجبها، وكفاحها مع الرجل فى سبيل لقمة العيش نظرا لطبيعة البلاد القاسية، وهى تهتم بالعلم الدينى وبخاصة القرآن الكريم، وقد جاء فى استطلاع مجلة العربى عدد سبتمبر ١٩٦٨م. أن المرأة هناك متلفعة بالثوب التقليدى الذى يغطى جميع جسمها ماعدا الوجه، وللنساء بعض اجتماعات بسيطة لمدارسة شئونهن، والحياة بوجه عام مبسطة.

وجاء فى صحيفة «المغرب» بتاريخ ١٣/٣/١٩٥٧م: أن المرأة هى التى تحكم داخل الخيمة، لا تقوم بأعمال كبيرة، حتى الطبخ يقوم به الخدم تحت إشرافها، وتقضى نهارها فى الزيارات، وهى موضع احترام زوجها، تأكل قبله وهو يخدمها أثناء أكلها، ولا يتناول طعامه إلا بعد انتهائها، ومن المعتاد هناك أن المرأة لا ترضع أولادها، بل يتخذ النساء المراضع، والخدم هم الذين يرعون الأولاد.

وجاء فى تحقيق لسلوى حبيب نقلا عن محمد عبد الله الخارشى مستشار السفارة الموريتانية بالقاهرة، عبد الله ولد عريبية السفير الموريتانى، والمنشور فى أهرام ٢/٤/١٩٦٧: أن المرأة هناك تعيش فى حرية طبيعية، غير محرومة من حق، فقد أدلت بصوتها فى انتخابات رياسة الجمهورية لأول مرة، وهى تتحمس للسياسة، وتسمع الخطب وتصفق لها، وتمشى فى الطرق بدون حجاب، وتكلم الرجال بدون خجل، وهى مثقفة بلا تعليم، تحفظ القرآن وقواعد اللغة العربية وتاريخ القبيلة. وتتزوج وعمرها ١٣ سنة، وأمها تعنى بتغذيتها باللبن أكثر من الولد ليبكر نضجها وتتزوج.

وفرص تعليمها قد تزايدت بعد الاستقلال سنة ١٩٦٠م. ففى إحصاء سنة

---

(١) واستقلت عن فرنسا فى ٢٨/١١/١٩٦٠ وعدد سكانها حوالى مليون، وعاصمتها نواكشوط.

١٩٦٤ : هناك ٤٣٦٥ بنتا فى المدارس الابتدائية، ١١٥ فى أول مدرسة ثانوية، والخريجات يقمن بالتعليم فى المدارس، وبالتمريض والسكرتارية، وحماسها للعمل ضعيف لأنها تفضل البيت. والتطور بدأ يزحف عليها ويغير منها، فقد ذكر سفير موريتانيا بالكويت (محمد عبد الرحمن) أن السيدة عائشة كانت هى وزيرة حماية الأسرة، وفى البرلمان ٤ عضوات «أخبار اليوم ٢٤/١/١٩٧٦».

٣٠ - السودان:

جاء فى كتاب «الإسلام فى السودان» للأستاذ محجوب زيادة[١]: أن مملكة «الفونج» تأسست بجهود «عمارة دنقس» من قبيلة الفونج الأموية، «عبد الله جماع» من قبيلة القواسم العربية الجهنية، وكان ذلك عام ١٥٠٥ م قبيل فتح الاتراك العثمانيين لمصر على يد سليم الأول، واستمرت حتى استسلمت «سنار» للجيوش التركية ١٨٢١م، وهى عاصمة الفونج.

وفى عهد هذه المملكة نشطت عدة مدارس فى التعليم الدينى، الذى كان هو طابع التعليم العام إذ ذاك، ومن أشهرها مدرسة «أولاد جابر». ومنها تخرجت «فاطمة» بنت جابر بن عون بن سليم بن رباط بن غلام الله الركابى، الذى يتصل نسبه بالحسين، وكانت تضارع أخاها «إبراهيم» الملقب بالبولاد، لتضلعه فى الفقه والأصول. كانت تضارعه فى العلم والصلاح، وعلى يدها تخرج كثير من رجالات «دار الشايقية» ونسائها العالمات.

وكذلك مدرسة «توتى» التى كانت الفقيهة الأستاذة «عائشة» بنت «ولد قدال» تعلم فيها الناس القرآن، وعلى يدها تخرج الشيخ «خوجلى» المشهور بأبى الجاز، صاحب القبة المشهورة بالخرطوم بحرى.

وفى أواخر القرن التاسع عشر أخلى المصريون السودان، وتولى إدارته

---

(١) سلسلة: اقرأ، إبريل ١٩٦٠.

الفعلية الإنجليز، الذين عملوا على فصل الشمال عن الجنوب، وعلى ترك الشعب جاهلا، حتى لا يتطلع إلى نيل حقه المسلوب، وعاشت المرأة فى ظل الاستعمار جاهلة تؤمن بالخرافات، وتعرف واجباتها الدينية مشوهة، حتى ارتفع صوت الشيخ «بابكر بدوى» فى مطلع القرن العشرين بتعليم المرأة وكان جنديا فى جيش الثورة المهدية.

قدم طلب للمسئولين بمشروعه التعليمى فرفض سنة ١٩٠٤، ١٩٠٥م، فاستقال من جيش الثورة، وبنى أول مدرسة أولية للبنات، وبدأ بها فى بيته الصغير فى قرية «رفاعة» بأرض الجزيرة على النيل الأزرق سنة ١٩١١م. وبعد ذلك بثلاث سنوات بنت الحكومة مدارس للبنات، فافتتحت فى سنة ١٩١٤ مدرسة فى بلدة «الكاملين» القريبة من الخرطوم، ثم مدارس أخرى متوسطة، وفى سنة ١٩٤٩م تخرج أول ثلاث فتيات من المدرسة الثانوية للبنات فى أم درمان، والتحقن بجامعة الخرطوم. كان من أولى المعلمات «نفيسة مكاوى» سنة ١٩٠٧ وكذلك «ست أبوها مصطفى» فى مدرسة بنات رفاعة، ثم جاءت معلمات أخريات، منهن زهرة القبانى، زينب الأوسطى سليمان، نفيسة المدنى، عائشة بدرى،. زينب مالك، النسيم عبد الرحمن وكلهن فى مدرسة بنات رفاعة (آخر ساعة ١٣ / ٨ / ١٩٧٥).

كان أول تشكيل للمرأة هو نقابة الممرضين والممرضات سنة ١٩٤٦م، ثم تكونت رابطة النساء السودانيات فى أم درمان.

وفى سنة ١٩٤٨ م تكون اتحاد خاص بالمدرسات، تحول فى سنة ١٩٤٩م إلى رابطة الفتيات الثقافية، برياسة «فاطمة طالب».

وفى سنة ١٩٥١م كونت قرينات الموظفين المصريين جمعية للنهوض بالمرأة السودانية، برياسة السيدة / فخرية، حرم يحيى نور بك الخبير الأقتصادى بالسودان، وجعلنها فرعا لمبرة محمد على الكبير فى مصر. فى جنوب الوادى، وكذلك تألفت فى «الأبيض» عاصمة كردفان، جمعية أخرى، برياسة سيدة

مصرية هى حرم حسين كرار بك ناظر المدرسة الوسطى، للنهوض بالمرأة السودانية[1].

وفى سنة ١٩٥٢م تكون أول اتحاد نسائى سودانى، برياسة «فاطمة أحمد إبراهيم»، ودخل فيه غير المثقفات. وقد ألغى نشاطه فى عهد الحكم العسكرى من سنة ١٩٥٨ - ١٩٦٤م، لكن ظل جهاد المرأة مستمرا على صفحات مجلة «صوت المرأة» التى أصدرتها سنة ١٩٥٥، وكان أول عدد بتاريخ أول يوليو. كما كانت هذه المجلة أول مجلة نسائية تصدر شهريا فى السودان، فلما جاءت ثورة أكتوبر أعادت للاتحاد نشاطه.

تعددت مطالب الاتحاد، وكان منها المساواة مع الرجل فى فرص التعليم والعمل، ثم نادى بالحقوق السياسية، ورفع فى سنة ١٩٥٦م مذكرة يطالب فيها بالانتخاب والترشيح، فحصلت المرأة على حقوقها السياسية. ووصلت إلى منصب وزير، مثل دكتورة فاطمة عبد المحمود وزيرة الدولة للرعاية الاجتماعية «أهرام ٢٥ / ٩ / ١٩٧٥» وعملت المرأة حكما لمباراة كرة القدم مثل منيرة رمضان التى وصلت إلى منصب نائبة الوزير (آخر ساعة ١٣ / ٨ / ١٩٧٥).

وأول سيدة دخلت البرلمان سنة ١٩٦٥م فى أول انتخاب أجرى بعد ثورة أكتوبر سنة ١٩٦٤ هى «فاطمة أحمد إبراهيم» خريجة جامعة الخرطوم، ورئيسة الاتحاد النسائى السودانى، وقد اشتركت قبل فى المؤتمر النسائى العربى بدمشق سنة ١٩٥٧ وقد زار مصر فى أكتوبر ونوفمبر ١٩٧٧ عضوات فى البرلمان السودانى، الذى يوجد فيه منهن ١٢ منهن: نفيسة الأمين، حياة عمر التيبانى، هانم شوقى، ومحاسن جيلانى، سعدية عبد الله، آمال أحمد مرجان، وفتحية عبد الماجد، ميرى ثابت، الطاهرة محمود عبد الرحمن. ورئيسة الاتحاد النسائى الدكتورة فاطمة عبد الله «آخر ساعة ١٢ / ١١ / ١٩٧٧ والأهرام ١ / ١١ / ١٩٧٧».

---

(١) المصور ١٤ من مارس ١٩٥٢.

وتكونت جمعية حماية الأمومة والطفولة سنة ١٩٦٣م، ومن أعضائها المؤسسات السيدة زينب الفاتح البدوى[١].

وتقول فاطمة أحمد إبراهيم: إن المسئولين حاولوا استغلال الاتحاد النسائى لمصلحتهم، فأبت. فكونوا «اتحاد نساء السودان» سنة ١٩٧١م بدلا منه، وتذكرأنها سجنت، وأن زوجها حكم عليه بالإعدام سنة ١٩٧١م، ولما ثار الشعب أطلقوا سراحها، بعد أن حبست مع ٥٠ سيدة لمدة سنتين ونصف السنة. ولما دعاها الملتقى الأول للنساء العربيات والأفريقيات فى الجزائر سنة ١٩٧٤م منعت رسميا من إلقاء كلمة عن نساء السودان[٢].

٣١ - تشاد:

استقلت تشاد فى أغسطس ١٩٦٠، ومن بين سكانها البالغ عددهم ستة ملايين ظهرت فاطمة بنت عبد الكريم، وأسست فى أول القرن الحالى سنة ١٩٠٣م حزبا نسائيا سريا، انضمت إليه خمسمائة سيدة فى العاصمة وحدها، بخلاف اللجان المكونة فى القرى، وذلك لمناهضة الاستعمار، ولكن النشاط النسائى مازال ضعيفا، نظرا لقسوة الاستعمار الذى ما كان يهمه إلا استغلال البلاد، وقد حضر من تشاد ثلاث نسوة إلى المؤتمر النسائى الآسيوى الأفريقى[٣].

٣٢ - الصومال:

تكون الاتحاد النسائى فى «مقديشو»، وله فروع فى مختلف المدن، والرئيسة هى «الحاجة حواء موسى» وينطقون الاسم «هاجيا هاوا موسى» وذلك سنة ١٦٤م[٤]، ومن النساء البارزات فى الصومال الفرنسى «فاطمة فرح» التى يسمونها «جان دارك» الساحل، وذلك لقيادتها مظاهرة إلى بيت الحاكم، فأطلق

---

(١) مجلة الشبان المسلمين عدد يونيه ١٩٧٢.
(٢) ألفت قطامش فى جريدة «القبس» الكويتيه ٣١/٣/١٩٧٤.
(٣) الجمهورية ٢٤/٩/١٩٦٠.
(٤) الأهرام ٢/٩/١٩٦٤.

الفرنسيون عليها الرصاص، ومن الزعيمات فى الصومال الإيطالى «خديجة» التى بدأت نشاطها ١٩٤٨م[١].

والمرأة الصومالية شاركت فى كل نشاط، حتى تكون منهن فرقة للصاعقة، ومنهن ضابطة شرطة. ونالت حق الانتخاب والترشيح بقانون الانتخابات الإدراية سنة ١٩٥٨. وفى سنة ١٩٥٩ كانت السيدة «حليمة جونى» رئيسة المجلس البلدى، أى عمدة مقديشو، كما تقول «حياة جردة حسين» حرم سفير الصومال بالقاهرة «عبد الله آدن أحمد»[٢] وفى جيبوتى عاصمة الصومال الفرنسى تأسست أول جمعية نسائية ١٩٧٥م برياسة السيدة عائشة حسن «مجلة العربى يونيه ١٩٧٥».

٣٣ - تانزانيا:

دولة تكونت من تنجانيقا وزنزبار، ومن أقوى سيدات تنجانيقا «تيتى محمد» أو «بيبى تيتى محمد» التى تتزعم الجناح النسائى لحزب الاتحاد الوطنى الأفريقى الحاكم فى تنجانيقا، جاهدت من أجل المرأة، ونجحت فى تقديم مشروع إلى البرلمان لإرغام آباء الأطفال غير الشرعيين على دفع نفقة لهم إلى أن يبلغوا سن السادسة عشرة، ووافق البرلمان على الرغم من معارضة الكثيرين الذين رأوا أنه يشجع كثيرا من ذوات السلوك السيئ على تلطيخ سمعة الرجال الشرفاء[٣].

وشغلت «تيتى محمد» منصب نائبة وزير فى وزارة التنمية الاجتماعية من ٦٤ إلى ١٩٦٥، وهى ذات مقدرة خطابية عظيمة[٤].

وهناك السيدة «عزة» حرم السيد محمد على محسن أحد زعماء زنجبار

---

(١) الشعب ٣٠/ ١/ ١٩٥٩.
(٢) منبر الإسلام، عدد ذى الحجة ١٣٩٠هـ.
(٣) الأهرام ١٨/ ٥/ ١٩٦٤.
(٤) الأهرام ٢٦/ ١٠/ ١٩٦٦.

قبل الاتحاد مع تنجانيقا، وقد نادت باشتراك النساء فى الحزب الوطنى، وكانت تعمل على تحرير المرأة من زيها القديم «الملاية اللف» وتسعى لنيل الحقوق السياسية[١].

٣٤ - هذا وهناك حركات للتحرر النسائى فى بعض دول أفريقيا التى لا يظهر فيها النشاط الإسلامى كثيرا:

(أ) ففى ليبيريا، وصلت المرأة إلى أرقى المناصب بعد الاستقلال فى ٢٦/٧/١٨٤٧م، وأول امرأة احتلت منصب رئيس الجمهورية بالنيابة فى العالم كانت «أنجى بروكسى»، وللمرأة هناك حق التمثيل فى المجلس التشريعى، وعضوية البرلمان، وهى تملك من الأراضى والمبانى أكثر من الرجل، وتشترى بمهرها ملكا تسجله باسمها، وميراثها كله لأبنائها وليس للزوج منه شئ، وبالعكس فى حالة الوفاة للرجل، يكون لها الثلث، وللأولاد الثلث، وللحكومة الثلث[٢].

(ب) فى كينيا حركة نسائية زعيمتها مس «أيبكو» رئيسة الحزب النيروبى[٣]. جاء فى ملحق الأهرام ٧/١١/١٩٨٠ م بقلم شويكار على أن كينيا استقلت سنة ١٩٦٣م وبها الآن ٣١ جمعية نسائية، ورئيسة الاتحاد «جان كيانو» والنائبة «ما ما سعيدة» وهى مسلمة وفى البرلمان ٤ عضوات منتخبات وواحدة بالتعيين.

(جـ) وفى أوغندا تتزعم حركة النساء مسز «كيستو كولو» عضو البرلمان التى بدأت نشاطها عام ١٩٥٢.

هذه هى أهم الحركات للنشاط النسوى فى العالم الإسلامى، وهى صورة تعطينها فكرة ولو مبسطة عن وضع المرأة فى العصر الحاضر، يمكن أن تضم إليها صور أخرى لتكون الفكرة أوضح.

---

(١) الشعب ٢٠/٣/١٩٥٩.
(٢) مساعدة وزير الدفاع - الأهرام ١٠/٨/١٩٦٢.
(٣) الشعب ٣٠/١/١٩٥٩.

(د) وفى أفريقيا الوسطى وعاصمتها « بانجى » يوجد تنظيم نسائى للمرأة المسلمة لم يعترف به رسميا إلا فى ٢٠ / ٣ / ١٩٩١م، وقد أسلمت مسيحيات كثيرات على يد رئيسة هذا التنظيم السيدة الحاجة « عائشة سيلا » وكانت مسيحية وأسلمت (من تقرير السفارة المصرية فى « بانجى » أرسل إلى إدارة العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية فى ١ / ٥ / ١٩٩١م وأرسل منها إلى الأزهر فى ٢٧ / ٥ / ١٩٩١م وهو ملحق بأوراق جلسة المجمع فى ٢٨ يناير ١٩٩٣م).

تنبيـــــه :

أكرر ما ذكرته فى الفصل الرابع من أضواء على النشاط النسوى فى العالم الإسلامى ، من أن ما جاء فيه قد تغير بعد طبع هذا الكتاب سنة ١٩٨٠م على مدى أكثر من عشرين سنة .

* * *

الخاتمـــــة

بعد هذا الطواف الطويل فى دنيا الحجاب، ببيان حكم الشرع فيه وحكمته، ونظرة الناس إليه ومدى تطبيقهم له، وما تنفس عنه الإهمال فيه، والحركات التحررية التى قامت بها المرأة فى العصر الحديث بوجه خاص.

أذكر القارئ الكريم بأن السلف الصالح، رضوان الله عليهم أجمعين كانوا أسرع الناس استجابة لأوامر الله، وأحرصهم على الأخذ بكل ما يرشد إليه الدين، لأن ذلك مقتضى الإيمان بالله والثقة فى تشريعه الحكيم.

وكان تنظيم الاتصال الجنسى عامة، ووضع الوقاية للحفاظ على العرض بتشريع الحجاب خاصة، نوعا من الجهاد النفسى ضد أقوى الغرائز الإنسانية، وكان الصمد [1] فى هذه المعركة بطولة رائعة تعرف بها قوة إيمان المؤمن.

والسلوك الشخصى والجماعى أمارة من أمارات مستوى نضج المجتمع، لأنه تطبيق للمبادئ والأفكار والعقائد والإرشادات، ومن هنا كان المسلمون الأوائل مثاليين فى سلوكهم، لأنه نابع من العقيدة القوية القائمة على الحب العميق للمبادئ ولمن وضعها، والثقة التامة فى خيريتها وفى إيجابيتها لحفظ التوازن النفسى الذى يستهدف خدمة المجتمع دينا ودنيا، قال تعالى ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [الحجرات: ١٥].

---

(١) لفظ الصمود سمعناه أخيرا، ويقصد به الثبات والشجاعة والصبر وعدم الياس، لكنه من جهة اللغة لا أصل له فى الوزن، ومعنى مادته لا يعطى تماما ما يراد منه الآن، لكننا استعملناه هنا جريا على المتعارف المألوف بعد شيوعه وكثرة استعماله.

ففى لسان العرب: صمده يصمده صمدا، وصمد إليه يعنى: قصده، ففى حديث معاذ بن الجموح فى قتل أبى جهل: فصمدت إليه حتى أمكنتنى منه غرة أن وثبت له وقصدته وانتظرت غفلته. وفى حديث على: فصمدا صمداً حتى يتجلى لكم عمود الحق.

فعندما شرع الحجاب أسرع نساء الصحابة إلى الامتثال، كما تحكى السيدة عائشة رضى الله عنها، فتقول: رحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** . . ﴾ أخذ النساء أزرهن، فشققنها من قبل الحواشى، فاختمرن بها، رواه البخارى «القرطبى ج ١٢ ص ٢٣٠»، وقالت عائشة أيضا عن نساء الأنصار: إنى والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، وأشد تصديقا لكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل، لما أنزلت سورة النور ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ** . . . ﴾ انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل إليهن فيها، ويتلو الرجل على امرأته وبنته وأخته، وعلى ذى قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مِرْطها[1]، فاعتجرت به، أى لفت رأسها، تصديقا وإيمانا بما أنزل الله فى كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات، كأن على رءوسهن الغربان، رواه ابن مردويه وأبو داود وابن أبى حاتم عن صفية بنت شيبة عن عائشة «تفسير ابن كثير».

وكان آل النبى ﷺ المثل الأعلى فى تطبيق الحجاب، وذلك لمكانتهن منه، قال تعالى ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ** . . . ﴾، ونفذته بدقة بالغة، حتى أن السيدة سودة رضى الله عنها لم تخرج للحج بعد الأمر بالاستقرار فى البيت كما تقدم فى ص ٢٠٨، وكذلك لم توافق السيدة أم سلمة على الاشتراك فى فتنة عثمان، كما تقدم فى ص ٤٧٥، وتقدم أيضا فى ص ٦٥ حباء السيدة فاطمة رضى الله عنها عندما دخل والدها عليها ومعها عبد لها، فأسرعت إلى تغطية نفسها، وكان الثوب قصيرا، إذا غطت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها. رواه أبو داود «تفسير القرطبى ج ١٢ ص٢٣٤».

وورد أن عائشة رضى الله عنها، بعدما دفن عمر فى بيتها بجوار النبى ﷺ وأبيها، كانت تنتقب، ولما سئلت عن ذلك قالت: إنى أشعر بروح غريبة «طبقات ابن سعد».

---

(١) المرط كساء من صوف أوخز كان يؤتزريه، أى يستر به أسفل الجسم.

وحكى التاريخ أن معاوية بن أبى سفيان دخل على زوجته «فاخته بنت قرطة بن حبيب بن عبد شمس» وقيل «بحدل»، ومعه خصى، فاستترت منه، فقال معاوية: إنه خصى. فقالت: إن مثلتك به لا تحل منا ما حرمه الله «المحاسن للبيهقى ج٢ ص٢٠٩»، محاضرات الأدباء ج١ ص١٣٦» للأصبهانى، «الحيوان للجاحظ ص ٨٢».

وحكى التاريخ أيضا أن «نائلة» بنت الفرافصة، زوجة عثمان بن عفان، لما رأت الثوار ينزلون من سطح المنزل، نثرت شعرها عسى أن يستحيوا منها، فقال لها عثمان: خذى خمارك، فلعمرى لدخولهم على أعظم من حرمة شعرك «أعلام النساء». لعل معنى هذه الجملة أن غيرته عليها تستهين بالتعرض للأذى، فهو يتحمل دخولهم عليه لإزعاجه، ولا يتحمل أن يرى أحد شيئا مما أمر النساء بستره.

وجاء فى عيون الأخبار لابن قتيبة «ج٤ ص٨٧»: أن امرأة دخل عليها خصى كان يخدم زوجها، وكانت واضعة خمارها، فحلقت شعرها، وقالت: ما كان ليصحبنى شعر نظر إليه غير ذى رحم محرم.

كما تقدم فى ص ٥٦٢ بيع زوجة حاكم بلخ ثوبها المرصع بالجواهر، ولم ترض أن تلبسه مرة ثانية بعد نظر الرجال إليه.

وقال ابن العربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ: لقد دخلت نيفا على ألف قرية، فما رأيت نساء أصون عيالا، وأعف لسانا من نساء «نابلس» التى رمى بها الخليل فى النار. فإنى أقمت فيها فما رأيت امرأة فى طريقى نهارا، إلا يوم الجمعة، فإنهن يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهن، فإذا قضيت الصلاة انقلبن إلى منازلهن، لم تقع عينى على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى[1].

---

(١) تفسير القرطبى ج ١٤ ص ١٨١. وكون «نابلس» هى التى رمى بها الخليل فى النار فيه مقال، فإن إبراهيم بدأ دعوته فى أرض العراق وبعد محاولة إحراقه ونجاته هاجر منها إلى جهة الغرب حيث بلاد الشام -- ونابلس من بلاد الشام لا من العراق.

وسيأتى فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة فى بحث حقوق الزوجين حكاية من ادعت على زوجها مالا، فلما طلب القاضى شهودا ليروها أبى، وأقر بالمال، ثم أبرأته إكراما لغيرته عليها.

ومع حرص النساء على الحجاب والآداب الدينية كان أولو الأمر أشد حرصا على مراقبة التنفيذ، ومنع ما يثير الفتنة. وقد رأيت شدة عمر فى الفصل بين الجنسين فى الطواف والوضوء ودخول المسجد، كما تقدم فى ص ٢٤٩، وكذلك ضربه للرجل الذى كان يكلم امرأة فى الطريق ص ٢٥٠، وقد جاء فى كتاب «الرياض النضرة»: أنه كان يقضى حاجات من غاب أزوجهن، وإذا وردت كتب من الجند تبع بها بنات لهم، وسلم الخطاب للزوجة، وقال: إن كنت تقرئين وإلا قرأت لك، فَادْنِي من الباب لأسمعك، ثم يقول لهن: البريد سيسافر فى يوم كذا، فإن كنت تكتبين، وإلا هذه دواة وقرطاس، فأملى على حتى أسمع لأكتب، ثم يجمع الخطابات، ويسلمها للبريد، كما تقدم فى ص ٢٤٧: غضبه للمرأة التى تتعلل للخروج، وأمره لمن اضطرت لذلك أن تلبس البالى من الثياب، وكذلك نهيه عن بناء الغرف حتى لا يطلع أحد على عورات النساء غفلة. وجاء أيضا أن ابن عمر كان يتحاشى دخول المسجد النبوى من باب النساء. وسيأتى فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة نعى الحسن على مزاحمة النساء للرجال فى الأسواق، وضرب معاذ لامرأته عندما أعطت الخادم بقية من تفاحة كانت تأكلها، وكذلك ضربها لاطلاعها من كوة البيت.

ومما جاء عن غيرة عمر، بالإضافة إلى ما سبق من غيرته على نساء النبى ﷺ وإجراءاته الشديدة فى هذا المجال: أن رجلا من الأنصار خرج للغزو، وكان له جار يهودى، فأتى أمرأة الأنصارى فى غيبته، وأخذ يتبجح بهذا الفعل المنكر. حتى أنه فى ذات ليلة استلقى على ظهره، وأنشأ يقول:

وأشعث غره الإسلام منى خلوت بعرسه ليل التمام
أبيت على ترائبها ويضحى على جرداء لاحقة الحزام

فسمعه جار له، وهو بكر بن شداخ، فاغتاظ، فضربه بالسيف حتى قتله، ولما بلغ الخبر عمر رضى الله عنه قال: أنشد الله رجلا كان عنده من هذا علم إلا قام، فقام الرجل فحدثه، فقال عمر: أحسنت أحسنت. «المحاسن للجاحظ ج٢ ص ٦٨».

وجاء فى أسد الغابة – ترجمة بكر بن شداخ – تغيير فى الشطر الأخير هكذا:

على قود الأعنة والحزام. كما جاء بيت ثالث بعدهما هو:

كأن مجامع الرَّبَلات منها فِئَامٌ ينهضون إلى فئام

المراد بالترائب: الصدر، والجرداء الدابة التى يقاتل عليها، والأعنة هى اللجم، والربلات أصول الأفخاذ، والفئام الجماعة من الناس.

وجاء فى ص ٦٦ من المحاسن، ونور الأبصار للشبلنجى ص ٦٣ وعيون الأخبار لابن قتيبة ح ٤ ص ٢٤، وسيرة عمر لابن الجوزى ص ٦١ عن عبد الله بن بريدة الأسلمى، وغذاء الألباب للسفارينى ج١ ص ١٧٣، والمستطرف للأبشيهى ج ٢ ص ١٣٨، وهامشه ج ٢ ص ٢٤١: قصة نفى عمر لنصر بن حجاج، الذى فتن به النساء، وهو ابن الحجاج بن علاط البهزى من الصحابة، وهى – كما ذكرها ابن الجوزى فى كتابه «تلقيح الفهوم» كما يلى:

مر عمر ليلة بالمدينة، فسمع امرأة – قيل: إن اسمها الفارعة أم الحجاج، وقيل: هى الذلفاء، وقيل الفريعة بنت همام أم الحجاج – وهى تنشد:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج؟
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل سهل المحيا كريم غير ملجاج
تهنيه أعراق صدق حين تنسبه أخا وفيا عن المكروه فراج
تهنيه أعراق صدق حين تنسبه أخا وفيا عن المكروه فراج
ما منية أرب فيها بضائرة والناس من هالك فيها ومن ناج

فقال عمر: لا أرى معى بالمدينة رجلا تهتف به الهواتف فى خدورهن، فاستدعاه فإذا هو أحسن الناس وجها وشعرا، فعزم عليه ليأخذن من شعره، فأخذ، فخرج بوجنتين كشقى قمر، فأمره أن يعتم، فافتتن الناس بعينيه، فأمر بنفيه إلى البصرة.

وخشيت الفارعة التى أنشدت هذه الأبيات أن يطلع عمر منها على شئ، فدست إليه أبياتا هى:

قل للإمام الذى نخشى بوادره ... مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا لا تبينه ... إن السبيل سبيل الخائف الراجى
إن الهوى زم بالتقوى فحبسه ... حتى يقر بإلجام وإسراج

فبكى عمر، وحمد الله على زم الهوى بالتقوى. وفى سيرة ابن الجوزى بيت آخر هو:

إنى غنيت أبا حفص بغيرهما ... شرب الحليب وطرف فاترساج

ولما نفى نصر إلى البصرة نزل فيها على مجاشع بن مسعود السلمى، فدخل عليه يوما وعنده امرأته «شميلة» وكان مجاشع أميا، فكتب نصر على الأرض: أحبك حبا لو كان فوقك لأظلك، أو تحتك لأقلك، فكتبت هى: وأنا والله كذلك، فسكب مجاشع على الكتابة إناء، ثم أدخل كاتبا، فقرأه، فأخرج نصرا من بيته وطلقها.

ولما طالت غربة نصر اعترضت أمه عمر رضى الله عنه بين الأذان والإقامة، وعليه إزار ورداء، ومعه درة، وقالت له: والله لأقفن أنا وأنت بين يدى الله، وليحاسبنك، أيبيتن عندك عبد الله وعاصم إلى جنبك، وبينى وبين ابنى الأودية؟ فقال عمر: إن ابنى لم تهتف بهما الهواتف. ثم أرسل عمر بريدا إلى البصرة، وكان عليها عامله عتبة بن غزوان. فمكث أياما دعا الوالى فيها: من يكتب إلى عمر؟ فكتب نصر بن حجاج:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فيا أمير المؤمنين:

لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى ... ولم آت إثما، إن ذا لحرام[1]

فأصبحت منفيا على غير ريبة ... وقد كان لى بالمكتين مقام

أئن غنت الذلفاء يوما بمنية ... وبعض أمانى النساء غرام[2]

ظننت بى الظن الذى ليس بعده ... بقاء فما لى فى الندى كلام[3]

فيمنعنى مما تقول تكرمى ... وأباء صدق سابقون كرام

ويمنعها مما تقول صلاتها ... وحال لها فى قومها وصيام

فهاتان حالانا، فهل أنت راجعى ... فقد جب منى كاهل وسنام؟[4]

فلم يرجعه عمر، بل أقطعه دارا بالبصرة، ودارا بسوقها. فلما مات عمر رجع إلى المدينة. أهـ فهل فى أولى الأمر من ينهج نهج عمر فى شدة الرقابة على الأخلاق وحماية الآداب:

لقد كان هناك تعاون على حفظ الشرف بين الرجال والنساء، وبين الحكومة والشعب، وبذلك قلت الجرائم إلى حد كبير، حتى أن من كانت من النساء تباشر أى نشاط أدبى أو أجتماعى كانت فى حشمة ووقار. فزبيدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد، كانت ذات فضل وبر، نقلت الماء من واد بعيد إلى عرفات ومنى ومكة، وكانت لها اجتماعات أدبية، وعندها مائة جارية يحفظن القرآن.

لما زارها الرشيد، ومعه ابن جامع، استقبلته بالجوارى، فقال لها: معى

---

(١) وجاء هذا الشطر برواية: وما نلت من عرضى عليك حرام.

(٢) وقبله كما فى بعض الروايات:

وما لى ذنب غير ظن ظننته ... وبعض تصاديق الظنون أثام

(٣) وجاء هذا الشطر برواية: بقاء وما لى جرمة فألام.

إمام الهدى لا تبتلى الفرد مسلما ... له حرمة معروفة وزمام

(٤) جاء بعده بيت آخر فى سيرة ابن الجوزى:

وقيل: إن هذا الشعر مصنوع، كما فى عيون الأخبار.

ابن جامع. فعدلت إلى بعض المقاصير، وجلس ابن جامع فى بعض الأماكن حتى لا يراها. وكانت تسمع الشعر وتنقده وهى خلف الستار، كما ذكره البستانى فى دائرته، وكما فى حكاية الفقهاء الذين جمعهم الرشيد للفتيا فى يمين، فكانت تسمعهم من وراء حجاب «تاريخ التشريع للخضرى».

وكان أبو مسلم الخراسانى غيورا على نسائه، لا يدخل داره غيره، وذكر أنه لما زفت إليه امرأته أمر بذبح الفرس الذى ركبت عليه، وبحرق السرج لئلا يركبه ذكر.

وجاء فى العقد الفريد «ج١ ص ٢٠٣»: أنهم كانوا لا يجيزون للمرأة أن تجتمع مع الرجال على الأكل، يقول بكر بن عبيد الله: أحق الناس بثلاث لطمات من دعى إلى طعام فقال لصاحب المنزل: ادع ربة البيت تأكل معنا.

وتقدم فى الحديث عن الحركة النسوية فى فارس «إيران» حكاية الرحالة ناصر خسرو عن مدينة «طبس»، وفيها أن المرأة إذا ثبت عليها أنها كلمت غير قريبها، أو أن الرجل إذا ثبت عليه أنه كلم غير قريبته فجزاؤهما القتل.

والتاريخ يذكر أن الحاكم بأمر الله الفاطمى حرم على المرأة الخروج مطلقا، بل حرم على صناع الأحذية، وتجارها معاملة النساء، وقد أرادوا السخرية منه، فصنعوا له امرأة من الورق، وألبسوها ملاءة وخفا، ثم أوقفوها فى الطريق، فأمر بالقبض عليها. ولما ظهرت له الحقيقة أمر بإحراق حوانيت تجار الأحذية وصناعها، وأحرق كثيرا من المنازل الحافلة بالنساء، وهذا، وإن كان تصرفا فيه شذوذ، إلا أنه يدل على وجه العموم على أن الرقابة على سلوك المرأة كانت قوية.

وكان السلطان سليم يحرم على المرأة أن تخرج إلا منتقبة، وإلا ضربت كالحيوانات، وربطت من شعرها فى ذيل حمار، ليطاف بها على هذه الحال فى أنحاء القاهرة.

وإذا كان الحفاظ على الحجاب قويا فى العصور الأولى فإنه لا يعنى ألا تكون هناك بعض حالات شاذة، خرجت فيها المرأة على الأصل المألوف، ولا يعد

عملها تشريعا، ولا يعطى حكما عاما على المجتمع فى ذلك العصر، فالحكم للأعم الأغلب، فقد نقلت عن عائشة بنت طلحة ابن عبيد الله بن عثمان التميمية أخبار فى هذا المجال لا يقرها الشرع، على الرغم من شرف نسبها وشرف بيئتها التى تربت وعاشت فيها.

فأمها هى أم كلثوم بنت أبى بكر، أخت عائشة رضى الله عنها، وأخت أسماء أيضا، تزوجت على الرغم منها ابن خالها: عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر، ولما مات وهو مول منها، أى حالف على عدم قربانها تزوجها مصعب ابن الزبير أخو عبد الله بن الزبير ووالیه على العراق، وكان زواجه بها على زوجته سكينة بنت الحسين وكانت تتمنع على مصصعب كثيرا، وتحلف ألا تكلمه، فيوسط الناس بينهما للصلح ومن الوسطاء أشعب. فلما قتل مصعب خطبها بشر مروان فرفضت وتزوجت عمر بن عبيد الله بن معمر التميمى، ومكثت عنده ثمانى سنوات ثم توفى سنة ٨٢ هـ. فندبته قائمة، ولم تندب أحدا من أزواجها إلا جالسة، وعزمت على ألا تتزوج بعده، وبرت فى يمينها. وكانت تقيم سنة بمكة وسنة بالمدينة، وتخرج إلى الطائف حيث تمتلك هناك قصرا وأموالا، وتقدمت بعض أخبارها فى الحج فى ص ٩٥.

كانت من أندر نساء عصرها حسنا وجمالا وعفة وأدبا، لكنها كانت شديدة الخلق كنساء تيم أشرس خلق الله وأحظى عند أزواجهن، وكانت من أشد الناس مغايظة لأزواجها، وتواترت الأخبار بأنها كانت تزهى بجمالها، وتكشف وجهها للناس[١]، وكان زوجها مصعب يلومها على ذلك، فتقول: إن الله وسمنى بميسم جمال أحببت أن يراه الناس، ويعرفوا فضلى عليهم، فما كنت لأستره، ووالله ما بى وصمة يقدر أن يذكرنى بها أحد[٢].

ومع أن عملها لا يعد تشريعا، فقد يطعن فى هذه الرواية، ولئن ثبتت

---

(١) «أقرأ» ص ٨٣ لكمال بسونى.

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٠١، ٢٠٢، والحصرى على هامشه ج ١ ص ٢٤٠.

فليس لعائشة علة فى كشف محاسنها، لكن طبع المرأة هو هو فى كل زمان ومكان، والمدار فى الأمر على زم الهوى بالتقوى.

ذكروا أنها نازعت زوجها عند أبى هريرة، فسقط حجابها عن وجهها، فقال أبو هريرة: سبحان الله ما أجملك، ما أحسن ما غذاك أهلك!!، والله لكأنك خرجت من الجنة. فلما سمع زوجها ذلك هاج فى نفسه، وقام يطلب إرضاءها، وعاد بها.

وقيل: إن السيدة سكينة بنت الحسين قالت لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك، فقالت عائشة: بل أنا أجمل منك، واختصما إلى عمر بن أبى ربيعة، فقال: لأقضين بينكما، أما أنت يا سكينة فأملح، وأما أنت يا عائشة فأجمل. فقالت سكينة: قضيت لى والله عليها، اهـ الجميلة هى التى تأخذ ببصرك جملة على البعد، فإذا دنت لم تكن فى فتنتها الأولى، أما المليحة فهى التى تأخذ بقلبك على القرب، أو التى كلما كررت فيها نظرك زادتك حسنا[1].

ومثل هذه الأخبار التى لا يوثق بسندها لا تعطينا حكما صحيحا على السلوك، والإنسان ينزه ذوات البيوت الأصيلة الأولى أن يكن فى هذا المستوى، الذى يتحاكمن فى جمالهن إلى شاعر عرف بمغامراته. لكن الأمر الذى يكاد يكون متفقا عليه أنها كانت ذات جمال كبير.

هذا، وقد روى الحديث عنها جماعة، وقال يحيى بن معين: إنها ثقة حجة. وقال العجلى: مدنية تابعية ثقة. وقال أبو زرعة الدمشقى: حدث عنها الناس لفضلها وأدبها، وذكرها ابن حبان فى الثقات، وكانت على علم بأخبار العرب وأيامها.

ومثل هذه الشهادات فى مجال دقيق لا يقبل فيه إلا العدل المعروف بحسن السيرة والسلوك، تنفى ما يروى من مبالغات فى الزهو بجمالها، وكشفه للناس

---

(١) دولة النساء للبرقوتى - الشعب ٨/١٢/١٩٥٨.

وتبذلها الذى يشتم من هذه الروايات، وكما قلت من قبل: إن سلوكها القولى والعملى لا يعد تشريعا. توفيت بعد مائة ونيف. وفى مرآة الجنان لليافعى: أنها توفيت سنة ١٠١ هـ.

والبيئات البعيدة عن موطن الوحى الأول، والتى دخلت فى الإسلام متأخرة كانت عندها حالات شاذة من السفور وعدم الغيرة، كما تقدم ذكر بعضها فى «مالديف». وذكر ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٥٤ هـ (١٣٥٣م) عن «أيو الاتن» بالصحراء الكبرى أن الرجال لا غيرة عندهم على نسائهم، فنساؤهم لا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن، مع أنهن يواظبن على الصلاة، وهن يتخذن الأصدقاء من الرجال الأجانب، كما يتخذ رجالهن صديقات أجنبيات.

وقد عجب ابن بطوطة من مصاحبة بعض القضاة للأجنبيات، وترك نسائهم يصادقن الرجال، مع معرفة هؤلاء بأمور الشرع، وتوليهم مناصب كبيرة «مهذب رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٢٩٩». وممن تحدث عنهم قاضى «أيو الاتن» «أبو محمد بندكان المسوفى» الذى رد على ابن بطوطة بقوله: مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة، لا تهمة فيها، ولسن كنساء بلادكم. يقول ابن بطوطة: فعجبت من رعونته، وانصرفت عنه.

هذا، وكان العالم الإسلامى فى أيام الخلافة العثمانية متمسكا بالحجاب إلى حد كبير، وقد تطرف فيه السلاطين على النحو الذى تقدم ذكره. واستمر الحجاب محترما فى مصر أيام المماليك وحكم محمد على، وإن كانت له شواذ بسبب وجود العناصر الأجنبية التى دخلت على المجتمع المصرى، وما حدث أيام الحملة الفرنسية.

ففى تاريخ الجبرتى «وقائع شهر رجب سنة ١٢٠١ هـ - إبريل ١٧٨٧م» أنه نودى على النساء أنهن إذا خرجن لحاجة يخرجن فى كمالهن، ولا يلبسن الحبرات الصندل ولا الأفرنجى، ولا يربطن على رءوسهن العمائم المعروفة بالقازوغلية، وذلك من مبتدعات نساء القازوغلية، وذلك أنهن يربطن الشاشات الملونة المعروفة بالمدورات، ويجعلنها شبه الكعك، ويملنها على جباههن،

مقصوصات بطريقة معلومة لهن، وصار لهن نساء يتولين صناعة ذلك بأجرة على قدر مقام صاحبتها. ومنهن من تعطى الصانعة لذلك دينارا أو أكثر. وفعل ذلك جميع النساء حتى الجوارى السود «مختار الجبرتى ص ١٧٥».

وكانت الأوامر كثيرة للنساء بعدم التردد فى الأسواق إلا بقدر الحاجة «حوادث شوال ١٢٠٠ هـ - أغسطس ١٧٨٦م من الجبرتى ص ١٥١» بل منعن منه، بسبب احتكاك العسكريين «حوادث جمادى الأولى ١٢٠١ هـ (إبريل ١٧٨٧) مختار الجبرتى ص ١٧٥». كما أمرن بعدم الخروج للتنزه فى الحقول أيام شم النسيم، وذلك حرصا عليهن من هجوم اللصوص «وقائع رجب ١١٣٥ - إبريل ١٧٢٣م عن مختار الجبرتى ص ٥٣».

وكان النساء يخرجن للنزهة فى حديقة الأزبكية فى عهد محمد على منتقبات. وغير المسلمات كن سافرات، إلا إذا قرب منهن رجال فيحتجبن، كما قال السائح الفرنسى «دى نرفال».

وظل الحال مستمرا على الحفاظ على الحجاب. حتى حدث ما حدث من أسباب دعت إلى السفور، كما تقدم ذكره فى موضعه. وأصبح الرجل المسلم أو المرأة المسلمة تتنصل من الحجاب، وتتمدح بالتحرر منه، وتكونت جمعيات وأنشئت اتحادات وروابط وتشكيلات كثيرة تدعو إلى الحرية، وكان أثر هذه الحركات واضحا فى المدن أولا، ثم انتقل إلى الريف، وكلما كانت المنطقة بعيدة عن الاتصال بالحضارة الحديثة كان التحرر من الحجاب متأخرا وبطيئا.

لقد اتخذ الحجاب الآن لونا جديدا. ومفهوما حديثا، وصار أمرا نسبيا له عند الناس درجات، فكاشفة رأسها فقط مع ستر جميع بدنها يقال لها الآن: محتشمة، بالنسبة إلى كاشفة الذراعين والصدر، وصاحبة الأكمام القصيرة يقال لها: محتشمة، بالنسبة لغير ذات الأكمام، وصاحبة فتحة العنق الضيقة محتشمة بالنسبة إلى من تكشف ما فوقها، وهكذا.

ومع كل ذلك فهذه المظاهر لا يوافق عليها الشرع. كما توجد هناك مفارقات فى استعمال الحجاب، تظن به بعض السيدات أنه يعنى فقط تغطية الرأس، دون اهتمام بكشف الذراعين والساقين، أو وضع المساحيق، أو جعل

الملابس ضيقة محددة، أو وضع شارات على مواضع تلفت النظر. فالحجاب لابد أن يكون تنفيذه كاملا حتى يؤدى الغرض المطلوب من تشريعه، وهو منع الفتنة وصيانة الأعراض.

ومهما يكن من شئ فإن الحجاب فى صورته القريبة من المشروع يكاد يكون طابعا عاما فى بعض الأقطار الإسلامية، كالسعودية مثلا، إذا استثنينا قبائل عسير حيث يكثر السفور فيها، كما تقدم ذكره على لسان «السيد طلعت وفا» مدير بوليس جدة. وكذلك يشيع الحجاب فى بلاد أخرى. حتى أن اليهوديات يلزمن الحجاب أو يحافظن عليه كثيرا فى بغداد كما تحافظ المسلمات، نزولا على حكم البيئة، كما ذكره الرحالة محمد ثابت منذ ثلاثين عاما.

وكذلك يشيع الحجاب فى أفغانستان والجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا قبل أن يحتلها الشيوعيون. فقد كانت المرأة هناك يحافظ عليها بغيرة شديدة، وكانت فى «أوزبكستان» إذا خرجت تحتجب بالبارانشا. وهو كيس أسود محكم الإغلاق مصنوع من شعر الخيل، يغطى الرأس والجسم كله، مثل ثلاجة اللحم (كذا)، وكانت البنت إذا بلغت العاشرة تغطى فمها إذا خرجت، ولما غزت روسيا هذه المنطقة، وشجعت نساء الأوزبك على خلع هذا الرداء ثار الرجال، وقاموا بإحراق من فعلت ذلك حية بالبترول.

ونحن إذا كنا ندعو إلى التزام الحجاب الشرعى، فإننا لا نريد به العودة إلى قسوته الشديدة التى كان عليها فى بعض العصور التى لم تفهم حكمته، فأدى إلى نتائج خطيرة، من جهل الأم وجهل الأولاد وبالتالى شيوع الخرافات والمعتقدات الباطلة وما إليها، كما ذكر عند الحديث عن الحريم، بل نريده حجابا شرعيا يمنع الفتنة، ولا يعوق المرأة عن التمتع بحقوقها المشروعة فى الإطار الذى حدده الدين للعلاقة بين الجنسين.

إننا نهيب بالمسلمين جميعا أن يقفوا أمام هذا التيار الجارف الذى تزحف به المدنية الغربية فى سفورها وتحللها، على الشرق والإسلام، نتيجة للتخطيط القديم الذى وضعه اليهود بناء على تعليمات التلمود، للسيطرة على العالم عن طريق سلخه من معتقداته وأخلاقه، واستعمال كل الأساليب لتحقيق هذا الغرض، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة.

إن الضمير السليم ورجولة الرجال مازالا يجدان مكانهما فى المجتمع الإسلامى، والواجب هو الحفاظ عليهما من طغيان الأفكار الملتوية والآراء الشاذة المنحرفة، إن هذا الصوت الداخلى، النابع من أعماق الفطرة ما زال يستنكر خروج المرأة عن حدها، ومازال يعتقد أن الانطلاق الشهوانى هو سبب النكبات التى حلت بأخلاق العالم.

وجدير بالمسلمين، ودينهم دين الغيرة على كرامة الرجل والمرأة معا، ألا يقفوا موقف المتفرج من هذه «المودات» الزاحفة، أو موقف المستحسن الذى تمادت بسببه المرأة حتى كشفت عن أعز شئ وأقدسه، وبذلته بسخاء إلى الذئاب البشرية.

وإنى لأذكر بالإعجاب هذه اللفتة الإنسانية، على الرغم من وجود مفارقات كثيرة، من هولندا، التى أصدر برلمانها لائحة جديدة خاصة بملابس موظفات البرلمان، تمنع السكرتيرات من ارتداء «الجونلات» القصيرة، وتقضى بارتداء ملابس تغطى الصدر والعنق، ومراعاة اختيار الألوان الوقورة، وذلك لعدم الخروج على هيبة البرلمان(١).

وكذلك ما حدث فى «مالاوى» فقد أذاع المدعى العام فيها يوم ٢/١١/١٩٧٠ بيانا يمنع ارتداء «المينى جوب». استغرقت إذاعته بالإذاعة عشرين دقيقة. وقد أسرعت النساء الأجنبيات المقيمات فى «مالاوى» إلى المتاجر لشراء أزياء طويلة(٢).

فأولى بالمسلمين أن يحافظوا على وقارهم فى كل ميادين النشاط العلمى والاقتصادى والاجتماعى، وأن يلزموا المرأة زيا يقرب، على الأقل، مما وضعه الدين. وأن يكون القادة وكبار الشخصيات مثلا عليا فى مراعاة الآداب الإسلامية، وأن يتعاون الجميع على وقاية المجتمع من الانهيار، ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [المائدة: ٢]، والله هو الموفق والمعين.

* * *

(١) الأهرام ١/٤/١٩٦٧.

(٢) الأهرام ٣/١١/١٩٧٠.

قائمـــــــة

بأسماء بعض الشهيرات من النساء

فى التاريخ الإسلامى

ممن لم يرد ذكرهن فى هذا الجزء

من كتاب « أعلام النساء »

obeikandl.com

١ – آمنة الرملية، من عابدات القرن الثالث الهجرى. دعت لبشر بن الحرث وهو مريض ، وكذلك دعت لابن حنبل «لواقح الأنوار للشعرانى».

٢ – آمنة بنت عبد الرحمن بن أحمد محمد المقدسية، محدثة عابدة توفيت فى ٦ شوال ٧٤٢ هـ.

٣ – أسماء بنت إبراهيم، عابدة عالمة، علمت النساء القرآن والعلم. توفيت ليلة الجمعة ٩ من جمادى الأولى ٧٠٨ هـ «الدرر الكامنة – هى وسابقتها».

٤ – أسماء بنت موسى الصنهاجى «الصنجاعى» يمانية من زبيد. كانت تقرأ التفسير والحديث وتعظ النساء، توفيت فى زبيد ٩٠٤ هـ «الأعلام للزركلى».

٥ – الأميرة أمينة هانم، أم المحسنين، حرم الخديوى توفيق، أنشأت مدرسة للبنات، سمتها باسمها، توفيت فى ٨ أغسطس (تموز) سنة ١٩٣١ م «جريدة المقطم».

٦ – بيبى حاتم زوجة تيمور لنك، شيدت مسجدا فى سمرقند سنة ١٨٠١هـ، وهو عامر إلى اليوم.

٧ – بيرم بنت أحمد بن محمد الديروطية، قرأت القرآن بالروايات السبع، وقرأت على شيوخ بيت المقدس، ووعظت النساء، وحفظت كتاب العمدة والأربعين النووية والشاطبية... توفيت فى القرن التاسع الهجرى.

٨ – حُجَّاب بنت عبد الله، شيخة رباط بغداد، كانت غاية فى الصلاح، توفيت فى المحرم سنة ٧٢٥ هـ «الدرر الكامنة».

٩ – حفصة بنت سيرين، اشتهرت بالعبادة وقراءة القرآن. مكثت فى مصلاها ٣٠ سنة لا تخرج إلا لحاجة أو مقابلة، توفيت عن ٧٠ أو ٩٢ عاما سنة ١٠١ هـ.

١٠ – حفيظة رستم، محسنة مصرية، مسجدها فى مصر الجديدة، توفيت ١٩٣٨م.

١١ – حميدة بنت واثق. واعظة من القرن الرابع الهجرى ، أقامت فى المدينة وبغداد ، وعقدت مجالس الوعظ.

١٢ – خديجة بنت أحمد بن عزوز الحميدى الفاسية، حفظت القرآن برواياته، وتلقى عليها القرآن عبد الحفيظ الفاسى برواياته الثلاث، توفيت بفاس بعد سنة ١٣٢٣ هـ بقليل.

١٣ – خديجة بنت الحسن بن على بن عبد العزيز، من حافظات القرآن بالتجويد المتقن والمتفقهات فى الدين، توفيت ٦٤٠ هـ.

١٤ – خديجة بنت على بن وهب القشيرى، محدثة، ولدت فى «قوص» وسمعت الحديث سنة ٦٧٩ هـ على العز الحرانى ، وتوفيت بالقاهرة ٧١٧ هـ «الطالع السعيد للأدفوى».

١٥ – واعظة فى بغداد ، ولدت سنة ٣٧٦ هـ، وسمعت أبا الحسين بن سمعون الواعظ، توفيت فى ١٣ محرم ٤٦٠ هـ.

١٦ – خديجة بنت هارون بن عبد الله المغربية الدوكالية، قارئة للقرآن بالروايات السبع، ولدت سنة ٦٤٠هـ، وحفظت الشاطبية، توفيت ليلة الاثنين ٥ محرم ٦٩٥ هـ «التحفة للسخاوى».

١٧ – دهماء بنت يحيى بن المرتضى، أخذت العلم عن أخيها الإمام المهدى، وبرعت فى اللغة والمنطق والشعر، ألفت شرحا للأزهار فى ٤ مجلدات، وشرحا لمنظومة الكوفى فى الفقه والفرائض، توفيت بمدينة «ثلا» من حصون اليمن فى ذى القعدة ٧٣٧ هـ «البدر الطالع لمحمد الشوكانى».

١٨ – رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامة، محدثة صالحة، توفيت فى ١٦ من ذى القعدة ٦٢٠ هـ ودفنت بسفح قاسيون بدمشق.

١٩ – رابعة بنت إسماعيل العدوية، الصوفية المشهورة، توفيت وسنها فوق الثمانين فى بيت المقدس سنة ١٣٥ هـ أو ١٨٠ أو ١٨٥ هـ.

٢٠ – الرباب بنت علقمة بن حفصة الطائى: «أعلام النساء» وذكرت فى موضع آخر باسم الزباء، وقد ذكرت فى باب مقاييس اختبار الزوجين.

٢١ – أسماء بنت أسد بن الفرات الفقيه المالكى المعروف، توفيت ٣٥٠ هـ تقريبا.

٢٢ – أسماء فهمى، من ربات التعليم فى مصر، ولها نشاط نسوى، توفيت فى ١٨ أبريل (نيسان) سنة ١٩٥٦م.

٢٣ – زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسية. تعرف ببنت الكمال، محدثة جليلة، ولدت ٦٤٦ هـ وتوفيت ببيت المقدس فى ذى الحجة ٧٢٢ عن ٧٧ سنة.

٢٤ – زينب بنت إسماعيل بن إبراهيم بن الخباز، مثل السابقة فى العلم، ولدت فى جمادى الأولى سنة ٦٥٩ هـ وتوفيت فى ذى الحجة ٧٢٢.

٢٥ – زينب بنت على بن حسين فواز العاملية، كاتبة شاعرة، ولدت بتنين «قرية تابعة لصيدا» سنة ١٨٦٠ م، تعلمت فى الإسكندرية وسنها عشر سنوات، لها كتاب: الدر المنثور، فى طبقات ربات الخدور، عدد صفحاته ٥٥٢، طبع بالمطبعة الأميرية المصرية سنة ١٣١٢ هـ، وتوفيت بالقاهرة فى كانون الثانى «يناير ١٩١٤م».

٢٦ – ست الجميع بنت عطية بن محمد بن محمد بن فهد «وتدعى رحمة أم الهدى». محدثة ولدت بمكة فى ذى الحجة ٨٣١ هـ وتوفيت فى ذى القعدة ٨٧١ هـ.

٢٧ – ست الخطباء بنت تقى الدين السبكى، محدثة ولدت بالقاهرة، وحدثت بمصر ودمشق، توفيت فى جمادى الآخرة ٧٧٣ هـ.

٢٨ – ست العلماء، واعظة صالحة، تولت مشيخة الرباط فى درب المهرانى، وتوفيت فى رجب ٧١٢ هـ «الدرر الكامنة».

٢٩ – ست الفقهاء بنت إبراهيم بن على بن أحمد الواسطى الصالحية، محدثة ولدت ٦٣٢ هـ، وتوفيت بدمشق ٧٦٦ هـ.

٣٠ – ست القضاة بنت أبى بكر بن عبد الرحمن بن محمد، محدثة صالحة ولدت فى ربيع الأول ٧٩٧ هـ، وتوفيت فى ربيع الأول ٨٦٤هـ، فى سفح قاسيون بمدمشق.

٣١ – ست الوزراء بنت عمر بن أسعد التنوخية الدمشقية، محدثة فاضلة، ولدت ٦٢٤ هـ، وتوفيت فجأة فى شعبان ٧١٦ هـ.

٣٢ – سُتَيْتَة بنت عبد الواحد بن محمد البجلى، محدثة فاضلة، توفيت فى رجب ٤٤٧ هـ فى بغداد.

٣٣ – ستيتة بنت محمد بن الدمياطى ، محدثة ولدت بالقاهرة ٧١٠ هـ، وتوفيت بالقاهرة ٧٨٠ هـ.

٣٤ – صفية بنت عبد الرحمن بن محمد بن على بن يعيش، كاتبة أديبة واعظة، توفيت يوم الجمعة ٤ من ذى الحجة ٦٢٠ هـ.

٣٥ – صفية أم على، محدثة توفيت بدمشق ٦٩٣ هـ.

٣٦ – صفية بنت على بن أحمد بن فضل الواسطى، محدثة توفيت فى ذى الحجة ٦٩٢هـ.

٣٧ – عائشة بنت إبراهيم بن الصديق، زوجة الحافظ المزى، محدثة مجيدة للقرآن، ولدت سنة ٦٦١ هـ، وحدثت ولقنت القرآن كثيرا من النساء، توفيت فى جمادى الأولى ٧٤١ هـ.

٣٨ – عائشة بنت الحسن بن إبراهيم الوركانية. من ربات العلم والوعظ، توفيت سنة ٤٦٠ هـ.

٣٩ – عائشة بنت سعد بن أبى وقاص، من رواة الحديث، توفيت سنة ١١٧هـ وسنها ٨٤ سنة.

٤٠ – عائشة بنت عمران بن سليمان المنوبى «قرية من قرى مدينة تونس» حفظت القرآن وتزهدت ويقال: إنها ختمت القرآن فى حياتها ١٥٢٠ مرة، أخذت التصوف عن أبى الحسن الشاذلى، توفيت يوم الجمعة ٢١ من رجب ٦٦٥ هـ وعمرها ٧٦ سنة.

٤١ – عائشة بنت محمد بن على البغدادى، من ربات الوعظ والصلاح، كانت تعظ النساء، توفيت فى جمادى الأولى ٦٤١ هـ.

٤٢ – عفراء بنت عقال، كان عروة بن حزام يحبها لأنها بنت عمه، لكن أمها زوجتها لغيره لثرائه، فمات كمدا، فعلم به ابن عباس وهو فى عرفة فقال: هذا قتيل الحب.لا عقل ولا قود.

٤٣ – عنان جارية النطفى، اشتراها الرشيد. قالت لأبى نواس: كيف علمك بالعروض وتقطيع الشعر يا حسن؟ فقال: جيد، فقالت: قطع هذا البيت:

أكلت الخردل الشامى فى صحفة خباز

فلما ذهب يقطع ضحكت من هذا المقطع «أكلت الخر». وبعد هنيهة سألها معرفتها بالعروض، فطلب منها أن تقطع هذا البيت:

حولوا عنا كنيستكم يا بنى حمالة الحطب

فلما ذهبت تقطع ضحك من هذا المقطع «ناكينى» فقالت: قبحك الله، ما برحت حتى أخذت بثأرك.

٤٤ – فائدة الشيخة، من ربات الوعظ والبر، ولدت بعد ٧٩٠ هـ وتولت مشيخة رباط الظاهرية بأسفل مكة، وتعاطت القبالة «التوليد» بمكة، وتوفيت بها فى صفر ٨٧٢ هـ.

٤٥ – فاطمة بنت أحمد بن يحيى، عالمة متفقهة، كانت تستنبط الأحكام الشرعية، وتتباحث مع والدها فى الفقه، وكان زوجها الإمام المطهر يستفتيها فى

كل ما يشكل عليه فى خلال تقريره الدروس، توفيت ٨٤٠ هـ «البدر الطالع للشوكانى».

٤٦ – فاطمة بنت سليمان بن عبد الكريم الأنصارية الدمشقية، محدثة صالحة، ولدت ٦٢٠ هـ أو ٦٤٠ هـ، وتوفيت بدمشق فى ربيع الآخر ٧٠٨ هـ.

٤٧ – فاطمة بنت عباس البغدادية «أم زينب». وفى رواية: فاطمة بنت عياش، عالمة فقيهة زاهدة واعظة مؤثرة انتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر، أثنى عليها ابن تيمية، وتوفيت بمصر فى ذى الحجة ٧١٤ هـ عن نيف وثمانين سنة.

٤٨ – فاطمة بنت عبد الله بن المتوكل على الله المطهر الحسناء، تزوجها الإمام المتوكل على الله يحيى بن شرف الدين، فكانت تعارضه فى جامع الأصول، وتشاركه فى حل المشاكل، توفيت فى صنعاء ٩١٠ هـ.

٤٩ – فاطمة بنت عبد الرحيم الرفاعى، من ربات العلم والصلاح، حجت مع أخيها عز الدين أحمد الصياد ٦٤٣ هـ، وزارت المدينة، وأمام قبر النبى ﷺ قالت:

يارب إن قبلت لديك زيارتى فاجعل بطيبة قرب طه مدفنى

فتوفيت فى اليوم نفسه، ودفنت قرب الحرم، وكان لها قبة يتبرك بها، فهدمها الوهابيون.

٥٠ – فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن القاسم الجوزدانية الأصبهانية، محدثة فاضلة، ولدت ٤٣٠ هـ، وتوفيت فى أصبهان يوم الأربعاء ٢٤ رجب ٥٢٤ هـ.

٥١ – فاطمة بنت محمد بن شيرين الحنفى، تدعى «ستيتة» أو «ناحية» ولدت بالقاهرة فى ٦ محرم ٨٥٥ هـ وتعلمت الكتابة ونظمت الشعر. وتوفيت بالقاهرة ٩٤١هـ ودفنت بالقرافة.

٥٢ – فاطمة بنت سعد الخير بن محمد بن عبد الكريم الأنصارية، محدثة ولدت بالبحرين أو بأصبهان ٥٢٢ هـ، وتوفيت فى ربيع الأول ٦٠٠ هـ.

٥٣ – لبيبة بنت ناصيف ماضى هاشم، كاتبة باحثة، ولدت فى قرية «كفر شيما» بلبنان وانتقلت مع بعض أسرتها إلى مصر وتزوجت بها، وأصدرت مجلة فتاة الشرق ١٩٠٦م، وحاضرت فى الجامعة المصرية ١١ – ١٩١٢. وسافرت إلى «شيلى» ١٩٢١م وأنشأت هناك مجلة الشرق والغرب فى سنتياجو ١٩٢٣، وعادت فى السنة التالية إلى القاهرة وتابعت إصدار المجلة حتى توفيت.

٥٤ – ميمونة بنت ساقولة، من رباط الوعظ، توفيت ٣٩٣هـ، «النجوم الزاهرة».

٥٥ – هجيمة بنت حيى الأوصابية الدمشقية، أم الدرداء الصغرى، وأوصاب = قبيلة من حمير، وهى العالمة المشهورة، أما أم الدرداء الكبرى فلها صحبة مع النبى ﷺ وهى أم بلال.

كانت هجيمة يتيمة فى حجر أبى الدرداء، تختلف معه فى برنس واحد، وتصلى فى صفوف الرجال، وتجلس فى حلقة القراء، حتى أمرها أبو الدرداء باللحاق بصفوف النساء، ولما توفى أبو الدرداء خطبها معاوية، فأبت وقالت: والله لا أتزوج فى الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء إن شاء الله فى الجنة، وكانت معظمة عند بنى أمية، وتقيم ستة أشهر فى بيت المقدس وستة فى دمشق، توفيت سنة ٨١ هـ.

٥٦ – أم الهيثم المنقرية، عادها أبو عبيدة حين مرضت وأسنت. فقال لها: كيف تجدينك؟ فقالت: كنت وحمى بالدكة، فشهدت مأدبة، فأكلت جبجبة من صفيف هلعة، فاعترتنى زلخة. فقلنا: يا أم الهيثم أى شئ تقولين؟ فقالت: أو للناس كلامان؟ والله ما كلمتكم إلا بالعربى الفصيح «الكامل للمبرد».

* * *